بورخيس في صِقِلِّية مع مُرشدٍ أعمى

بقلم: أليخاندرو لوك

ترجمة للإنجليزية: أندرو إدواردز

**ترجمة للعربية: سماح جعفر**

**------**

يكتب أليخاندرو لوك عن الثقافة لصحيفة إي كوريو دي أندلسيا الإسبانية. تمت ترجمة مجموعته القصصية، "The Defence of Sicilian Defense"، إلى اللغة الإنجليزية؛ ألف أليخاندرو أيضًا سيرة الصداقة بين بورخيس والمؤلف الأسباني فرناندو كوينونيس، "Palabras Mayores". وغالبًا ما يرافق المغني وكاتب الأغاني خوان لويس بينيدا كوسيقيٍ.

المحتوى

مقدمة 1

الأمتعة 3

ميسينا 10

سالينا 15

ميسينا، اسرالى، أغنان، باغني 27

سيراكيوز 34

كاتانيا 51

ميسينا، تاورمينا، ميسينا 59

ميسينا وتنداري وكاستيلبونو 68

سيفالو 73

باقريا 78

فيكارزي 96

باليرمو 99

مونديلو، سفيراكافالو 139

سيغيستا، تراباني، إريس، مارسالا، مارينيلا 141

مارينيلا، سيلينانوتي 152

ايراكليا مينوا، اغريغينتو، سان ليون 165

راكالمو، إينا، ميسينا 175

روما، نهاية السطر 182

الكودا: بعد سنة واحدة: باليرمو، بوينس آيرس 188

الخاتمة 191

شكر وتقدير 193

ببليوغرافيا 194

مقدمة

خطة المغادرة

(بأسلوب بوفالينو)

النوع

يوميات سفر إلى أفضل الأماكن دون نسيان المكان المشترك. رحلة يوم أحد إلى الأليف (أول حرف في اللغة العبرية) الوحيد المعتمد بواسطة أساتذة الجغرافيا والتاريخ. إنه ليس دليلًا سياحيًا، إنه بالأحرى، بوصلة لتضيع بشكل لا يمكن إصلاحه. كما هو الحال في عالم مشوق بفخر، فإنَّ الكلمات توضح الصور لمرة واحدة فقط.

الحبكة

جولة كبرى مصغرة حول صِقِلِّية[[1]](#footnote-1). رحلة عبر الطريق المسفلت، ولكن أيضًا على طول الطرق الهائلة للأدب والموسيقى والفن والذاكرة. رحلة يمليها ألبوم صور التقطت لبورخيس خلال رحلته في جميع أنحاء الجزيرة، مما يسمح بمجموعة متنوعة من الاختصارات والسهو.

فريق العمل

**أنا، الراوي:** في الأصل من ساحل المحيط الأطلنطي للأندلس، وأمتهن الكتابة.

**رو:** لغوية من قشتالة، وحاصلة على منحة للدراسة في ميسينا.

**إيفان:** مسافر دؤوب، مراسل حر، متعدد اللغات، بلا جنسية.

**كا:** صحفية من مدريد تتحدر من أصل بوينس أيريسي، محبة أفلام متعصبة وسائقة جريئة.

**إيوريكا:** صاحب سيارة فيات المستأجرة.

**فيرناندو سيانا:** مصور لوكالة ماغنوم، من مدينة باغيريا الصقلية. مقربٌ من ليوناردو سسياسيا. له عين متفحصة وحذقة وصوت جهور في دوره كمؤلف للقطات المذكورة.

**خورخي لويس بورخيس:** المغني الرئيسي، النموذج الثابت والرجل الأعمى، وهو معفيٌ تمامًا من مسؤولية أي جريمة أدبية قد تشكلها هذه الصفحات.

البنية

دائرية، كالطريقة الدائرية للتجول في الجزيرة. وفوضوية، تماشيًا مع الفوضى العارمة التي تفرضها الأفكار والمشاعر.

النوايا

وقائع ملحمة البحر الأبيض المتوسط. محاولة لرد ديون الامتنان للأصدقاء، المعلمين ومزالق الحياة ومباهجها. وللأرض نفسها، محاطة كما هو الحال بالماء. ديون الامتنان إلى الماء أيضًا. وقليلًا من العلاج الأدبي، كما قال لويجي بيرانديلو[[2]](#footnote-2) عن شخصياته الستة خلال البحث عن المؤلف: لقد كتب سبعة هذه الكوميديا للهرب من كابوس.

الأمتعة

**"خذه، إنه هدية لك". أضاف إيفان وهو يغمزني: "إنه آخر واحد تبقى لديهم. إنه بورخيسك. بورخيسك"، كررت،" ... بورخيسي؟ "**

كان ذلك في شهر سبتمبر من عام 2002 وكنت قد اكتسبت بالفعل شهرة ما بين أصدقائي، أو سمعة سيئة، بصفتي "بورخيوفيلي[[3]](#footnote-3)". لقد أمضيت العام الماضي بأكمله تقريبًا محبوسًا في المنزل لإعداد مقال طويل عن السيد الأرجنتيني. وإذا كان صحيحًا ما يقولونه، إنَّ بورخيس هو حالة من الحصبة، فقد وجدت نفسي في حالة من الهذيان المحموم الكامل وقد انفجرت كل البثرات.

يطابق تشخيصي بالتأكيد أعراض الجرعة المثالية للحصبة البورخيسية: الأرق، إحمرار العينين، حاجة ملحة للتعبير، نوبات من البلاهة، في منتصف الطريق بين التحرر والانغلاق، سوء استخدام مصطلحات مثل التحمّس، التعب أو الذكريات. وشعور عميق بمعرفة اللا شيء، لا شيء على الإطلاق.

يحدث هذا غالبًا مع بورخيس. أولاً، تستسلم لسحر الأصوات، وتتملكك كلماته مثل زمار هاملين[[4]](#footnote-4)، حيث تكتسب الكلمات الأكثر شيوعًا معنى جديدًا بين يديه، كنسيج غير مألوف. ثم تطمح أن تفهم، وتختبر العديد من المفاتيح ومن المحتمل أن تفتح بعض الأبواب. في هذه المرحلة تبدأ حقًا في الاستمتاع بنفسك. هناك كتاب يطغون على القارئ؛ كما لو أنهم أشياء ثمينة معروضة فقط خلف زجاج مقوى. على العكس من ذلك، يجعلك بورخيس تعتقد أنه ترف يمكن بلوغه - يمكن للمرء لمسه وتجربته. وتكتشف شيئًا فشيئًا أنَّ كونه، مثل كل الأدب الجيد، هو لعبة أبدية من القرائن التي تؤدي إلى قرائن أخرى، قراءات تشير إلى قراءات أخرى، تشير بثبات إلى الحياة. كل واحد من نصوصه -ورغم صحته إلا أنه قيل كثيرًا لحد يثير الغثيان- يبدو أنه يحتوي على وعد بكل نصوص العالم. بينما تحرز تقدمًا في هذا النظام الصيني من الصناديق والممرات السرية، تبدأ شيئًا فشيئًا بالتعايش مع الأبعاد الحقيقية لمهمتك، محدوديتك القاسية، وصغر حجمك، ومع ذلك فإنَ بورخيس لطيف بما يكفي كي لا يذلك. يجعلك تصدق أنه يمكنك اتخاذ خطوة للأمام مرارًا وتكرارًا، وأنَ كأس المعرفة في متناول اليد، وأقرب بكثير مما تدرك. تنتقل من قراءة كتبه إلى التحقيق في الكتب التي كتبها الآخرون عنه والمقابلات ومجموعات القصص. وقبل أن تدرك ذلك، تصبح مخلصًا للأرجنتيني، الذي ينال كل شيء بوضع ختمه عليه.

لقد سقطت في ذلك الفخ

كانت النمور والمكتبات والمرايا والمتاهات والخرافات نظامي الغذائي ووسادتي لأشهر. في المناسبات القليلة التي خرجت فيها من زنزانتي الرهبانية لمقابلة الأصدقاء، لم تمر خمس دقائق دون أن تمتلئ المحادثة بكليشيهاتي المتعبة: "كما قال بورخيس ..."؛ "آه، هذا يذكرني بشيء بورخيس ..."؛ "نعم، مثل تلك الحكاية، عندما قام بورخيس ..."، ينظر إليّ الآخرون بارتياب وعظيم قلق، أنا نفسي كنت أدرك أنه في أي لحظة كان يجب أن أقول إنَّ هذا يكفي: لمصلحة عائلتي، لصحتي العقلية وحتى لأجل بورخيس المسكين، الذي أجبرني تركه بسرعة، دون أي شعور بإجبار أو إرغام. إنَّ إخلاصي للأرجنتيني، الذي يعرفه بالفعل، على الحدود المرضية للإحراج.

مع وضع هذا في الاعتبار، وبعد الامتنان الواجب، أعترف أنني لم أكن أولي اهتمامًا كبيرًا لهدية إيفان الساخر: مجموعة من الصور الفوتوغرافية، صورٌ بالأبيض والأسود - لمن غيره! - خورخي لويس بورخيس، مستنسخة بشكل جيد، وهو محاط بألواح حمراء رقيقة. تم توقيع كل من الصور والنص التمهيدي بالفرنسية (تم نشر النسخة من قبل FNAC في فرنسا على الرغم من أنها كانت تستند إلى نسخة إيطالية سابقة، أعتقد بواسطة فرانكو سكيارديلي)، وقد تم توقيعها من قبل فرديناندو سساينا، وهو الاسم الذي لم يكن يعني الكثير بالنسبة لي في ذلك الوقت.

لقد وضعت الكتاب الصغير في أحد الأرفف، ونسيته تمامًا.

في وقت لاحق، حصلت خبيرتنا اللغوية، رو، على منحة من الاتحاد الأوروبي لمواصلة دراستها في صقلية لمدة عشرة أشهر، وكانت بالكاد قد استقرت في ميسينا قبل أن ترسل لنا دعوة للحضور وزيارتها. لقد أحببت رو كثيرًا، وكنت لأذهب إلى نهايات الأرض لأجلها، وبالتأكيد لم أكن أرغب في الانتظار لمدة عام تقريبًا لرؤيتها مرة أخرى. ومع ذلك، فإنَّ فكرة السفر إلى الجزيرة لم تثر ني أيضًا، صقلية ... ماذا يمكن أن يكون في صقلية؟ كما تقول الكليشيهات، فقد تخيلت أرضًا جافة، مملة مثل المناظر الطبيعية في الأونار، يسكنها أناسٌ مفتولو العضلات يرتدون ملابس سوداء، وربما لديهم ندوب في وجوههم. بالتأكيد، يجب أن يكون الرجال الصقليون مثل مارلون براندو وروبرت دي نيرو أو آل باتشينو - وهي فكرة لم تثر اشمئزاز صديقتنا كا بأي شكل من الأشكال- ولكن كيف سيبدو شكل النساء الصقليات؟ مثل الأم لوشيا في الحاج المحظوظ لماريو بوزو[[5]](#footnote-5)؟

كان عليَّ أن أقرأ، لأفتتح صندوق كنز أدب الجزيرة، واتضح أنه مليئ بثروات لا تُحصى. لقد بدأت بفائزين بجائزة نوبل من صقلية وهما لويجي بيرانديلو وسالفاتوري كوازيمودو[[6]](#footnote-6). تابعت مع لامبيدوزا[[7]](#footnote-7) ودي فيردورا[[8]](#footnote-8)، الذي قادني إلى دي روبرتو[[9]](#footnote-9) وروايته الضخمة "الصفوة". كنت مفتونًا بالوضوح الصادق الذي حققه ليوناردو سسياسيا[[10]](#footnote-10) والثروة اللفظية المثيرة التي يتمتع بها بوفالينو؛ التفت إلى عظماء الحداثة، فيرغا، برانكاتي وفيتوريني. ولجت العالم السري لكونسولو والخيال البوليسي الخفيف لكاميليري. أخيرًا، بدأت في قراءة كتب رحلات موباسان، فيست، غوته، دوريل ... وعلى الرغم من أنني عدو محلف للكتب الإرشادية، إلا أنني يجب أن أقول إنَّ كتابات ميغيل رييرو، التي نشرتها ليرتيس، هي كتابة مدروسة جيدًا، وتثقيفية ومليئة بالأفكار الجيدة.

كنت أضيف حالة صقلية جينية حادة إلى بورخومانيتي المتعصبة المتطورة دون أن ألاحظ. كانت حقائبي ممتلئة تقريبًا وكنت ممتلئًا بفضول حماسي.

عشية مغادرتي، المخطط لها في يوليو، قررت أن أنزل الكتاب الصغير ذا الغلاف الأحمر، المخبأ بشكل خفي في أحد أركان مكتبتي. كانت الصور الأولى فيه مؤرخة باليرمو 1984. وبذهن شارد افترضت أنها كانت تقع حول مقاطعة بوينس آيرس بالاسم نفسه، ومع ذلك، حين بحثت أكثر، لاحظت أسماء أماكن مثل سيلونونت وباغريا.

لذلك يبدو أنه من بين العديد من الأماكن الأخرى، كان بورخيس في صقلية. هرعت للتحقق من التواريخ: في الواقع، توقف المايسترو في الجزيرة أثناء عبوره بين بوينس آيرس وطوكيو. استقبل بكل حفاوة، قدمت له دار نوفاسينتو للنشر جائزة وأهدته وردة ذهبية، وربما حصل على درجة الدكتوراه الفخرية. الأمر المؤكد هو أنَّ سيانا، من مواليد الجزيرة، قد خلد رحلته حول ترينياكريا".

سألت نفسي، لمَ لا أستفيد من هذه المصادفة وأزور جميع الأماكن التي تم تصوير بورخيس فيها، مثل حاج وثني؟ أستطيع تسجيل جميع الانطباعات التي سأحسها في مذكراتي، وربما، قد يعطوني بعض الإجابات على الكثير من الألغاز البورخيسية التي لا تزال تبقيني مستيقظًا في الليل. أو ربما كانت مجرد وسيلة خفية لتعزيز سلوكي الوثني، لإضافة أهمية إلى الرحلة التي لا نهاية لها والتي تتبع بورخيس عبر الزمان والمكان.

مع وضع ذلك في الاعتبار، صعدت إلى الطائرة في طريقي إلى مدريد في 2 يوليو 2003. كان إيفان وكا ينتظراني هناك؛ لقد أقنعتهما بالحضور معي بعد مفاوضات شاقة. ومع ذلك، كان هناك شرط واحد مؤكد:

"نظرًا لأننا لا نريد أن نصل إلى مرحلة إشعال النار في مكتبتك، فعليك أن تعدنا يا دون كيشوت بأنِّ هذا سيكون وداعك لـبورخيس. شيء مشابه للعلاج بالصدمة، وبعد صقلية، ينتهي الأمر، وعد".

لقد كانا على حق: وقد وعدتهما. رغمًا عني، ولكنني وعدتهما، وكررت التزامي ثانية قبل أن تعلن مكبرات الصوت أنِ طائرتنا كانت بالفعل على المدرج، في مطار باراخاس محاطة بالعربات والقمصان المزهرة والزي الأزرق.

كانت رو في المنزل في شارع نوفزياتو كازازا، متوقّعة وصولنا، وكان أمامنا اثنا عشر يومًا لتعقب خطى المايسترو الأبدية على طول الجزيرة وعرضها وفقًا لمسار رحلتي.

التعب. هو الانطباع الأكثر إلحاحًا الذي تحصل عليه من هذه الصورة عن قرب: بورخيس وعيناه مغلقتان.

هل هو نائم؟ إذا كان الأمر كذلك، فستكون قيلولة قلقة. هناك كآبة تصلب ملامحه، والتوتر في وجهه يضعف تأثير الاسترخاء من وقفته. رأسه الأشيب يبحث عن أشعة الشمس الفاتنة في باليرمو، "الخلفية عبارة عن ظل لا يمكن التعرف عليه. ينير الضوء بشرة وجهه الحليق بدقة. نعم، لقد كان معروفًا بهذا الأمر، ذكرت نفسي: باستثناء صورة شابة يظهر فيها بلحية صغيرة تقريبًا، لم يظهر بورخيس دون أن يحلق شعر ذقنه أبدًا.

أتساءل ما الذي يبحث عنه المايسترو داخل جفونه المغلقة. ربما كان يستريح من سلسلة الجلطات الصفراء المقلقة، آخر بصيص إنساني لعمى الشيخوخة خاصته. أو ربما يحاول إعادة تكوين آلاف التفاصيل في خياله، والتي استطاع تخمينها فقط من خلال كلمات رفاقه في السفر: ذهبت الجغرافيا في مهب الريح، الشوارع، التلال، الحقول، الأنقاض، الساحات والشواطئ ...

ومع ذلك، تبدو التجاعيد المرسومة على جبينه وحواف عينيه، والتي أعيد تحديدها بواسطة الضوء الطبيعي، وكأنها توحي برغبة في بعض الراحة. لا أن يترك نفسه للنوم، لا، أبدًا، قال فونيس ميموريوس ذات مرة: "النوم هو إبعاد عقل المرء عن العالم" لكن الهدنة، نعم، الفترات الفاصلة: الرغبة في إغلاق عينيه للحظة، طريقة عمل دماغه، آلية مرهقة لكنها لا تزال أقل قدرة على التعامل مع جماهير من الذاكرة لا يمكن فهمها ومجموعة هائلة من القراءات والأفكار والاختراعات. ومع ذلك، في هذه اللحظة يريد فقط أن يتخلى عن عناقيد شمس صقلية القديمة، مع عدسة التصوير كشاهد وحيد.

قرأت نص سيانا. يتذكر كيف تلقى بورخيس مكالمة من صحفي إذاعي في بهو فندق باليرمو. "لم يطلبوا منه سوى الإجابة على سؤالين: "ما هي الحكمة، وما الذي يخبئه لنا المستقبل؟" تردد الأرجنتيني للحظة ورد: "الحكمة شيء للآخرين، إنها ليست ملكًا لي. وفي ما يتعلق بالمستقبل، لا أعرف حقًا ما إذا كان موجودًا، لكنني لست متأكدًا من أنَّ الحاضر موجود أيضًا؟"

ثم التفت إلى مرفا كوداما وقال: "هل أصبحت وسيطًا روحيًا تلقائيًا؟"

عندما يتعلق الأمر بتحليل الصورة، وبالنظر إلى أنَّ أربعة عيون أفضل من اثنين، طلبت من إيفان النظر بعناية:

سألته: "ما الذي تراه؟"

قال: "بورخيسٌ متعب".

سألته: "متعبٌ من ماذا؟"

أجاب: "من كونه وسيطًا روحيًا تلقائيًا؟"

ميسينا

التعب، قلت: ثماني ساعات في حافلة إلى مدريد، ساعة واحدة بالمترو إلى مطار باراخاس، ساعتان بالطائرة إلى روما وساعة ونصف إلى كاتانيا ... وبضع ساعات متبقية بالحافلة إلى ميسينا. أقوم بإجراء هذه الحسابات بينما نطير فوق غطاء كثيف من السحابة يحجب المشهد أسفله. سرعان ما تفتح مؤخرة توراتية وتصفو السماء. لا بد أنَّ تلك هي الجزيرة. لكنني لست قادرًا على رؤية المشهد المضمون لفوهة جبل إتنا المهيب.

بمجرد الوصول إلى الأرض، تمنحنا الحرارة والرطوبة ترحيبًا حارًا. نظرًا لللكنات التي نسمعها من حولنا والمظهر العام للركاب، يبدو أنَّ السياحة الخارجية بشكلها الشامل لم تستوعب بعد هذه الزاوية من البحر الأبيض المتوسط، وقد ابتهجنا لذلك إلى حد ما. في عصرنا هذا، حيث تم اكتشاف أكثر الأماكن البعيدة، وأصبحنا نواجه خطر الاصطدام بأحد الأقارب أو الجيران في أكثر الوجهات غرابة، فإنَّ فكرة الوصول إلى جزيرة أقل شهرة هي فكرة مبهجة جدًا.

أخبرنا أحدهم أنَّ نسبة عالية من الأمتعة تفقد خلال الرحلة من روما أو ميلان إلى الجزيرة. لحسن الحظ، وصلت أمتعتنا بأمان وفي الوقت المحدد. تنتظرنا رو في الخارج بسعادة. حيتنا بحرارة مع العناق والقبلات وحمّلنا أمتعتنا على الحافلة. لا أتذكر سوى صور عابرة للحافلة؛ يلوح البحر بشكل كبير على جانب وتتناثر مساكن الإجازات على جانب الجبل مثل متسلقي جبالٍ على حافة الهاوية.

كان الظلام قد حل عندما وصلنا إلى ميسينا، "ميسينا المدمرة" لغوته. جمالها لا جدال فيه. تيار حزين يعبر مجمع قمامة، كلب طائش أجرب يخيم بالقرب من البرك، واجهات غير ملونة لمستودعات ومصانع مفلكنة يلتهم شعاراتها الصدأ، هذه هي انطباعاتي السلبية الأولية. ولكن مع اقترابنا من وسط المدينة، فإنَّ روحها المتوسطية وطريقتها الرائعة للجمع بين الكتل الحديثة الخشنة والخطوط المعقدة للمساكن المنخفضة، تمنحها على الأقل جوًا وديًا.

كتب سالفاتور كواسيمودو "أين كانت ميسينا على المياه البنفسجية بين الأسلاك المكسورة والآثار ..." أفترض أنه كان يشير إلى آثار الزلازل، التي يبدو أنَّ الشاعر اختبرها للمرة الأولى، لكنه يصف أيضًا مظهرها الحالي، الذي دمرته الزلازل الضخمة، ولم يتبقَّ سوى عدد قليل من الشهادات المعمارية عن روعة الماضي في هذه المدينة الساحلية، والتي يفضلها ومرت عليها الكثير من الكوارث منذ تأسيسها من قبل الإغريق؛ كالطاعون والكوليرا والكوارث الطبيعية كلها هزت المكان. يقولون إنَّ الزلزال، الذي حدث في عام 1908، تسبب في مقتل 60 ألف شخص، إضافة إلى ضحايا تفجيرات الحلفاء خلال الحرب العالمية الثانية. كان لا بد من إعادة بنائها بسرعة ودون عناية، مما أدى إلى التصميم العادي إلى حد ما لمبانيها وموقعها الغريب. يقول البعض إنَّ الهدف كان التقليل إلى الحد الأدنى من الضرر المحتمل، لتجنب تأثير الدومينو في حالة حدوث انهيار هائل.

في روايته "نساء مسينا"، يصف إليو فيتوريني، وهو أحد كُتَّاب الجزيرة، النساء المحرومات في المدينة وهنَّ ينقلن الحجارة بلا كلل، وكيف تتحول إحداهن عندما تسقط فوق بعض الأنقاض إلى رماد. "هذا المكان هو ابنة نهاية العالم، طائر الفينيق يولد من جديد من رماده".

بعد رؤية مساحة جيدة من التلال المنحدرة، وصلنا إلى ما سيكون مركز عملياتنا لبضعة أيام. إنها شقة جميلة وفسيحة ومريحة إلى حد ما مع مناظر جيدة. ذهب رفقاء شقة رو في إجازة وتركوا لنا غرفهم. بعد تفريغ الأمتعة والتنشط قليلاً، قررنا الخروج في نزهة بين المسرات الحضرية الهزيلة في المدينة: الكاتدرائية بكآبتها الفخورة، والصرح القديم لدار الجمارك والناجين من الزلازل الكبيرة - قصر كالاباج و أنونزيتا دي كاتالاني.

ستجد تلك الأشياء على خط سير الرحلة في المكاتب السياحية، ومع ذلك، كما لو كنت تتوقف لإلقاء نظرة على طفايات الحريق في المتحف، فقد أردنا اليوم رؤية المزيد: شرفة مرتفعة في زاوية، قصر مدمر يستحق الإنقاذ من الكرة المحطمة، وظلال التمثال الذي ينساب على الحائط، والرصيف البالي والمتعرج الذي يبدو أنه لا يؤدي إلى أي مكان. [مشاهدة أصدقائي يسعدون بكل هذه التفاصيل الدقيقة في المشهد، إلى جانب حماس كوننا سويًا بعد الكثير من الوقت، شكَّل كل هذا تلك اللحظة السحرية. بالكاد كنا هنا لبضع ساعات ولكنني علمت بالفعل أنَّ ميسينا، هذه المدينة البسيطة، ستظل محفورة في ذاكرتنا كمكان سعيد.

لا أعرف ما إذا كان الأمر ذا صلة - الأفكار متقلبة ولا تكاد تصل إلى هذه النقطة - لكنني أتذكر الآن فكرة طرحها إيتالو كالفينو، وهي أنه في حين أنَّ الجمال عادةً ما يكون محددًا بشكل جيد، إلا أنَّ القبح منتشر دائمًا. وأضيف أنَّ هذا التشتت، غموض القبح، هو ما يترك أمام أعيننا الطريق مفتوحًا للخلاص.

مجد بورخيس في كتابه حمى بوينس آيرس التحضر العاطفي الذي لا علاقة له بالمعايير التقليدية:

***ليست الشوارع الجشعة***

***التي تصارع الحشود وحركة المرور،***

***بل الحي الذي لا يحدث فيه شيء،***

***غير المرئي تقريبًا بقوة العادة، هو الذي سيظهر للأبد في الضوء الخافت للغروب...***

إنه يوم الخميس، شارع مليء بالحانات يتدفق خلاله الشباب جيئة وذهابًا. كلهم متأنقون، كما لو كانوا يريدون الظهور على عكس المشهد الحضري. بدا الرجال مفتولي العضلات بملابس المصممين والشعر الناعم، يرحبون ببعضهم بقبلتين ويعتمدون فورًا وقفة الآلهة اليونانية؛ بدت الفتيات أنيقات مثيرات ومتحمسات إلى حد كبير، وقد أكثرن من مساحيق التجميل. لا أحد يبدو وكأنه شخصية من فيلم العراب أو واحدة من نساء إليو فيتوريني المضحيات. بإمكانهم أن يكونوا البوم الليلي بأي مدينة أخرى في العالم. إنهم يغازلون ويشربون ويرقصون هنا كما يفعلون في أي مكان آخر.

بينما كنا نطلب بعض (كروكويت الأرز) وخبزًا بالثوم في حانة، كنت أفكر في حقيقة أننا نادرًا ما نحب المدينة التي تعدنا بها البطاقات البريدية وكتب الطاولة. يمكننا أن نطالب فقط بتلك المساحات التي غزوناها بخطواتنا المتواضعة، حجرًا بحجر، بقوة العادة أو نوع من الإغواء، المفاجئ أو اللطيف، والمتقلب دائمًا، رغم أي مبرر منطقي. قال أحدهم ذات مرة إنَّ أماكن مثل فينيسيا وفلورنسا وروما تنال الإعجاب دائمًا، لأنها تطالب بفرض ضريبة دهشة مشروعة في كل منعطف؛ وربما تقتصر مدن مثل ميسينا على غمزة تواطؤ يمكننا رؤيتها أو التغاضي عنها.

وبخني إيفان، "كفاك تضجرًا. ميسينا تستحق الرحلة، أم أنك لم تسمع بالقول؟ كيف لمدينة أن تكون قبيحة وهي تطل على المضيق. ينطبق هذا أيضًا على ألخِثيراس، وأنا متأكد أنك ستكون قاسيًا تجاهها بالقدر نفسه ".

ما قاله عن المضيق حقيقي، وعن ألخِثيراس أيضًا. في وقت لاحق، في الخارج من خلال شرفتنا، تنهدنا بسرور بمشهد ساحل كالابريا المضيء الذي يتكشف أمامنا. أعتقد أنَّ الكيلومترات الثلاثة التي تفصلنا عن شبه الجزيرة، قد ألهمت الأساطير المليئة بالبحار المروعة، والمدن الوحشية وغيرها من اللعنات منذ آلاف السنين، كلعبة نهاية العالم المخيفة. يدين أوديسيوس بذاته جزءًا من شهرته لحقيقة أنه كان أول من عبرها سالمًا. يقولون أيضًا إنَّ بعض الحيتان، التي يسهل الخلط بينها وبين الوحوش البحرية، تعبر أحيانًا هذه المياه. ومع ذلك، فإنَّ المشهد ليس له علاقة بهذه الخرافات اليوم.

نعتقد أنه لن يكون من الصعب السباحة عبر هذا البحر، لأنَّ الشاطئ الآخر يبدو قريبًا. وفي الوقت نفسه، سيتيح لنا المضيق، أكثر من تيار من المياه المالحة، وأن نشعر بالراحة والعزلة عن القارة، كما لو أننا نطير بعيدًا على نسيم مريح.

سالينا

اعتاد الرومان القول إنَّ الملاحة مهمة. ولكن لنتمكن من فعل ذلك يتوجب علينا الركض أولًا.

إنه منتصف الصباح، ونحن نعبر بسرعة الأرصفة في مسينا، وهو منحنى واضح أعطى المدينة اسمها الأول: Zancle (المنجل)، لقد تأخرنا كثيرًا بسبب الإفطار، وإذا لم نتحرك بسرعة سوف لن نلحق aliscafo (القارب المزعنف). لحسن الحظ، كان القارب هناك عندما وصلنا لاهثين إلى مكتب التذاكر. اتخذنا مقاعدنا وشعرنا بالمحركات تبدأ في التحرك في الماء تحتنا. بدأ القارب المزعنف بالارتفاع على الفور، وظهرت شفراته وهي تشق سطح الماء مثل مزلقة عملاقة.

توقفنا لفترة وجيزة في ريجيو كالابريا، على الجانب الآخر من المضيق، ثم اتجهنا نحو جزر أكوليان: الأرخبيل الذي حصل على اسمه من أكولوس هيبوتيس، إله الرياح، الذي عاش هناك محاطًا بالسعادة والوفرة. تتبعت أصابعي على الخريطة، وقبل أن أتحول إلى ملاحم هوميروس، استحضرت مشهدًا من مغامرة ستيفنسونية. أتذكر، عندما كنت طفلاً، كنت أحب رسم مناطق جغرافية وهمية مشابهة لهذه، عبر البحار الملونة بالشمع الأزرق؛ جزر على شكل فتات الخبز أو جماجم بحرية مع مخابئ القراصنة المعتادة. كنت أقوم بوصل الخطوط المتعرجة لتنتهي دائمًا في علامة X، والتي بموجبها سوف تدفن مخيلتي الصناديق المليئة بالكنوز. بعد ذلك، أقوم بحرق حواف الورقة بعناية، وأجعدها لتبدو قديمة، وكانت النتيجة أصلية تمامًا بالنسبة لي.

نترك الآن التنانير الخضراء لفوليانو، وسترومبولي البعيدة، والتي تبدو مثل نهد ملقى على غير هدى، لندخل إلى ليباري مارينا لارجا، والتي تشبه كثيرًا بارباروسا، في الرائحة المالحة والوحل، بينما يستسلم ما تبقى من رسام الخرائط الخيالي من طفولتي لانفجار الفرح.

تشير كا إلى أنه، في فترة زمنية قصيرة، مررنا بثلاث جزر محملة بأهمية سينمائية، تم تصوير فيلم سترومبولي الكلاسيكي لروسيليني على جزيرة تحمل الاسم نفسه، والذي كانت بطلته إنغريد بيرغمان. بعد ذلك بقليل، في عام 1950، حاول وليام ديترل أن يفعل الشيء ذاته مع فيلم بركان، من بطولة آنا ماغاني الجميلة، والذي حقق نجاحًا أقل. بعد أربعة عقود، عاد ناني موريتي إلى هذه الأجزاء في فيلم أصلي للغاية بعنوان Caro Diario (يومياتي العزيزة).

أنا أعرف هذا الفيلم الأخير فقط. يتجول موريتي في روما على دراجته النارية قبل أن يذهب إلى ليباري. بمجرد وصوله، يزور صديقًا يكرس حياته لدراسة رواية عوليس للكاتب جيمس جويس (مرجع ثقافي مناسب جدًا) ومشاهدة المسلسلات الدرامية. من ليباري ينطلقان في رحلة حول سالينا، سترومبولي، باناريا، أليكودي ... لا أتذكر جيدًا ما حدث لهما من مكان إلى آخر؛ أعتقد أنهما ذهبا بحثًا عن السلام والهدوء للكتابة والعزلة عن العالم وفي كل موقع تنتظرهم سلسلة من الحوادث والشخصيات الغريبة.

ما أتذكره جيدًا هو الزورق المزعنف الذي سافروا فيه، والذي كان مطابقًا للذي نسافر فيه.

يتعين علينا اختيار جزيرة لقضاء اليوم فيها، وقررنا بشكل اعتباطي سالينا، وهي جزيرة لا نعرف عنها سوى القليل. فقط إشارة قصيرة في فيلم "النمر" بواسطة البطل، فابريزيو، أمير سالينا حيث أشار إليها بوصفها "جزيرة الجبلين التوأم، ويحيط بها بحر من الأمواج البيضاء".

نقترب ونرى القمم المزدوجة، والتي هي نتاج انصهار نصف دزينة من المخاريط البركانية في واقع الأمر. بعد ثوانٍ، ينتهي الزروق المزعنف من تطريزه المغطى بالرغوة بالتوقف في ميناء سانتا مارينا.

الآن على أرض جافة، تتحرك مجموعة كبيرة من المراهقين أمامنا. إنهم في ذلك العمر الساذج، مُغطَّون بحب الشباب، و الأثداء المتكونة حديثًا والعضلات نصف المشكلة؛ أجانب ومصطافين، باستثناء ربما الفتى المحلي الغريب. يضحكون، يمشون دون أي تسرع، بل قد يشعرون بالملل قليلاً، ولا يدركون الترف الذي تقدمه لهم سن المراهقة؛ النقص المطلق للمسؤولية والإجازات اللامتناهية. عمرٌ مبارك لرسم أرخبيل القراصنة. الطريق إلى النضج له مزايا أخرى، لكن رؤية هؤلاء الأطفال تجعلني أعتقد أنهم لن يكونوا أبداً متحررين وبريئين مرة أخرى. قد يعطيهم بعض المنتجين أموالاً جيدة لتمثيل تتمة لمسلسل "الصيف الأزرق".

بعد ذلك بقليل، نذهب لإلقاء نظرة على مكتب سياحي يقدم بطاقات بريدية ورحلات مختلفة ونتعثر في موقف هزلي:

"متى يغادر الزورق الغواص ...؟" يسأل شابًا مرتبكًا إلى حد ما عند نافذة التذاكر، ويثير دهشة المرأة خلف العداد.

وترد، "الزروق المزعنف يا سيدي، المزعنف".

"بالتفكير في الأمر، فإنَّ السفر في جميع أنحاء الجزيرة في زورق غواصٍ يمكن أن يكون مَجدًا للحواس؟" علقت رو بسخرية.

"بالتأكيد، إذا كان بإمكانك تجاهل كل تلك الأشياء المزعجة لتلك البدائل تحت الماء"؛ تضحك كا. "من الأفضل أن تبقي قدميك على الأرض".

على الرغم من أنَّ مشروب سالينا الرسمي هو نبيذ مالفاسيا الكبير - وهو نوع من أنواع الكرز يتأثر بالتربة البركانية وأحبه الكثير من البَطَارِقَة الرومان - فإنَّ قسوة أيام يوليو هذا العام تجذبنا نحو غرانيتا مثلجة، والتي حولها الصقليون إلى شيء فني. طلبنا أربعَ، مع الكثير من القشدة، وتذوقناها قبل ركوب الحافلة من الميناء إلى الشاطئ.

زعق إيفان، "إلى أي شاطئ؟"

الطرق الخلفية من سالينا متعرجة وضيقة، ولكن المشاهد المبهرة التي يقدمها كل منعطف تعويض كافٍ. يقوم السائقون بالتعرق خلال المناورة، يطلقون دائمًا أبواقهم المزعجة ويحاولون عدم قلب الشاحنات الصغيرة التي تصادفهم على طول الطريق. بعد الاضطرار إلى تغيير الحافلة في مالفا، توقفنا في محطة تسمى بولارا واتجهنا نحو البحر عابرين بعض التضاريس الصخرية المنحدرة.

علامات صدئة مختلفة كتب عليها ممنوع الدخول. لكن رو تؤكد لنا أنَّ المحظورات في صقلية، وربما في بقية إيطاليا، تتمتع بطابع نسبي للغاية. كل شيء ممنوع، حسناً؛ ولكن إذا كنت ستفعل ذلك على أي حال، فاستعن بالسرعة ولا تسأل. لذلك وصلنا شاطئ بولارا، بشريطه الرقيق ذي اللون الأسود المليء بالحيوية، ورأينا زورقين يطفوان على السطح.

يبدو أنَّ كل الانزعاج الناجم عن الرحلة تلاشى في غمضة عين، لا توجد هواتف، ولا شيء عاجل، وبدا اليوم ممتدًا بسعادة، صخرة مثيرة للإعجاب وقفت أمامنا وألقت بظلالها حتى منتصف النهار، جفف إيفان و كا بعضهما بالمنشفة المشتركة. تفحصنا أنا ورو جلد بعضنا البعض مثل زوجين مزعجين.

يتمتع البحر المحيط هنا بشفافية كاريبية، تقطعه أسماك صغيرة ذات خطوط بنية لا تولي أي اهتمام لقرب البشر، يقترح إيفان أن نسبح إلى الجزيرة التي تبعد كيلومتر واحدًا تقريبًا. أنا أقبل دون تردد. نبدأ بالسباحة، ومع اتساع المسافة إلى الشاطئ، يكشف الجبل المتغطرس نفسه في الخلف، مترفًا، مليئًا بالألوان الخضراء المنعكسة في السحب المتغيرة التي تكشف عن جزء من الشمس.

تحت السطح يمكنني رؤية بعض أسماك المياه الضحلة وبقعًا وفيرة من النباتات تحت الماء والأحجار المصقولة الفاتحة والظلام وسلسلة من الأشكال الوردية غير الأنيقة التي تبدو مثل الأخطبوطات في البداية، لكن لا يمكن أن تكون أي شيء سوى قناديل البحر.

حالتي كمدخن كثير الجلوس أنهكتني في منتصف السباحة: أخشى أن رئتي لن تصمد حتى نصل إلى الجزيرة. ومع ذلك، أشعر بالسعادة وأنا مغمور في هذه المياه، يلفني هذا البحر التيراني بدقة، لا يوجد شيء أريده أقل من يقين الأرض. إذا كنت أرغب في تكريم بيتر غابرييل، فربما أبدأ في ابتلاع الماء وأطنطن يائسًا "لا تستسلم". قال لورانس دوريل، الذي كتب كتابًا طويلًا مستوحى من رحلته حول صقلية، إنَّ المياه هنا طعمها كالمحار والمحلول الملحي، أم أنها كالبحر؟ أنا الآن قلقٌ جدًا من سعادة لعب دور الساقي.

بعدها أبدأ بالتفكير في بورخيس وحبه غير المعروف للبحر، تلك الأبيات الحيوية منه تتبادر إلى الذهن كصوت تشجيع:

تذكر بورخيس صديقك، الذي يسبح فيك ...

وأنا أنظر خلفي، ليس فقط لإلقاء نظرة على كا ورو مثل نقطتين صغيرتين على مسافة بعيدة، ولكن أيضًا لأتذكر كم استمتعت بالبحر طوال فترة طفولتي، خلال فصل الصيف الذي لا ينتهي من تلك السنوات التي لا يمكن استرجاعها. مع مرور الوقت، يؤسفني أنني كبرت بعيدًا عن الماء، ويؤسفني أنني جففت.

لا أعرف كيف، لكننا وصلنا إلى الجزيرة الصغيرة. العشرات من الجروح الصغيرة في يدي من الحواف الحادة للأسماك الصدفية هي شهادة كبيرة. نظرًا لعدم وجود علامات "ممنوع" في مثل هذه التضاريس الوعرة، غمر إيفان الصخر بتيار عاجل من البول، ولم يكن هناك أحد لينتقد مثل هذا الترخيص المكاني. إنَّ التجول هنا يكفي لإرخاء أي عضلة عاصرة، مع جبل دي بوري من جهة، والحلقة المتآكلة الضخمة المنحوتة من بروز صخري من الجانب الآخر، مثل عين العملاق الذي يحدق في البحر المفتوح.

نعود إلى البنات، ونتناول الغداء المؤلف من البانيني ونغفو لفترة من الوقت. نعود إلى البحر مرة أخرى عندما تسير طيور النورس المتعجرفة والواثقة أمامنا جيئة وذهابًا، هذه المرة للوصول إلى خليج مجاور مليء بمزيد من السباحين، وبه بعض الأشكال الغريبة المنحوتة من الصخر، كشك لبيع المرطبات وكهف من العصر الحجري الحديث؛ ربما مركز صيد مهجور استعمره متنزهو اليوم.

في الطريق، يثبت البحر أنه مزعج إلى حد ما. تعاني كا من إصابة بواسطة قناديل البحر، والتي أنتجت طفحًا فوريًا على فخذها. البول هو الترياق الفوري، لكن من الذي يرغب في سكب قليل من حمض اليوريك على ساق صديقتنا؟ لقد تبول إيفان منذ قليل في الجزيرة؛ أنا ورو، من أجل تجنب الموقف المحرج، قررنا أن نسير وندعي عدم المبالاة.

لحسن الحظ، فهجمات قنديل البحر شائعة هنا. على الفور، وكتدبير مؤقت، قامت فتاة تجلس على منشفة بالقرب منا بسكب عصير من الصبار على فخذ كا. بعد فترة وجيزة، قدم لنا رواد الشاطئ الآخرون أكياس أمونيا؛ يبدو أنَّ الجميع يحمل واحدًا في حقيبته.

يقول إيفان بجدية، "كل نعيم له شياطينه".

لقد اكتشفنا أنَّ فيلم "ساعي البريد" قد تم تصويره في سالينا، على هذا الشاطئ في بولارا. وهو مستوحى من رواية أنطونيو سكارميتا، ويحكي قصة الصداقة بين ساعي البريد شبه الأمي والشاعر بابلو نيرودا، الذي استقر في البحر الأبيض المتوسط وعاش في هذا المنفى المريح. نعم، أتذكر الآن البطلين وهما يسيران على طول حافة هذا الخط الساحلي، ويستقران لمناقشة معنى الاستعارات. وكذلك الصيادون، الذين يدفعون قواربهم إلى الشاطئ عند الغسق نحو جزيرتنا - هي بالفعل جزيرتنا، وستظل دائمًا كذلك.

"يبدو المشهد من هنا غير حقيقي قليلًا؟" علقت رو.

"لم يكن باستطاعة ساعي البريد اجتياز هذا المكان بالصدفة، على طول هذا الشاطئ المنسي، ناهيك أن يفعلها على دراجته، ويحيي نيرودا وكأن شيئا لم يحدث".

"والسباحة في هذه المياه أيضًا"، قالت كا من بين أسنانها التي تصطك من شدة الألم.

يقاطعنا إيفان متهكمًا، "كفانا نيرودا، نحن هنا لأجل بورخيس، أفهمتم؟ ب-و-ر-خ-ي-س" ...

تقبلت هزيمتي، ولكنني أجبت أنه لا يزال هناك متسع من الوقت المتبقي، أو على الأقل آمل ذلك. غربت الشمس بسرعة وتوجب علينا الذهاب. خلال رحلة العودة ظللت أتصفح كتاب سيانا الأحمر الصغير، وأتساءل كيف يبدو كل مشهد الآن، وإذا كنت سأتمكن من جمعها جميعًا، دون استثناء، في دفتر ملاحظاتي.

فكرت أيضًا في الجزر؛ حول تنقل ناني موريتي من واحدة إلى الآخرى، لم يبدُ وكأنه مسافر يتنقل بل بدا وكأنه يفر من شيء لا نعلمه. بعض الأشياء في العزلة تجذبنا وتروعنا. وربما حقيقة أنَّ كل شيء، العظيم والمروع، تأتي من المصدر نفسه: البحر - اللغز الذي يوحد بقدر ما يفصل. ربما تكون جزر أكوليان حالة أكثر تطرفًا، نظرًا لأنها أرخبيل منفصل، يرتبط بدوره بجزيرة كبيرة - ليرسم العزلة البحتة.

الأدب لم يقاوم هذا الجذب. أراد توماس مور أن تكون اليوتوبيا جزيرة؛ شكك ويلز في حدود العلوم في جزيرة دكتور مورو. قام أدولفو بيوي كاساريس بوضع كتابه "اختراع موريل" في أراضٍ متشابهة بشكل متقارب؛ استخدم ديفو، ثم ويليام غولدينغ، الجزيرة بمثابة استعارة للعودة إلى أصول الحضارة؛ دي. أيتش. لورانس خلق عزلته في كتابه "الرجل الذي أحب الجزر" ... وهكذا تستمر القائمة.

لا أتذكر بورخيس وهو يشير كثيرًا إلى هذه الظواهر الجغرافية، باستثناء ربما الجزر الخضراء في دلتا تيغري، لكنه لم يتعب من إعلان إعجابه بأدب الجزر مثل بريطانيا وايرلندا واليابان وأيسلندا والأرخبيل اليوناني. بالنسبة للكثيرين، يبدو أنَّ الازدهار الثقافي لهذه الأماكن يرجع إلى الحاجة الملحة لإيجاد هويتهم وإعادة تأكيدها. رؤية أنفسهم محاطين بالمياه، ربما يسأل الإنسان بمزيد من الفضول أو القلق من هم، وما الذي ينتمون إليه. لا أعارض ذلك، لكن يبدو أنه تفسير غير كافٍ. إنَّ تأثير التقاليد اللغوية القوية، كما أعتقد، ضروري أيضًا، مدعومًا إذا أمكن بماضٍ إمبراطوري. هذا من شأنه أن يفسر لماذا، من بين أمور أخرى، جافا، مدغشقر، أو في الواقع، مالطا لم تترك إرثًا يصل إلى ذروة رصيفاتهم اللامعة.

في كوبا، التي قدمت بالتأكيد الكثير من الكتب الجيدة للعالم، رأيت بوضوح هذا التوازن المنعزل المميز بين الإعجاز والمأساوية. بينما يتحدث إليسيو دييغو عن كون الجزيرة محاطة بالربّ من جميع الجوانب، يشير زميله فيرغيليو بيريرا إلى "تعاسة أن تحيط بك المياه من جميع الجوانب. وبذلك، حيث يرى أحدهم الرب، يرى الآخر الشيطان.

"الخيال المتكرر للقارة النموذجية هو اللجوء إلى جزيرة، في حين أنَّ الجزيرة هي الهروب. هناك بالطبع استثناءات: لقد قابلت ذات مرة شاعرًا كوبيًا آخر، هو مانويل دياز مارتينيز، الذي ذهب إلى المنفى من أكبر جزر الأنتيل ليظهر في قادس، والتي يمكن اعتبارها جزيرة أخرى، وانتهى به الأمر بالعيش في جزر الكناري . سألته عما إذا كانت عقلية قاطن الجزيرة، في قضيته، مصيبة. وأجاب، "من المستحسن دائمًا أن تكون لديك جزيرة احتياطية".

على الرغم من أنَّ الزورق المزعنف ليس به سطح مفتوح، إلا أنَّ مؤخرته بها ممر مفتوح، تستخدم كمنطقة للتدخين. مرهقين وسعداء، نحن الأربعة نسمح لأنفسنا بالشعور بالرياح المتنافرة بينما ننتظر غروب الشمس الصاخب. لم نر مثل هذا البحر الهادئ، الذي بالكاد يكدره عبور القوارب.

قالت رو بتشكك، "أنا لست متأكدة .. هل كان هوميروس ليختار أن يحطّم سفينة أوديسيوس لولا هذه المياه؟

أضافت رو، "سأكون متفاجئة حقًا إذا كانت هناك عواصف عنيفة. بعد ظهر مثل هذا، من الأسهل بكثير أن نتخيل بطلنا آمنًا وسليمًا، ويستمتع بالمنظر من سفينته".

لا توجد وحوش بحرية أو صفارات إنذار في الأفق باستثناء أبواق الزورق المزعنف التي تحيي القوارب الصغيرة القليلة التي تعبر طريقنا. دون رغبة، أو بالأحرى، دون رغبة في تجنب ذلك، بدأت بتلاوة هذه القصيدة الرائعة لبورخيس:

***يقولون إنَّ عوليس متخم بالمعجزات،***

***يذرف دمع الحب عند رؤية إيثاكا***

***خضراء ومتواضعة. الفن هو تلك الإيثاكا***

***من الخلود الأخضر، وليست من المعجزات ...***

قاطعتني أصوات الطاقم:

"سترومبولي! سترومبولي!"

لا أستطيع أن أتذكر على وجه اليقين أي شيء من رحلة العودة؛ لا أحتفظ بأي شيء من هذا المشهد الأبدي الأخضر والمتواضع. أعرف فقط أنه أمام الرصيف في سكاري، الذي أضاءته شمس المغيب، شعرت بلمسة جريحة وألم حلو في معدتي. كما لو أنَّ قناديل البحر كانت تسبح في قلبي بصمت وغدر.

أيدي بورخيس ملتفة حول عصاه. وفقًا لكتالوج تمكنت من العثور عليه، إنها عصا قوية مصنوعة من الخشب الداكن، وهي نموذج مستقيم بمقبض على شكل حرف (T)، يوصى بها بشكل خاص للمستخدمين ذوي التركيز الضعيف أو التوازن.

في الخلفية، خارج نطاق التركيز قليلاً، ربطة عنق داكنة، قميص أبيض ذو ياقة بيضاء، بدلة سوداء لا تشوبها شائبة بأربعة أزرار على المعصم، وقلم يخرج من الجيب العلوي، رغم أنَّ بورخيس كان في هذه المرحلة يملي بدلاً من الكتابة ... ربما، كان القلم هدية رمزية.

تتعارض الأكف المجعدة بقوة مع الأصابع الناعمة، قليلة الشعر، رغم ذلك، تبدو الأظافر طويلة وغير مشذبة. كنت أراهن أنَّ المايسترو، مثلي، كان عليه أن يأخذ مقص الأظافر من حقيبة المرحاض في مطار روما.

تذكرني الصورة بمعرض جماعي للصور الفوتوغرافية التي رأيتها في بلد الوليد[[11]](#footnote-11) مع رو منذ وقت مضى. كانت تسمى La main (اليد) وكما يشير اسمها، فقد كانت عبارة عن سلسلة مما يمكنك تسميته "بورتريهات كفوف الأيدي". في البداية، كان من الممتع التعرف على المشاهير باستخدام كفوف أيديهم كدليل. بعد فترة من الزمن، أصبحت كمخلوقات دون مالكيها، أجزاء أصلية لكامل الكيانات المستقلة ذاتياً التي دعيت لتسجيل رسالتها. كان بعضها خشنًا، مهددًا، مداعِبًا، ضعيفًا، شريرًا، هشًّا، سمينًا، حتى جامدًا، لكنها لم تكن صامتة أبدًا.

أحاول سماع أيدي بورخيس، لكنني أعاني من تدخلات صقلية. مثل هذا التشبيه من سسياسيا:

***الأيدي التي تبدو مثل الجذور ...***

وبالفعل، يميل المرء إلى الخلط بين اللحم والخشب، كما لو كانت الأصابع امتدادًا لجذع القصب المستقيم.

أو من رواية بوفالينو Blind Argus أو (خرافات الذاكرة):

***منغلقة على عجرة العصا يدي القلة الغادرة ...***

سالينا أو هذا المقطع من ماسترو دون جيسوالدو لجيوفاني فيرغا.

***انظر، يالها من أيدٍ!***

حيث يعتقد القارئ حقًا أنه قادر على تصورها: كبيرة قاسية لا تقهر وتعبة. هناك حوار مع فيتاليانو برانكاتي حيث دور العصا علامة فريدة على الحياة:

***أترى هذه العصا؟ لا بد أن تدفن معي،***

***أريد أن آخذها إلى الآخرة في حالة***

***أنه بإمكاني أن أقابل نفسي***

***من خمسة عشر عامًا مضت!***

حتى بورخيس نفسه شتت تركيزي بتذكر عمله "ميلونجا من مانويل فلوريس"، الذي يصل إلى النقطة:

***أنظر إلى يدي في الفجر،***

***أنظر إلى الأوردة الموجودة هناك،***

***أنا أنظر إليهم بدهشة كما***

***أنظر إلى غريب ...***

أو هناك قصيدة، لا تقل ملاءمة، مكرسة لعصاه الشهيرة، والتي حافظ المايسترو على صداقة أبدية معها. كما سيضيف حزينًا، "***لا تدرك الأشياء وجود الشخص***":

***على الرغم من سلطتها وثباتها، إلا أنها***

***خفيفة بشكل غريب ...***

كلمات، كلمات، كلمات. لا شيء ملموس. أسمع. لا شيء. باهتمام أكبر. أشعل سيجارة. الصمت. هيا، أسألهم، أخبروني. شيئًا، أي شيء. لا يمكنني إنهاء هذا الفصل بهذا الشكل.

لكنها بقيت هناك، مثبتة على عصاهـ، مثل مخالب طائر أسطوري تحط على فرع.

"أيدي السيمُرغ[[12]](#footnote-12)" ... لاحظت،

انتظرت مدة أطول، ثنيت أذني أقرب للورقة، لا شيء.

في تلك اللحظة، أتذكر المقاطع الأربعة الترحيبية التي تشكل أعماله الكاملة، ومجلد عمله التعاوني، كتب المقابلات والمحادثات، وسلسلة لا تنتهي من العناوين المكتوبة عنه وعن كتاباته، والتي تحني أرفف مكتبتي. وأنا أفهم أنَّ هذه الأيدي المتعبة، أيدي بورخيس في باليرمو عام 1984، أيدي رجل سيلفظ أنفاسه الأخيرة بعد عامين فقط، يمكن أن تحمل رسالة واحدة فقط: لقد قالت بالفعل كل ما يتوجب عليها قوله.

**بورخيس في صقلية**

**مع مرشدٍ أعمى**

**---**

**مسينا ، أسرالى، أغنان، باغني**

أخبارٌ سيئة يا جماعة. لقد نسيت رخصة قيادتي في إسبانيا.

تجمد الطعام في أفواهنا، كانت كا سائقتنا المخلصة، ملكة الإسفلت التي خططنا لأن تقودنا بجميع أنحاء الجزيرة. لأننا لو اعتمدنا على الحافلات والقطارات، فسوف نفقد الكثير من الوقت في المحطات. أنا ورو لا نعرف كيف نقود سيارة اصطدامية حتى. بالنسبة لإيفان .. حسنًا، لدى إيفان رخصة قيادة، لكن تهوره السافر يخيفنا جدًا. حتى إنه اندهش عندما اتجهت إليه أعيننا، علاوة على ذلك، لا يمكننا الاعتماد عليه في كل الأماكن التي يتعين علينا تغطيتها.

حاولنا الارتجال والانقسام إلى مجموعتين. سوف أذهب أنا وإيفان إلى الميناء لاستئجار سيارة، بينما ستحاول رو وكا تقديم تقرير سرقة كاذب لرخصة قيادة كا. إذا حصلتا على المستند، فلن تكون هناك مشكلة إذا أوقفتنا شرطة المرور. مكتب تأجير السيارات ليس بعيدًا عن المنزل، لذلك، وفقًا للعادات الصقلية (أو بالتأكيد منطقة البحر الأبيض المتوسط بأكملها، من سبتة إلى اليونان)، قررنا التنزه على طول سلسلة من المنحدرات والدرجات التي **كان سيسيفوس في إنسانيته**. بعد تسليم المستندات اللازمة وتوقيع الضمانات المطلوبة، قام شخص ودود في محل "اجِّر سيارة" بتسليمنا مفاتيح فيات بونتو رسميًا. وأكد لنا أنها جديدة. بحثنا في المرآب حتى عثرنا عليها. لم تكن جديدة بالضبط، ولكنها بالتأكيد فضية ولامعة.

اتصلنا بالفتيات على الفور وأطلعناهن على الأخبار الجيدة بلغة لاتينية غير تقليدية:

"لدينا آلة!"

لم يحالفهن الحظ مثلنا؛ فقد وضع الكارابينييري (رجل الشرطة) المتشكك، كلَّ العقبات في طريق إتمام التقرير المطلوب.

سيصبح إيفان سائقنا الموقت. ملأنا صندوق السيارة، ربطنا الأحزمة وواجهنا الطريق السريع بالقلق الأحمق الذي يُسَرع دقات القلب في بداية أي مغامرة صغيرة. شعرنا الآن أننا أفضل من غوته، أعظم من موباسان. بأننا فاتحو تريناكريا الحقيقيون، رواد الكون.

الريف الصقلي قادر على تلبية جميع الأذواق. تذكرنا أنا وإيفان المشاهد الأندلسية، بينما وجدت رو وكا أنه يذكرهن بقشتالة. ومع ذلك، فاليد العليا لنا نحن الجنوبيون، ننتقل من غياري نحو ريبوستو ونتبع خط الساحل. البحر مختلف دائمًا، يخُصنا دائمًا.

بدأ إيفان يحس بضيقٍ من زحمة المرور في الجزيرة، التجاوز المستمر، كسر الإشارة، نفخ البوق، الهجمات والإشارات الغامضة التي من شأنها أن تجعل السائق الأكثر اعتدالًا يصل إلى نقطة الانهيار. الطريق ضيق للغاية، والأشخاص وراء عجلة القيادة جريئون للغاية. على الرغم من ذلك، من خلال آلية غريبة كتقلصات البطين والغذاء، تتدفق حركة المرور. تتدفق ببساطة وبأعجوبة.

أخذنا استراحة مريحة في أسرالي لأننا أحسسنا بالجوع والاختناق بسبب الحرارة، لكنيّ لم أجد شيئًا يسترعي انتباهي؛ لا المشي عبر شوارعها المشمسة، ولا منظر الكاتدرائية ببرجها غير المكتمل، أو قصور الباروك من حولها أو بانوراما حدائق بلفيدير، والتي اختفت من أمامنا فجأة بسبب وصول سربٍ من السياح. كل شيء نظيف ومريحٌ للغاية، ولكن ربما يكون اليوم الذي قضيناه على الشاطئ أمس قد خفف من حواسنا كثيرًا، وربما نتمنى أن تمتلك صقلية غرائبية لا تتوافق مع الواقع - تظل الحقيقة أننا نرى القليل حين تتوقف الزوبعة.

لتعزية نفسي قرأت عن أسرالي، ويبدو أنها تتشارك إرثًا زلزاليًا مع مسينا. يونانية في أصلها، بيزنطية في روعتها، لكنَّ زلزالًا في القرن الثاني عشر دمر مدينة آسيس القديمة دون ترك أي حجر. أضاف فيليب الرابع ملك إسبانيا ملحقًا في وقت لاحق وباعه بعدم اكتراثٍ تام بعد بضع سنوات. مر الوقت وحدث زلزالٌ آخر في المكان، لكنَّ السكان المحليين شعروا بارتباط قوي بالمكان لدرجة أنهم، وبفضل التخطيط الجيد، لم يرتاحوا إلى أن أعادوا إعمارها مرة أخرى. هناك وفرة من الكنائس في المنطقة، حتى انتهى الأمر بتسمية أسرالي باسم مدينة مئات الأجراس، أو "فاتيكان الجنوب"، ولابد أنَّ ذلك كان نتيجة شعور السكان بالحاجة إلى الحماية الإلهية. كتدفق مونوبولي روحانية: شكرًا لإبقائنا أحياء، نبني كنيسة؛ ولنبني أخرى لتحمينا من الكارثة التالية. وهكذا حتى يومنا هذا.

بينما أتذوق النكهة الحلوة والمركزة للآيس كريم المشهور الذي يتم إنتاجه هنا، كطفاية طوارئ في الوقت المناسب لحناجرنا المحترقة، لفت تمثال جميل انتباهي. يمثل التمثال أسطورة غالاتيا[[13]](#footnote-13)، النيريد التي رفضت بوليفيموس لأجل فتاها المحبوب آسيس، الذي أعطى بدوره اسمه إلى البلدة والمستوطنات القريبة الأخرى، مثل آسي تريزا (التي تقع فيها أحداث رواية جيوفاني فيرغا "المنزل بجوار شجرة المشملة") أو آسي كاستيلو.

لسوء الحظ، لم يتردد العملاق المغبون عن قتل منافسه تحت الصخرة: مقدمة مبكرة لجرائم العاطفة التي أصابت العالم اللاتيني بكل حزن. ومع ذلك، فإنَّ الآلهة، لتجنب وصفهم بأنهم منحازون أو كسولون، خلقوا نهرًا من الماء الصافي من دمه، ليتمكن من مقابلة غالاتيا في البحر.

قال إيفان وهو يعرض علينا كتيبًا سياحيًا: "ربما تكون مصادفة، لكن القوا نظرة على هذا. أسرالي، مدينة ينابيع. تذخر ينابيعها بالكبريتيك، كلوريد الصوديوم، اليود والمياه الإشعاعية ... التي تعالج الأمراض الجلدية، الروماتيزمية وأمراض الجهاز التنفسي".

قالت رو، "ووفقًا لهوميروس فهي تعالج المشاكل العاطفية أيضًا".

تمتمت كا، بطريقة تهكمية هيركليتية، "أتعجب، هل بإمكاننا الاغتسال في المحبوب نفسه مرتين؟"

أنا متأكد من أنَّ جميع هذه الانبعاثات العلاجية سببها قربنا من بركان ماونت إتنا، ولكن من المفيد الاعتقاد بأننا في الفناء الخلفي لغالاتيا؛ التي ألهمت الكثير من الشعراء الإنجيليين العاديين، ولكنها ألهمت أيضًا سرفانتس ولويس دي جونجورا.

سأل إيفان، "هل كانوا يعرفون صقلية فعلًا، أم كتبوا عنها من خلال كتابات أخرى؟"

"يبدو أنَّ كاتب دون كيخوتي[[14]](#footnote-14) قضى الكثير من الوقت في مسينا وبالرمو، بينما كان يجهز لمعركة ليبانت، أعرف أيضًا أنه كرس بضع أبيات من قصيدة لشاعر صقلي التقاه في السجن، كان اسمه أنطونيو فينيزيانو، أو فينيزياني ..."

"وجونجورا؟"

"لم يأتِ جونجورا إلى هنا. جاء دي كيفيدو[[15]](#footnote-15) بالتأكيد، فقد كان يعمل كدبلوماسي في الجزيرة. لكنني أتذكر أنَّ جونجورا القرطبي وصف الجزيرة ببعض الصور المدهشة والمقنعة، مثل "كأس باخوس" و"حديقة بومونا"؛

أنا لا أجادل. بالتأكيد، وجد بورخيس أنَّ بوليفيموس التي كتبها جونجورا، سيئةً بشكل لا يقبل الجدل. حتى إنه لامه على الكتابة دائمًا عن الأساطير التي لم يكن يؤمن بها حتى. أعتقد أنَّ المايسترو كان يفضل أيضًا المناظر الطبيعية البسيطة لأسرالي على الآليات اللفظية المعقدة في العصر الذهبي لإسبانيا.

ومع ذلك، فقد ترسخ الطراز الباروكي بعمق في صقلية والأندلس وفي أمريكا اللاتينية، بحيث يمر عبر كل جانب من جوانب حياتنا تقريبًا، على الرغم من أنَّ كل منطقة تظهر خصائصها الخاصة. لقد حظيت بحديثٍ مثيرٍ للاهتمام حول هذا الموضوع مؤخرًا مع إدموندو دينويس، وهو كاتب كوبي آخر أقدره كثيرًا. لقد تحدث عن الباروك التاريخي باعتباره دفاعًا مسيحيًا ضد الفردية والعقلانية الاقتصادية، وقال بصوته الأجش، "تتبَّعْ الخمس وتسعين رسالة علمية التي علقها لوثر على باب كنيسة فيتن بيرغ. بينما تم إنشاء هذا الاتجاه في الجزء الأكبر من أوروبا من مواقع القوة، كانت اللغة تتغير أيضًا، كما هو الحال بالنسبة لأعمال دي كيفيدو المشحوذة كالألماس وأعمال جونجورا التي تبدو كالألئ الزلقة، وفقًا لصديقي: قلعة مصنوعة من ألقاب في طريق الحرب. وأضاف "المشكلة هي أنَّ الطراز الباروكي مسلٍ، لكنه ليس كاشفًا. لقد فزنا بالكلمات. ولكن هذا لا يكفي".

حيث يتقيأ البحر الصقلي زبده، فإنَّ قدم ليلبكو ذات الحذاء الفضي هي أيضًا سماء فورج فولكان[[16]](#footnote-16) ...

يظهر البحر مرة أخرى، دون أي أثر للخيول البيضاء لجونجورا، مثل علبة من الزئبق في هذا الصباح الحار حيث الهواء ثقيل. انظر حولي وألاحظ حقًا الحوار المتناغم بين البر والبحر، وهو نموذج شائع للبحر الأبيض المتوسط بخلفية تفتقر إلى الطراز الباروكي. من المضحك كيف تزدهر الأساطير العجيبة في أماكن مثل هذه، والتي هي بسيطة لدرجة أنها تبدو وكأنها تمارين على الأسلوب بواسطة فنان مناظر طبيعية مغرور.

حاول إيفان إغاظتي، "أعتقد أنها غلطتكم أيها الكُتَّاب، لأنَّ اللغة الصريحة للطبيعة الأم تبسيطية جدًا بالنسبة لكم، لذلك تبدأون بتحريف العبارات البلاغية حتى لا تصبح خلاصاتكم التخيلية قادرة على تمييز خشب الأشجار".

واصلنا رحلتنا في اتجاه سيراكيوز، لنمر بالمكان الذي استغل فيه بوليفيموس حيله القديمة. أعمى أوديسيوس، حيث بدأ بإلقاء الحجارة على القوارب التي كان البطل ورفاقه يفرون عبرها، بينما كان يصرخ في أبيه، بوسيدون، للانتقام من تلك الإهانة بجعل رحلتهم مستحيلة. وقد نجحوا في الهروب بأمان وسلام، لكن القذائف التي قذفها العملاق المجروح ما زالت موجودة اليوم كصخور عملاقة، أو على الأقل وفقًا للأسطورة الشعبية.

يجب أن أعترف أنه منذ قراءة أول نسخة مختصرة من كتاب "الأوديسة" (أنتمي إلى جيل تعرف على الكلاسيكيات من خلال كتب الجيب، إن لم يكن في الرسوم المتحركة)، شعرت بتعاطفٍ حقيقي مع هذه الشخصية التي كنت أتصورها دائمًا عملاقًا ساذجًا دون حقد، ولكنه على كل حال رُسم بشراسة بواسطة هوميروس. حقيقة أنَّ أوديسيوس خدع العملاق من خلال إيهامه أنه نكرة، جعله يثمل وهرب من كهفه قبل تنفيذ ما تبقى من خطته الماكرة، كان لها تأثير إلى حد ما؛ لكن إدخال وتد خلال عينه الوحيدة بدت قساوة غير ضرورية بالنسبة لي - وحشية. لا بد أنَّ المبدعين الحاليين لإصدارات الأطفال يتفقون معي، لأنَّ النسخ الحديثة التي رأيتها بين يدي أبناء أخي، في ذروة الإغواء الملطف، تشير فقط إلى أنَّ البطل خدع بوليفيموس. المزيد من الصواب السياسي وسيتحول هذا الحدث إلى انفصال بسيط في الشبكية.

لست متأكدًا مما إذا كان هذا إجراءً كافيًا للعدالة، لكن القارب الصغير الذي يقدم الآن رحلات على طول الساحل حتى كاتانيا، يُعرف باسم "فابوريتو بوليفيموس". أن تكون لك عين واحدة وسط ثراء البحر المتوسط هو خسارة لتوازنك؛ ومع ذلك، أن تكون أعمى، وتحرم من العالم المتنوع، كما يقول بورخيس، قد يعني شيئًا أكثر من فقدان المشهد. مع فقدان بصره، قد يفقد العملاق المسكين، الذي يتخبط في الظلام جزءًا من كيانه، وهو الاختيار الحقيقي للاعتراف بنفسه في محيطه - وهو أمر يعرفه المايسترو الأرجنتيني جيدًا.

حذرتنا رو، "لا تبدو إتنا عنيفة من هنا، لكن هناك أسباب كافية للخوف منها".

قالت كا، "إذا كان لدينا وقت، فأنا أود محاولة الوصول إلى القمة. على الرغم من أنَّ ما أرغب في رؤيته حقًا هو أنَّ الحمم البركانية تتدفق إلى الأسفل في الليل، كما في الأفلام الوثائقية".

قال إيفان جزعًا، "لا تعطيه أفكارًا، كلما كانت رحلتنا أكثر هدوءًا، كانت أكثر جاذبية".

أوشكنا على نسيان الشاطئ مع كل تلك الدردشة. نزلنا نحو أغنان باغني، والتي بدت مخيبة جدًا للآمال عن قرب. الرمال مغطاة بمجموعة كبيرة من القمامة والأوساخ. قناديل البحر الكبيرة علقت على قمة الأمواج ولذلك ينصح بعدم السباحة. على الرغم من كل هذا، فإن غَمْرَ أقدامي في مثل هذه التضاريس العدائية، وتَركَ آثار أقدامي على الشاطئ مع رو؛ جعلاني أشعر بالرضا حتى وقت متأخر من الليل.

كل شيء هادئ ونواصل العمل وفقًا للخطة؛ تتدحرج عجلات العربة الفيات بونتو على طول الطريق. وفي باطن الأرض البركاني، لا شك أنَّ دماء آسيس، ابن فون، تتبع مجراها.

في منتصف الطريق، قررنا التوقف للسباحة في المياه البلورية، التي رصدناها من بعيد، مع ظهور صورة ظلية رائعة لإتنا في الخلفية.

أعلق، "البركان أيضًا ينبوع لا ينضب من الأساطير. يقول البعض إنَّ زيوس، عندما قاتل الجبابرة، ألقى إعصارًا في وسط الأرض، وإنه لا يزال يبصق حممًا بركانية عندما يغضب. يقول آخرون كيف أعد فولكان كير الحداد هنا، وسمح لفيلاسكويز بتصويره بينما يستخدم مطرقته؛ لا يمكننا أن ننسى أيضًا إمبيدوكليس، الذي ضحى بنفسه بالقفز في الحفرة، ولم يترك سوى زوج من الصنادل الذهبية التي بصقها البركان المزدري سريعًا".

**سيراكيوز**

كُتب الكثير حول أوجه التشابه بين قادس ومدن مثل هافانا أو كارتاخينا دي إندياس أو فيرا كروز أو سان خوان في بورتوريكو. ومع ذلك، لا يوجد شيء أعرفه بخصوص سيراكيوز، أو المكان الذي يظهر كجوهرة في تاج كتاب صلاة صقلي، وهو جزء من المدينة يعرف باسم أورتيغا. الشيء نفسه كما هو الحال هنا، مسقط رأسي هي جزيرة مرتبطة بشكل أو بآخر مع تيرا فيرما، وكلاهما كان محصورًا لصد المعتدين الذين أتوا من المحيط، كلاهما يظهر روعة الحضارات القديمة وانحدارها. قد يكون كل هذا من قبيل الصدفة، لكن الهواء والزوايا، الشقوق، البحر نفسه والنظرات من الناس، تبدو جميعها وكأنها ترحب بي بألفة مؤثرة.

النصف الآخر من سيراكيوز، الذي يطلق عليه في الواقع تيرا فيرما، لا يفيض بالمباهج. ومع ذلك، يكفي عبور كورسو أومبرتو الأول، والعبور فوق الجسر الذي يقسم الرصيف إلى قسمين للدخول إلى أورتيغا، مكان يتميز بالسحر الفريد والإضاءة الهادئة.

نقف بجانب معبد أبولو المدمر، بأعمدته القوية المحطمة، ونبحث عن مكان للسكن. في مكان قريب، تقول لافتة باهتة معلقة على شرفة: فندق **فيلادلفيا** مصحوبة برقم هاتف مطبوع باليد. في المدخل أدناه، لا يوجد أي أثر لأي شيء، ولا حتى اللوحة الصغيرة الكلاسيكية التي تعرض النجوم أو المفاتيح التي تشير إلى جودة المنشأة.

سألت رو، "ماذا تعتقدون؟ أعلينا أن نجربه؟"

طلبنا الرقم ورن الهاتف. على الجانب الآخر من المكالمة صوت أنثوي يخبرنا بأنها ستأتي على الفور.

لم تمر خمس دقائق حتى وصلت سيدة شابة جميلة ودودة، يصعب تمييز عمرها. أرتنا الغرف: كانت رائعة، ذات سقوف عالية، تبدو كيتشية لذائقتنا قليلًا، لكن أسعارها معقولة جدًا. حالما استقرينا، استحممنا وغيرنا ملابسنا. حل الغسق، ذهبنا في نزهة على طول الشوارع، وربما كان جوها الأروع في صقلية.

من أبعد المناطق في العصور القديمة، كانت أورتيغا كذلك موقعًا رئيسيًا للفينيقيين والإغريق، إلا أنَّ أساسها الحقيقي يرجع إلى أهل كورنثوس. كانت محاطة بالمستعمرات في المناطق الداخلية وتم تشييدها كعاصمة لماغنا غراسيا. في أوجها اعتمدت بعض الأسماء البارزة، مثل إيشيلوس وبيندار، وتمكنت من هزيمة أثينا في صراع. بعدها أتى الهجوم القرطاجي والحصار الروماني، مما منح أرخميدس الفرصة لتجربة آلات الحرب الشهيرة، رغم أن لا شيء يمكن أن يوقف روما عن عزل البلدة وأخذ ثرواتها من معابدها. كان هناك العديد من الهجمات الأخرى: الفاندال، القوط، البيزنطيين والعرب. كان هناك أيضًا النورمان، الذين نقلوا العاصمة إلى باليرمو، ومن ثم أعيدت إلى سيراكيوز تحت حكم الأراغون. عزز كارلوس الخامس الجدران المحيطة بالجزيرة لصد قراصنة البربر. إذا لم تكن هذه المصائب كافية، فالفقر تنامى عبر الضرائب التعسفية، كان للطاعون والزلازل أثرها ما بين القرنين الخامس عشر والثامن عشر. عندما حل القرن التاسع عشر بدأت المدينة في العودة إلى شيء يشابه حالتها الأصلية، مزدهرة وإيجابية. هذا التعدي الرهيب من المعتدين، الذي استمر لقرون، لم يمنع سيراكيوز من الابتسام لنا هذا المساء.

قالت رو بينما بدأت بهمهمة أغنية لمحبوبها إيف مونتان، "سيراكيوز ... حتى اسمها يبدو محببًا! سيراكيوووووز"

لا بد أنَّ ليوناردو سساسيا الجزيري من داخله قد أحب المدينة واسمها. فقد قال ذات مرة، "بالنسبة لصقلي من المركز فإنَّ سيراكيوز تحمل زخرفة شرقية في مقاطعها الصوتية، هناك يكتشف الصقلي القاسي، الخشن والمتواضع الأنوار مضاءة والأصوات متناسقة". يرتاب الصقلي من أي حميمية مع الطبيعة. ويبدو أنَّ سيراكيوز تلخص تضحية رمزية وسرية للحميمية المتحققة. لا زلنا نحاول التعرف على الصقلي المركزي، ولست متأكدًا لو أنني فهمت الفكرة الأخيرة، رمزية الحميمية، لكنني لا أملك أدنى شك أنَّ سيراكيوز هي حبٌ من النظرة الأولى، سعادة لحظية تخطفُ الحواس.

تنقلنا بجانب المرسى، مرسى اليخوت الضخمة الذي تحيط به أكشاك بيع الكتب**، وتجولنا** على طول فورو إيطاليطو، المليء بالمارة في هذه الساعة من المساء. يبحر قارب أمامنا. من بين الأمواج الاسمنتية المتقطعة في البحر، تشكلت برك صغيرة خضراء من المياه. طفت الأشعة الأخيرة من الضوء في الأفق. يوجد عدد قليل من البط الذي ضل طريقه، وهرب من نافورة آرتوسا الجميلة، يلتقط الطحلب.

قالت رو بلهجة علمية "آرتوسا هي الحورية التي فازت بقلب الصياد ألفوس. ووفقًا لأوفيد وفيرغيل والشعراء الآخرين، فإنَّ الآلهة أرتميس حولتها إلى نافورة حتى يتوقف عاشقها، الذي كان يبدو خطيرًا بعض الشيء، عن تعذيبها. ومع ذلك، فإَنَّ الرجل كان عنيدًا جدًا، فقد تحول إلى نهر سري، وتبعها إلى هنا من اليونان حتى يتمكن من الاختلاط بمياهها.

تنحنحت كا، "لم يكن هناك أحد ليفرض عليه أمرًا تقييديًا".

قررنا لعب واحدة من أكثر الألعاب مناسبة للتعرف على أورتيغا وهي التجول بشكل عشوائي في شوارعها. أدرنا ظهورنا إلى البحر وتركنا أنفسنا لما يمكن أن يكون الجزء الذي يرجع تاريخه إلى العصور الوسطى من قادس، على الرغم من كونه أكثر تدهورًا وظلامًا. إذا كانت باليرمو، كما تقول رو، عاصمة للسقالات، ومسينا الأرينشيني[[17]](#footnote-17) وريغيو نوافذ المتاجر، فإَّنَّ سيراكيوز هي بلا شك عاصمة الشرفات. أن تتجول وعيناك على الأرصفة يعد خطيئة لا تغتفر.

واحدة من المسرات البدائية، إن لم تكن الأفضل، هي إشخاص نظرك نحو آلاف الشرفات التي تبجل الواجهات، والتي يبدو أنها تتشقق مثل الخبز أمام أعيننا، لتشكل صناديق عمودية. حتى أبسطها تتخللها بعض التفاصيل أو التصميم أو الشكل الذي يميزها. يتحدث الشاعر في العصر الحديث، الذي يعجبني كثيرًا، وهو البولندي آدم زاجاجيفسكي، عن إحدى قصائده المكرسة للجزيرة:

***المدينة ذات الاسم المحبب جدًا، سيراكيوز؛***

***لا تدعيني أنسى***

***العصور القديمة***

***المعتمة لأزقتك الجانبية، الشرفات الناتئة***

***التي سجنت سابقًا السيدات الإسبانيات ...***

إنه لأمر مخزٍ أن يهدد التحضر التأملي، مثله مثل إسبانيا، الشرفة كعنصر معماري يوشك على الانقراض. لا يبدو أنَّ مساحة الأرضية المربعة بالمتر المربع الفاضحة مهيأة للسماح لنفسها بهذه الرفاهية، لتتحول هذه الميزة إلى هدف لا يمكن الحصول عليه.

بعد التجول هنا وهناك، وصلنا إلى ساحة أرخميدس، التي تقف بجانبها نافورة أرتميس؛ ومنحوتة ديانا الصيادة التي نحتها جوليو موشيتي في نهاية القرن التاسع عشر. رغم ذلك لا يتسارع نبضي عند الكتابة، معذرة لأعمال مايكل أنجلو وبرنيني، فهي واحدة من أكثر المجموعات المنحوتة جاذبيةً التي رأيتها ويغمرني شعور بالمتعة الجمالية العميقة وأنا أراقب التوتر الناجم عن المركز الحساس للإلهة، ضد قصر النظر الوحشي للتريتون وصفارات الإنذار المصاحبة.

أرتميس توأم أبوللو، إلهة الصيد والبرية، معبودة القمر، قدمت الكثير من المواد للفن والأدب، لذلك أجلد أصدقائي مرة أخرى باقتباس بورخيسي:

"أعلم أّنَّ القمر بالنسبة لشكسبير، كان أقل من قمر ديانا[[18]](#footnote-18) وقمر ديانا أقل من تلك الكلمة الغامضة التي لا تزال قائمة: القمر".

"هذه الكلمة الغامضة التي لا تزال قائمة ... يكرر شخص ما، بينما يبحث عن الجسم النجمي في السماء، حتى يجده، معلقًا بشكل جميل فوق رأس الإلهة. لمرة واحدة، وبدون وضع سابقة، لا يوجد هجوم مضاد به اللوم الأنتي-بورخيسي.

تتبعنا خطواتنا خلال الطرق البيضاوية الصغيرة للزقاق حتى توقفنا في ميدان بيازا ديل دومو، وهو قوس هائل مفتوح للعائلات، المراهقين والزوار المارة. لا أعرف مساحة عامة مثالية مثل هذه المساحة باستثناء ساحة بيازا ديل كامبو في سيينا. إنَّ الإحساس بالرحابة، والهواء الذي يعطيه أيٌ من مداخله، فريد من نوعه. حتى الإضاءة في الليل، والتي لن تكون كافية بالنسبة للكثيرين، تخلق لعبة جميلة من الصور الظلية الخلفية بين عربات الأطفال.

لاحظت كا مهووسة السينما خاصتنا، أنَّ غالبية فيلم مالينا تم تصويره هنا. الفيلم، الذي كان أحيانًا رقيقًا وقاسيًا، قامت ببطولته مونيكا بيلوتشي التي لعبت دورًا رئيسيًا متعجرفًا. على الرغم من أنَّ جمالها الفخم يميل إلى التغلب على كل شيء من حوله، إذا ركز المرء على التفاصيل، فإنه لا لبس فيها: كانت ساحة بيازا ديل دومو بلا شك موقعًا لقصة تورناتور العظيمة للبؤس البشري والخلاص. يذكرنا الفيلم أيضًا بأنَّ صقلية عوقبت بشدة جراء القصف خلال الحرب العالمية الثانية. حيث نرى، اليوم، الهيئات البطيئة للمشاة، قام المخرج بلف الظلال المهددة للطائرات. فجأة شعرت بقشعريرة، رغم أنها استمرت للحظة فقط. تحولت القشعريرة المفاجئة إلى مزيج غريب من السخط والحزن، والذي تلاشى بسرعة.

نحن نقترب من الكاتدرائية التي كانت ذات يوم معبدًا تكريميًا لأثينا وما زالت تحتفظ بأعمدتها الأصلية سليمة. لم أر شيئًا مماثلًا - وبلا شك، إذا حاول شخص ما وصفه لي، فستبدو فكرة غريبة للغاية - معبد يوناني داخل كنيسة! صقلية، الأرض حيث لا شيء كما يبدو، نقيًا وبسيطًا.

كتب دوريل عندما زار المكان، "لأول مرة في حياتي لم أشعر بمعارضتي للمسيحية". كثير من الذين يزورون مِسكيتا[[19]](#footnote-19) في قرطبة أو غيرالدا في إشبيلية يفكرون بشيء من هذا القبيل. ليس هناك شك في أنَّ الكنيسة الكاثوليكية تعرف كيف ترمِمُ المباني. في سيراكيوز واجهة الكاتدرائية، تبدو كقناع باروكي مفزع وباذخ، يحيي كل من يأتي للجلوس على عتباتها.

على حافة الرصيف، جمعت التماثيل الحية، لبائعي الحلي وفناني السيرك جمهورها. ومع ذلك، يظل المصباح المنفصل إلى جانب واحد معزولًا، حيث لا أحد يمشي بجانبه، كما لو كان مضاءًا لتكريم الوحدة. لقد تبادلنا أنا ورو نظرة عميقة متواطئة، "دعنا نذهب!"، وركضنا لنلقي أذرعنا حوله معًا، لنغتسل تحت أشعته اليتيمة بينما نحاكي جين كيلي ببعض الكوريغرافيا الخرقاء إلى حد ما.

يقترح إيفان أنه سيكون من الجيد أن نأكل شيئًا ما، يفضل أن يكون اقتصاديًا قدر الإمكان. لدينا عدم ثقة في العلامات التي تعلن عن قوائم جيدة الثمن، فقد كنا على وشك الدخول إلى مطعم أو تافولا كالدا في مناسبات مختلفة، لكننا قاومنا ذلك تمامًا. قوة غامضة تدفعنا بعيدًا عن المدرجات وتجبرنا على مواصلة البحث. أخيرًا، صادفنا إضاءة باهتة نوعًا ما: مطعم جديد.

رو، "جديد؟" وقلنا كلنا بسعادة. "لن يخذلنا هذا".

لم نكن مخطئين. دون أن يكون "هوت كوزين[[20]](#footnote-20)" مطبخًا راقيًا، وهو الأمر الذي لم يكن مهمًا على أي حال، فقد أكلنا بإكثار دون القلق بشأن الفاتورة: نبيذ موسكاتو طازج وأَخَّاذ من المقاطعة، معكرونة مع القرنبيط وشرائح من سمك أبو سيف مطهوة على الطريقة السيراكيوزية مع الثوم، الأوريغانو والقرفة.

**"ما نسميه صدفة ليس أكثر من جهلنا العميق بالقواعد التي تحكم مصيرنا"** - أنت محقٌ مايسترو بورخيس.

قمنا بنزهة طويلة بعد العشاء إلى الفندق، هذه المرة باتجاه الشرق. كنت مرهقًا، لكني سعيد للغاية، وتملكتني رغبة لا يمكن كبتها في الركض عاريًا وأنا أهتف "وجدتها! وجدتها!" تمامًا مثل أرخميدس، المحبوب من قبل أساتذة الفيزياء ومصنعي أحواض السباحة، والذي فعل الأمر نفسه خلال هذه الشوارع ذاتها.

يعلن الضوء السخي المتدفق عبر النوافذ حلول الفجر. نزلنا لتناول الإفطار ونحن بغاية التعب. على طاولة قريبة، تجمع مجموعة من السيراكيوزيين. كلهم يختلفون في العمر والمظهر: رجل ملتحٍ مع ربطة عنق، وفتاة ذات شعر أحمر، شاب صغير ذو نظرة حادة، رجل مسن يشبه كلب البحر، صبي أشقر، ورجل آخر انضم إليهم. ... من الطريقة التي حيوا بها النادل، فلا بد أنهم من هنا. سليت نفسي بتصويرهم كمجموعة من الأبطال الخارقين أو المتآمرين في مهمة خاصة، أو هكذا بدا الأمر.

طلبت امرأة ألمانية مسنة الإذن بالجلوس إلى جوارنا، وبينما كانت تشرب قهوتها بأصوات مسموعة، بدأت تقرأ بصوت عالٍ بلغتها الأم. خلال الكؤوس وبقايا الكرواسون، تمكنت من قراءة اسم شيللر بين أوراقها. أكد المسافر يواكيم فيست، في الرسومات الصقلية من كتابه، أنه بالنسبة للعديد من الألمان سيراكيوز تعيش فقط في قصة شعر شيللر؟ من غير البَيِّن كيف دفنت هذه السيدة بعناد في نصها، دون أن تدرك أنها محاطة بنموذج الحياة الواقعية الأصلي. على الرغم من أنني أفترض أنَّ هذا يشبه إلى حدٍ ما، ما أقوم به، حيث تحمل الكثير من الملاحظات والاقتباسات. حسنًا، أنا أقول لنفسي، أعتقد أنَّ المرء يسافر مع الأدب.

تاركين وراءنا أورتيغا نحو دي تيرافيرما، اتجهنا نحو الحديقة الأثرية. يمكن القول إنَّ الطريق يفتقر بالتأكيد إلى الأعاجيب. حركة المرور أثقل بكثير من أورتيغا، والواجهات أكثر ابتذالًا. إلى اليمين، رأينا مخروطًا غير جذاب، مُكَمّل بنجمة، ميزناه أخيرًا ككنيسة، على الرغم من أنه يبدو كوفاء لرواد الفضاء السوفيت. مررنا أيضًا تحت لافتة ضخمة، معلقة من أحد جوانب الشارع إلى الجانب الآخر، تطلب المساعدة في سحق المافيا من خلال مكافحة الصمت والنسيان. يحتوي النقش على أسماء أكثر ضحايا هذه الآفة شهرةً، حيث يتخللها ثلاث نقاط مزعجة: اعتراف بالاستقالة سيستمر.

واحدة من أسوأ الجوانب وأكثرها إشكالية في المافيا هي طبيعتها المتصاعدة، مثل البشاعة التي تحدث عنها إيتالو كالفينو. وفي بعض الأحيان، تكون مربكة مثل اشتقاقها، والذي يبدو أنه لا يوجد أحد قادر على الاتفاق عليه. فقد ولدت كقوة مقاومة ضد الغازي الفرنسي تشارل من أنجو[[21]](#footnote-21)، ولم يستغرق وقتًا طويلًا لتصبح نظامًا واسعًا من الإدارة الذاتية. لقد نجحت هذه العملية بفعالية مرعبة، حتى قررت بعض قوى القانون والنظام أن تأخذها على حقيقتها، كمسألة تتعلق بالقوة والمال، ورفضت السماح بشرائها أو ابتزازها. لقد قاموا بتجميع الكابوس الأكثر شهرة وتمكّنوا إلى حد كبير من تحييد قوته، على الرغم من أنه من الواضح أنَّ قرون عديدة من الانحراف لا يمكن حلها بضربة. أعتقد أنَّ ممارسات ومواقف المافيا متجذرة بعمق في الخيال الشعبي، من إحساسها بالشرف إلى قواعدها النوعية، بحيث يتعين على الصقلي العادي بذل جهد جاد لتحرير نفسه من الآثار المتبقية لما هو ثقافة عامية بائِسة.

يعتبر جيوفاني فالكوني[[22]](#footnote-22) وباولو بورسيلينو[[23]](#footnote-23)، الشهيدين الأكثر شهرة في قضية معاداة المافيا، فقد صدقا أنه من الممكن القضاء على المنظمة، وقد فقدا حياتهما في سبيل إقناع المواطنين بأنهما لما يطاردا وهمًا. أتساءل ما الذي تأمله كل المدن في الجزيرة عن طريق تسمية الميادين والجادات باسميهما. من الممكن أن يكون إيتالو كالفينو قد فكر فيهما عندما كتب ما يلي: "إنَّ جحيم الأحياء ليس شيئًا سيكون؛ إذا كان هناك واحد، فهو موجود بالفعل هنا، الجحيم هو حيث نعيش كل يوم، نشكله من خلال كوننا معًا. هناك طريقتان للهروب من عذابه. الأولى سهلة بالنسبة للكثيرين: اقبل الجحيم وكن جزءًا منه بحيث لا يعود بإمكانك رؤيته. والثانية محفوفة بالمخاطر وتتطلب اليقظة المستمرة والخوف: ابحث وتعلم كيف تتعرف على من وما، في وسط الجحيم، وليس جحيمًا، ثم اجعله يتحمل، وامنحه مساحة". تركيبة مبدعة، عندما يتم تطبيقها على صقلية، قد سمحت للهواء أن يصبح أكثر تدرجًا للتنفس. دعونا نأمل استمرار وجود مساحة أكبر لأولئك الذين ليسوا جزءًا من الجحيم.

في الوقت نفسه، بالنسبة للزوار الأجانب، الذين لم يتعرضوا أبدًا للهجمات أو حتى العدوان الطفيف، فإنَّ الإشارة البسيطة إلى المافيا تثير نوعًا من الحساسية المفرطة. الخفاء، قانون الصمت، قد لعب بأيدي العنف. فوجئ موباسان، الذي سافر بسعادة عبر هذه الأجزاء، بسمعة الجزيرة السيئة: "الأخلاق: إذا كنت تبحث عن الجريمة، فاذهب إلى باريس أو لندن، لكن لا تأتِ إلى صقلية". إنه موقف واسع الانتشار بين السياح الذين هم في مأمن من الجريمة، الفقر والجوع، تختفي هذه الآفات أمام أعينهم أو تكتسب أشكالًا غريبة لا تقاوم.

كان الأدب والسينما لطيفين جدًا تجاه المجرمين، ورفعاهم إلى مصاف الأساطير. فعلى الرغم من تصويرهم على أنهم بائسون، إلا أنهم لم يتحملوا المصاعب نفسها لتنظيف صورتهم مثلما فعلوا لتنظيف أموالهم. سساسيا، هو نفسه، الذي كرس بعض النصوص الرائعة لصّد طرق المافيا، لم يتعرض أبدًا لتهديدات من كوزا نوسترا[[24]](#footnote-24)، مما يدل على أنه بالإضافة إلى كونهم وضيعين، فإنَّ هذه الشخصيات أبعد ما تكون عن الوضوح.

وصلنا إلى الحديقة الأثرية، حيث بدأنا زيارتنا على المسرح اليوناني. بغضِّ النظر عن عدد قليل من المدرجات المفقودة، يبدو أنه تمت المحافظة عليه جيدًا. كانوا يقيمون المجالس اليونانية التقليدية هنا، بالإضافة إلى العروض الافتتاحية للأعمال الدرامية لسوفوكليس ويوريبيدس وسيراكوسان أيسخيلوس. اليوم، ما زالوا يقدمون عروضًا خلال موسم الذروة. لكن وصول الوَندال[[25]](#footnote-25) أدى إلى إهماله، ثم استخدم تشارلز الخامس أحجاره لدعم جدران أورتيغا. أخيرًا، تسبب إنشاء المطاحن في كافيا، مدفوعًا بالمياه المعاد توجيهها من نهر أنابو، بإلحاق أضرار جسيمة بتكوين المسرح. بدأ المسؤولون بالشعور بالحاجة إلى ترميمه منذ بضع قرون فقط، واليوم يتوهج ببريق عافية مقبول.

سرنا بجانب ما تبقى من قوس غيرون المجاور، وتخيلنا التضحيات الدموية، التي وصلت إلى 400 ثور يوميًا وفقًا للمؤرخين، ثم توجهنا نحو الكهوف القريبة. تم إغلاق كهف صانعي الحبال، لكن كهف أذن ديونيسيوس كان مفتوحًا، وهو تجويف مذهل تم تعميده بواسطة كارافاجيو. في الداخل يتضخم أقل ضجيج لأعلى درجة، نظرًا لوجود عدد قليل من السياح في هذه الساعة المبكرة، فقد بدأنا نصرخ بابتهاج، ارتفعت أصواتنا على طول الجدار إلى النقطة التي طويت فيها الصخرة مثل لحاف تحت السرير. قام الطاغية ديونيسيوس - المشهور بحلقة سيف داموكليس وببيع أفلاطون كعبد، جوهرة الديكتاتور - بحبس سجنائه هنا، ويغلب الظن أنه استغل الظروف الصوتية للتجسس على محادثاتهم.

لاحظت رو أيضًا أنَّ ارتفاع الكهف ينتج شعورًا بعدم التوازن لدى الزائر. وبصدفة ساحرة إلى حد ما، يستعاد الشعور بالتوازن من خلال حاسة السمع. ومع ذلك، هناك بعض التفسيرات الأخرى: "الصدى عِمْلاق. ويشير على الفور لكهف كوماكان سيبيل"، كتب دوريل. لكن دليلنا كانت لديه أفكار أخرى، بناءً على حقيقة أنَّ مسألة الكهف تخرج مباشرة من منطقة مُلقِّني الكلام في المسرح الإغريقي، فيبدو أنه مقتنع بأنَّ الأمرين متصلان بطريقة أو بأخرى. كان الكهف بالنسبة له نوعًا من الصندوق المصوِّت - صورته هي حالة الكمان أو جسم الزيزيات. بقدر ما استطعت أن أفهم فكرته، فإنَّ صدى الكهف قد أعطى قوة صوتيات المسرح - لكن بطريقة ما بدا لي أنَّ هذه النظرية الجميلة مشكوك فيها بعض الشيء. من الواضح أنَّ مؤلف "رباعية الإسكندرية" يفضل النسخة السيبيلية.

بعد ذلك، قمنا بزيارة سراديب الموتى في سان جيوفاني، المحفورة أسفل كنيسة بيزنطية جذابة مع عدد قليل من الأعمدة وثلاثة محاريب. لست متأكدًا مما إذا كان لذلك أي تأثير على شخصياتنا، لكن بقدر ما يحب أصدقائي الأقبية، فإنها تثير مشاعر قلق في نفسي تشبه إلى حد بعيد الخوف من الأماكن المغلقة. ويسعدني أن أجد دوريل يوافقني الرأي؛ فعلى الرغم من إدراكه أنَّ الهيكل مثير للإعجاب إلى حد ما، إلا أنه يؤكد أنَّ منجمًا للفحم كان سيوفر المشهد نفسه، في الحقيقة:

الشيء الوحيد الذي يصرف انتباهي هو تخيل وجود المسيحيين هنا، وليس اختباؤهم أثناء الإمبراطورية الرومانية، بل بالتفكير فيهم كلاجئي حرب وجدوا ملاذهم في هذه السراديب. لا أعرف السبب، لكنني أتأمل إمكانية وجود شاعر بينهم مصمم على ملء الفراغ بأبيات شعرية. يسود هذا المؤلف التافه للكهف مخيلتي بينما نسير حول معارض اللوحات الجدارية الباهتة، المحارب الرطبة والسحالي الطينية. يركز أصدقائي على تفسيرات دليلنا السياحي؛ بينما لا أستطيع الانتظار للعودة إلى النور.

معًا مرة أخرى في مطبخ الضيوف في فندق فيلاديلفيا، نقوم بإعداد سلطة بطماطم طازجة. يمر الغداء بهدوء، بينما نناقش أمورًا تافهة تجرفنا نحو قلق مشترك: النزاعات التي تحتكر حاليًا جميع الصفحات الأولى وتثير أنهار الحبر واللعاب في وسائل الإعلام، من المعقول أنَّ الأصولية الإسلامية تشغل أوروبا، ونحن جميعًا بالتأكيد نعارض أي شكل من أشكال التشدد العنيف، سواء أكان مستمدًا أم لا من معتقدات عقائدية. ومع ذلك، نحن خائفون تمامًا من حفنة المتعصبين الذين يدعون إلى اضطهاد الكتاب بقدر ما نحن خائفون من ضيقي الأفق والخبثاء الذي يجعلوننا نعتقد أنَّ الثقافة الإسلامية هي، بحكم تعريفها، مصدر رد فعل وإرهاب.

بالنسبة للأندلسيين، وسنتخيل أيضًا صقلية، فإنَّ العالم العربي، المفترض أنه بعيد جدًا وغريب، هو جزء من كياننا الأساسي. في جنوب إسبانيا وإيطاليا، أحدث العالم العربي ثورة في الزراعة، واستفاد من النظم الهيدروليكية الرومانية لتطوير الري، وتعزيز التجارة وخلق بيئة مزهرة للفنون والعلوم. بعد أن تذكرت كل هذا، من يشكو؟ لا تزال مدننا تشترك في جو عائلي ممتع مع مدنهم؛ لون بشرتنا، وملامح وجهنا، والعديد من خصائصنا ترجع إلى تراثهم. لكن مع هذا العالم المثير للانقسام المقترح، لن يتم التضحية بآلاف الأرواح فقط؛ نواجه أيضًا خطر تبديد جزء من أنفسنا، وربما إلى الأبد.

يجعلني الأمر أفكر في رواية ليوناردو سساسيا المكتوبة بشكل جميل، "الفارس والموت". تبدأ القصة بموت شخص يدعى ساندوز، يليه البحث المعتاد عن المشتبه بهم. تظهر مجموعة مدعية لنسبه، ويسمون أبناء التسعة وثمانين، الذين لم يكن لهم وجود قبل جريمة القتل ويقدمون الآن كل أنواع التخمينات للشرطة والإعلام. يسأل أحد الوكلاء الذين يحققون في القضية، في لحظة ذات صلة، سؤالًا مثيرًا للقلق: "هل خلق أبناء التسعة والثمانين لقتل ساندوز، أم تم قتل ساندوز لخلق أبناء التسعة وثمانين؟" وبعد ذلك، يقدم استنتاجًا أكثر إثارة للدهشة: "اعتقد أحدهم أنهم ضروريون. يجب أن يكون هناك شيطان قبل أن يكون هناك ماء مقدس".

ليس من قبيل الصدفة أن تهاجمنا هذه المخاوف هنا في صقلية. لقد اعتقدنا جميعًا لفترة طويلة أنَّ أوروبا القديمة المتعبة يجب أن تتخلى عن بعض النماذج السخيفة التي دفعتها نحو الحداثة والنظر مرة أخرى، حتى لفترة من الوقت، نحو البحر المتوسط، مهد الثقافة. كل الدعاية المنافقة حول صراع الحضارات تفقد معناها الضار هنا، لكنها ما زالت تهدد بخيبة الأمل في لم الشمل. قال غوته، "صقلية هي مفتاح كل شيء"، مما دفع مجرى مستمر من الرومانسيين في وسط أوروبا لزيارة هذه الأرض بحثًا عن جذورهم، لمحاولة العثور على أنفسهم. هل يسأل المسافرون إلى صقلية اليوم أنفسهم من أين أتوا ومن هم؟

يطرح يواكيم فيست، الذي تابع غوته في جميع أنحاء الجزيرة كألماني جيد، سؤالًا مماثلًا أيضًا. في التخلف التاريخي للجنوب، تمكن من رؤية ميزة غير متوقعة: "في اليوم الذي يصل فيه التدهور الثقافي في أوروبا إلى محيط القارة، متخلفًا لفترة طويلة، ثم يدمر كل شيء محفوظ بسبب هذا التخلف، يمكن لصقلية أن تكون المفتاح الذي يغلق كل شيء، أود أن أعتقد أنَّ صقلية لا تزال مفتاحًا. المفتاح الذي يفتح شيئًا.

يستمر حديثنا ونحن نحاول تجنب الحقيقة المحزنة: لقد حان الوقت لمغادرة سيراكيوز. نقوم بتعبئة حقائب سفرنا، لنضمن عدم ترك أي شيء في غرفنا. لكن لا يمكننا أن نقول وداعًا دون الخضوع لنزوة أخيرة: الغوص في المياه المحيطة بأورتيغا. بعد أن أكملنا استعداداتنا بارتداء البرمودا، البيكينيهات والمناشف، نزلنا على طول منتزه ليفانتي. ثبتت صخورها الكبيرة على البحر مثل المراكب الصخرية، ووظفت كمشواة للسيراكيوزيين الذين يحبون أن يحمصوا في الشمس أكثر من السباحة. قمنا أنا وإيفان بالعكس، فقد ألقينا بأنفسنا في البحر، محاكين لجاك كوستو.

بينما كنت أتنشف تحت الشمس، قرأت شيئًا كتبه سيمونيدس من كيوس، والذي قضى آخر أيامه هنا في سيراكيوز. وقد اقتبسه بورخيس في "ذاكرة فونيس الحية" باعتباره مخترع فن الاستذكار، طريقة مجربة ومختبرة لتعظيم إمكانات ذاكرتك. هناك من يستخدمونها لتذكر اسم أو رقم هاتف، لكنني أرغب في وضعه موضع التنفيذ لتذكير عدد حجارة الرصف التي نتركها وراءنا، الأصباغ الدقيقة للسماء التي تلوح لنا، التهيئة الدقيقة من الوجوه التي تمر بجانبنا. أرغب في أن أكون من المهتمين بالذكريات من أجل الاحتفاظ باسم جميع الأبواب والنوافذ والواجهات المصنوعة من الحجر الجيري المتلألئة عند غروب الشمس والعديد من التفاصيل الأخرى أيضًا، لكن سيكون كل هذا بلا جدوى ببساطة لأنَّ هذه المدينة لا تنسى.

في هذه اللقطة، يضحك بورخيس. ليس هناك صورٌ كثيرة له وهو يضحك. ولا أذكر صورة يفعل فيها ذلك بطريقة عفوية: كان رأسه ملقى للوراء، جسده منكمشٌ في قهقهة اندفاعية. لم أعرف المكان على وجه اليقين، لكنني أراهن أنَّ الصورة قد التقطت في شرفة فندقه في باليرمو، فيلا إيشيا- التي يمكن التعرف عليها من أوراق النخيل المتدلية والخطوط الظلية للجبال خلفه - الذي سنراه لاحقًا. يبرز كورنيش حجري خلف بورخيس. وأمامه، تقريبًا خارج اللقطة، حافة كأسين كريستاليين. وإذا أراد شخص يظن نفسه عبقريًا ولديه إجابة لكل سؤال رؤية تفسير سهل للسرور: فقد كان المايسترو معتدلًا.

أسأل نفسي لماذا ابتسم بورخيس، نموذج الفكاهة كتمجيد للذكاء، قليلًا، على الأقل في الأماكن العامة. يسعدني أن أعرف أنَّ ميشيل فوكو كتب كتاب "ترتيب الأشياء" بعد سلسلة من الضحك الشرس الذي نشأ عن طريق قراءة مقطع من أعمال الأرجنتيني. شهد القراء الآخرون من بورخيس حالات مماثلة جدًا. لذلك، من اللافت للنظر أنَّ الإيطالي أمبرتو إيكو، في تكريمه الدقيق للمايسترو، "اسم الوردة"، اختار بين شخصياته أمين مكتبة أعمى كره الضحك، وهو جورج دي بورغوس.

الصقليون ليسوا ميالين للضحك، بالنظر إلى ما رأيناه حتى الآن. أنا لا أقول إنهم يبدون جادين للغاية، وهم بالتأكيد ليسوا متبلدين. دعنا نقول فقط أنَّ لديهم شيء من الموناليزا حول طريقتهم الغامضة بإظهار السعادة. مرة أخرى، أتطلع إلى "فيست"، الذي يوضح ذلك جيدًا: "لقد لاحظت في العديد من المناسبات أنَّ الابتسامة الصقلية تتكون فقط من ارتفاع عند حواف الفم. أقل من ابتسامة، أكثر من لفتة ابتسامة. إنها تظهر الاحتياط والشك وحتى المفارقة مع كثافة أكبر من أي اتفاق مع المتكلم. كما لو أنَّ المسافة لا يمكن التغلب عليها بالكامل وأنَّ الغريب محكوم عليه دائمًا بالبقاء غريبًا.

هل الصقليون مشروطون بهذه السلسلة الطويلة من الكوارث والشتائم التي تميز تاريخهم؟ ربما، ولكن بالنسبة للعديد من الشعوب، فإنَّ **الفكاهة في بعض الأحيان هي الدفاع الوحيد ضد سوء الحظ**. بتجاهل بعض الممارسات الزلقة، يبدو لي أيضًا أنَّ الابتسام وشقيقته الكبرى - الضحك - وأبناء العمومة المحاكاة الساخرة، السخرية، الكاريكاتور، والتكريم، هي طرق للاقتراب من الناس، ويجب على الشخص الغريب أن يتوقف عن كونه واحدًا في أسرع وقت ممكن . قال لامبيدوزا في عمله "الفهد"، "حقيقة كونك مسليًا، تشكل أربعة أخماس المودة".

لكن في هذه الجزيرة، كما نعلم بالفعل، كل شيء له وجه مزدوج، جانبه العكسي. اعتاد إيتالو كالفينو أن يتحدث عن شخصية صقلية فكاهية، مستمدة من التقاليد العربية الشفهية، تنتشر الآن في جميع أنحاء العالم: جيوفا، أحمق القرية الذي يأتي دائمًا برائحة الورد. حين يأخذ كل شيء حرفيًا، يصبح كل موقف يتورط فيه فخًا ترفيهيًا لأولئك الذين يحيطون به، يرى غايتانو سافاتيري، الصحافي الرائع من أصل صقلي، أنَّ الشخصية هي نموذج للمقاومة ضد النفاق: "إنَّ موجة الضحك تدفن أي أكاذيب، في حين أنَّ جيوفا بابتسامته، إما غبي جدًا أو ذكي جدًا، يكرر دائمًا أخطاءه الخبيثة". الكوميديا كتَعْزِيم، كسلاح. المشاركون في الكرنفال من مدينتي يعرفون شيئًا عن هذا الأمر، صناع النكات على نطاق واسع.

أعتقد أيضًا أنَّ الأدب والفلسفة شرحا الدموع أفضل من الضحك. إنَّ إلهة الإلهام ميلبوميني قريبة ومفهومة بالنسبة لنا أكثر من تاليا. في أي لحظة، نعرف ما هي الكلمات أو الأحداث التي تحبطنا، ولكننا نتردد عند محاولة وصف ما يجعلنا نضحك. لم يتمكن أرسطو ولا هوبس ولا فرويد ولا بيرانديللو من فعل أي شيء أكثر من تقريب الاتصال السري الذي يشعل شرارة الضحك فينا. حتى بورخيس لم يكن قادرًا على الوصول إلى أبعد من ذلك بكثير.

يقول إيفان: "لكن يبدو من الأسهل بكثير أن نجعل شخصًا يضحك من أن نجعله يبكي". يمكن لأي مهرج في الحشد أن يروي قصة مضحكة. ومع ذلك، لا يجرؤ أحد على تقديم عرض مأساوي في هذه الأيام، خوفًا من أن يُضَحَك عليه".

"لا تنس أنَّ أفضل النكات تُقال أثناء الاستيقاظ"، تقاطع رو. "في بعض الأحيان يكون لأبشع الأشياء، الموت، الفوضى، تأثير كبير علينا، بحيث لا يمكننا إيجاد طريقة أفضل لاستيعابهم من الضحك".

بالتأكيد، يوافق إيفان. عندما لا تسير الأمور كما نريد، نقول إنها تحريف مصير، هذا المصير يلعب حيلًا علينا. والسؤال هو ما إذا كنا نضحك على هذه الأشياء أم أننا نضحك علينا".

"من أو ما الذي دفع زر الفكاهة الأرجنتيني في ذلك اليوم؟"

تقول كا: "ما لم يكن ساينا أو كوداما المتأصل يتذكره، أخشى أننا لن نعرف أبدًا".

عدت إلى الكتاب الأحمر الصغير، وعلمت أنَّ فرديناندو سيانا يتذكر. كان يخبر بورخيس عن تعريف غابرييل دانونزيو لفيليبو توماسو مارينيتي: فَدْم مع ومضات من الغباوة! انفجر بورخيس في نوبة الضحك الشهيرة. وقال بحماس، "رائع، رائع". اعتدت أن أعرف آخر: فَدْم متفسفر. جميلة أيضًا أليس كذلك؟ لأنه في النهاية، حتى في الليل ... ولكن دانونزيو أكثر إبداعًا. ومع ذلك، فإنَّ متفسفر كلمة رائعة، ألا تعتقد ذلك؟

أخفيت السر عن الآخرين، خوفًا من أنهم لن يجدوه مضحكًا. ومع ذلك، أدركت كم هو ثمين أننا نتحدث عن هذا الأمر، فقد بدأ بعضنا بطبيعة الحال في الضحك، وانتهي الأمر بالانتشار بيننا جميعًا، كما لو كنا في حالة سكر مع السعادة.

**كاتانيا**

لقد انتهى الأمر إلى أن تكون ليلة اجتماعية مبهجة، وأحييتها بنبيذ لامبروسكو الغني والرّم. في المنزل، قرأت رو بعض قصائدها الساخرة، رقص إيفان مع كا، وكشفت ذخيرتي من محاكاة الشعراء الأقل شهرة والأكثر شهرة، بالإضافة إلى بعض المستجدات التي كانت محاكاة ساخرة دون المتوسط للأسلوب البورخيسي.

في الخارج، كان ساحل كالابريا يتلألأ مرة أخرى، وهو جميل قبالة النيون الحاد للكنائس، التي تتنافس في مسينا مع الحانات والنوادي الليلية لتاج الذوق السيئ. كان اليوم طويلًا، وقد وصلنا إلى كازازا نوفيتي يصاحبنا شعور حقيقي بالعودة إلى المنزل، إلى المنزل الجميل - الحامي والمألوف ولنا.

ومع ذلك، في وقت سابق كنا قد ذهبنا إلى كاتانيا، وهي المدينة الكبيرة التي تنتشر على جانبي الطرق وعبر بساتين الليمون، حيث أنَّ شريط الراديو الخاص بشركة فيات باندا (التي تم تعميدها الآن "يوريكا") قد انطلق من أغاني مينا. إنَّ أصواتها في السبعينيات ولا لا لا مقبولة فقط للتخفيف من الفوضى التي تثير الذهن بسبب ازدحام المرور:

***لقد صنعت حفرة في الرمال***

***لإخفاء كل شيء***

***لدي في قلبي لك ...***

يجب أن أقول إنَّ كاتانيا، المدينة التي بالكاد تمكنت من تمييزها، توقظ في داخلي رفضًا غير منطقي تقريبًا. في مخيلتي، كان الفرق بين سيراكيوز وكاتانيا هو نفسه الموجود بين النور والظلام. على الرغم من أنني تعلمت الكثير عن حياتها الثقافية النشطة أو ثرواتها المعمارية، وعلى الرغم من أنَّ الناس هنا يبدون ودودين أكثر من غيرهم في أماكن أخرى، إلا أنني بلا شك وجدت أنها المدينة الأقل جاذبية في الجزيرة. زيارتنا القصيرة لم تغير هذا التحيز بشكل ملحوظ؛ على العكس من ذلك، أكدت فقط ردة فعل القناة الهضمية.

ومع ذلك، فإنه ليس عائقًا أمام الاعتراف بمقاومة كاتانيا الرائعة لجميع أنواع الكوارث. من الزلزال المدمر الذي حدث عام 1693، إلى عشرات الانفجارات في إرنا (جارتها المرعبة القريبة)، والتي دفنت مناطق بأكملها، لم تشعر الطبيعة بالحاجة إلى إظهار أي رحمة بغضبها المفرط. مرارًا وتكرارًا، اضطرت كاتانيا إلى تعمير نفسها بعناد بطولي. حتى قناعات اليسوعيين، الذين رأوا الحفرة كمدخل لهيب الجحيم، لم تتمكن من طرد الكاتينيين من أرضهم. حدث آخر نشاط بركاني خلال شهر نوفمبر الماضي، وكانت رو تخبرني عن جبال الرماد التي كانت تراها من شرفتها في مسينا كل يوم. في كاتانيا، يغطي هذا الفيلم الرمادي الآن المباني بغشاء من الحزن والضيق.

أوقفنا محرك يوريكا بالقرب من بورتو فيشو ودخلنا إلى سوق فواكه صغير. نظرة سريعة من حولنا كافية لتأكيد ما جعلته إرنا المدمرة ممكنة، من خلال عملية تسريب قديمة، خلقت خصوبة غير عادية للأرض المحيطة. قالت كا هذا هو السبب في أنَّ المخرج جان كلود لوزون في فيلمه الشعري "لولو" جعل بطله ابن بائعة طماطم صقلية قام بتخصيب امرأة عن طريق الخطأ!

في ما يتعلق بموضوع البندورة، يمكن للعميل الاختيار من بين أربعة أو خمسة أصناف، كل منها أكثر فائدة من الأخيرة. ألقت البائعة نظرة حذرة عندما سألتها بإيطالية ضعيفة عن الفرق بينهم.

"هذه هنا نوع وذلك الموجود هناك نوعٌ آخر".

ولأنني لا أحتاج إلى مؤنة خلال هذه الرحلة، فقط بعض الطماطم لأتذوقها، اخترت تلك التي تبدو أكثر ملاءمة للسلطات. اشترينا أيضًا بطيخًا لامعًا وبعض الخوخ العنب. ملأنا يوريكا ودخلنا المدينة مشيًا على الأقدام عبر بورتو يوسيدا، المظلمة كالكهف في هذا الوقت من اليوم.

هدفنا الرئيسي هو الحصول على تقرير السرقة الكاذب الذي لم نتمكن من أخذه في مسينا. على الرغم من أننا متوترون للغاية من إبداء إعجابنا بالقصور التي نراها حولنا، إلا أنني اكتشفت أنَّ ظلام الواجهات لا يرجع إلى غبار الرماد المتقطع. أو ليس فقط بسبب ذلك. في الواقع ، تم بناء مدينة كاتانيا القديمة بالكامل بحجر أسود من البركان في نهاية القرن السابع عشر. من المثير للإعجاب التفكير في أنَّ الجار الرهيب كان أكثر من مجرد قوة للتدمير؛ حتى أنه قدم مواد لتمكين المدينة من الوقوف مرة أخرى على قدميها.

وصلنا إلى مقر الشرطة مسترشدين بسلسلة لا تنتهي من العلامات المتناقضة. موظف استقبال دعانا للجلوس في غرفة الانتظار، حيث قرأنا من بين الإشعارات الأخرى:

**سيتم فرض عقوبات على مقدمي التقارير الكاذبة تصل إلى ثلاث سنواتٍ في السجن.**

الآن نحن لسنا بحاجة إلى التظاهر بتأنيب الضمير، فقد ابتلعنا ريقنا بصعوبة بشدة.

لحسن الحظ، رجال الشرطة الذين قابلناهم ليسوا صارمين للغاية. بدا أحدهم منزعجًا من أننا قطعنا لعبة الكوتشينة التي يلعبها على الكمبيوتر. الآخر، الذي كان يشاهد التلفزيون، كان ثرثارًا للغاية. كان يدعي أنه يعرف شيئًا ما عن إسبانيا، غازل الفتيات بل وسمح لنفسه بتقديم بعض التوصيات لزيارتنا إلى جنوب الجزيرة. خلال فترة من الدقائق التي لا نهاية لها، وافقنا على كل ما قاله ميكانيكيًا، حتى يتم تسليم كا نسخة من النموذج.

"هيه لقد حصلت على رخصة القراصنة!" صرخت بمجرد أن صارت على مسافة آمنة من فم الأسد.

اتجهنا نحو الكاتدرائية لنحتفل. مررنا خلال فناء مضاء جذبنا بتداعيه. يطلق عليه بشكل غامض لا كوليغياتا، مثل بازيليكا كوليغياتا الفاخرة، وهي كنيسة أراغون الملكية التي بنيت أيضًا في المدينة، على الرغم من أنه نسخة فقيرة. مفارقة نادرة، أقول لنفسي. علاوة على ذلك، في وسط الساحة الرئيسية، يدعم فيل منحوت من الحجر البركاني في كل مكان مسلة بنقوش مصرية؛ من الواضح أنَّ الكاتانيين فخورون به ويرون أنه رمز للذكاء وطول العمر. لقد بدأت لا أفهم شيئًا: بناء المواقع التي تحمل اسم بازيليك، والأفيال المصرية ... المدينة تثير حفيظتي، وتجعلني نافد الصبر، وأبدأ بالتذمر من تأخرها.

بدأ الآخرون يبحثون عن محل حلويات دون إيلائي أدنى اهتمام. إنهم يريدون تجربة بعض الحلويات الحلوة التي تشبه الفاكهة التي رأيناها في العديد من النوافذ. أملنا أن تبرر النكهة السعر، لأنه ليس رخيصًا تمامًا. ومع ذلك، عندما بدأنا في تناول التفاح والكرز والكمثرى الشائكة، أدركنا أننا جميعًا نتذوق الشيء نفسه تمامًا؛ مثل مرزبانية مزينة بشراب الكراميل، الحلو إلى حد ما. السكان المحليون يدعونها فروتا مارتورانا.

أقول وأنا أسخر من رفاقي بلطف، "حسنًا، إذا كانت واجهة الباروك يمكن أن تخفي معبدًا يونانيًا، فلماذا لا تحتوي الفاكهة على مرزبانية؟ نحن في صقلية يا أصدقائي، لقد ارتفعت البيرانديللوية[[26]](#footnote-26) إلى أعلى مستوياتها!"

سرنا خلال ليلة كاتانية بين حفلات الجاز في الهواء الطلق وتراسات البار وأكشاك الكتب. حملق بعض الشباب دون خجل في كا ورو، وهم يصفرون ويقدمون بعض التعليقات غير المفهومة. لكن رو وكا تجاهلتاهما واستمرتا بالمشي.

لقد فكرت كثيرًا في اتجاهات دون خوان الشهيرة التي تُنسب إلى الرجال الإيطاليين، والميل القهري وغالبًا ما يكون طفوليًا نحو الفتح العاطفي، والذي لا يخلو من الحقيقة. الأكثر شيوعًا المطبقة على أولئك القادمين من الجنوب، ليس من قبيل الصدفة أنَّ مولير أراد أن يكون دون خوان صقليًا؛ كان يدرك جيدًا الأسطورة من المصادر الإيطالية قبل وقت طويل من سماعه بور بور من تيرسو دي مولينا.

يسلط السيراكيوزي فيتاليانو برانكاتي، وهو كاتب عظيم غير معروف في إسبانيا، الضوء على هذه الظاهرة في كتابه (دون جيوفاني في صقلية)، وهي قصة ممتعة أيضًا مع نصيبٍ عادلٍ من المأساة. يعكس في كتابه استحالة الاقتراب من سر المرأة، مع الأخذ في الحسبان الهوس المرضي، شبابٌ حكم عليهم بقضاء حياتهم بين الإحباط والتبجح. اعتاد لامبيدوزا، من جانبه، على المزاح حول أحد معارفه الذي كان غير واضح إلى حد ما عند التفاخر بفتوحاته، متسائلًا عما إذا كان سيبدأ **بمسافدة** امرأة مع ساعة توقيت في يده! اعتاد أيضا أن يتحدث عن موضوع الهوس من الديوث، أو الزوج غير المخلص - دائمًا دراما الشخص الآخر، مزحة على حساب الآخر - باعتباره "المحور الذي تدور حوله حياة الجزيرة. في أفلام جيوزبي تورنتوري المبهجة والواقعية، مثل مالينا السابق ذكره أو سينما باراديزو، لم يكن التلميح إلى الخيانة الزوجية بعيدًا أبدًا، أو في هذا الصدد، الاضطهاد اليائس للشابات والمراهقات اللواتي تم القبض عليهن في السينما.

أعتقد أنَّ هناك قدرًا كبيرًا من القمع المبطن في هذه الانفجارات، حَمِيّة من علم التاريخ، ولمسة من اللامبالاة الميكانيكية. وكما أشار بعض الخبراء البيرانديللويين، يمكن أن يكون هناك توق للتعددية. الرغبة في أن تكون مائة ألف. كثيرًا ما يقال عن الزنا إنه يحتاج إلى "حياة مزدوجة"؛ خطط ذلك إلى حدود الفوضى الجنسية ليجد المرء نفسه مرة أخرى يشعر وكأنه لا أحد. أو هناك أوقات تريد فيها أن يكون الجميع نكرات قبل أن تعلن التزامك نحو شخصٍ ما. حساب عاطفي معقد، لكن لا أحد قال إنَّ الحب علم دقيق.

الصفارات والتعليقات المرحة أزعجت كا. لأنها رأتها كعدوانية رجولية لا تطاق. هل الذكور الصقليون شوفينيون؛ هل هم أسوأ في هذا الصدد من الإسباني العادي على سبيل المثال؟ يتمتع الهيكل الأمومي بمكانة هنا، لكن الجميع يعلم أنَّ بعض النساء، أيضًا، يمكن أن يصبحن حارسات مخلصات للفحولة الكريهة. وبالعودة إلى برانكاتي، فقد قال عن أحد شخصياته، "كان إسبانيًا، في الأغلب صقليًا؟" هل كان يمكن أن يتحدث أيضًا عن هذا الشبق النموذجي للغاية؟ مع افتقارنا إلى مزيد من المعلومات، من الأفضل أن نترك النقاش في هذا المنعطف.

يوضح سافاتيري الحذر دائمًا، أنَّ الأدب الغني للجزيرة ليس له، بأي حال من الأحوال، آنا كارنينا أو مدام بوفاري؛ الشخصيات النسائية هي مجرد ظلال من الرجال، أشباح تتجول حول المنزل دون أن تلعب دورًا أكبر. الاستثناء الذي يثبت أنَّ القاعدة من الممكن أن يكون ماريا مسينا، الصقلية كاثرين مانسفيلد، بطلة من نهاية القرن التاسع عشر، نددت في قصصها ورواياتها بجو العزلة الذي تشعر به نساء الجزيرة. مرضها السريع أخذها في وقت مبكر جدًا، مما أدى إلى نسيانها، حتى تم إنقاذها للأجيال القادمة باعتبارها تلميذة لجيوفاني فيرغا. أعتقد أنَّ هذا الحكم مادحٌ جدًا لمؤلف كتاب "المنزل بجوار شجرة المشملة"، لأنَّ مسينا تفوقت عليه في الإيقاع، العمق ودقة اللغة، لكنها كانت امرأة، وكان هذا هو الثمن الذي دفعته.

من ناحية أخرى، فإنَّ فكرة الحياة الجنسية الإيطالية هي لغز بالنسبة لنا. لديك الإثارة الجنسية الأنيقة لبوكاتشيو، والرؤى المتطرفة لفيليني وباسوليني، والآليات القمعية لأوبوس داي والفاتيكان، والنجمة الإباحية روكو سيفريدي! على نحو غير متوقع، يبدو أنَّ إيطاليا لديها كومة كاملة من اللحم، السليلويد، الحبر على الورق والأرجواني الكنسي، حيث يبدو أنَّ الرغبة الجنسية للإناث ليس لديها ما تقوله، ويتم اختزالها إلى الهدف نفسه بالنسبة لكازانوفا أو المحققين.

قد يكون هذا هو السبب في حدوث فضيحة عندما أحدثت طفلة كاتانية، تبلغ من العمر ستة عشر عامًا، هي ميليسا باناريلو، ثورة في سوق التحرير من خلال نشر "مائة ضربة فرشاة قبل النوم"، وهي يوميات حميمة، حيث وصفت فيها تجاربها الجنسية بجرأة كبيرة جدًا. كاتبة محلية أخرى، هي الممثلة والكاتبة جولياردا سابينزا، كتبت أيضًا "فن الفرح" عن غرائب غرفة النوم لكل من الرجال والنساء، والسلوك التحرري لفتاة ولدت في صقلية فقيرة وغير راضية وقد حقق الكتاب نجاحًا مماثلًا.

كعمل أدبي، أفضل بكثير كتاب سابينزا. بطريقة ما، تتناول القصة الحرية، ودور النشاط الجنسي في التنمية الشخصية والكرامة الفردية. يبدو "مائة ضربة فرشاة قبل النوم" مُبْتَسَرًا بشكل مثير للريبة، ولم تظهر كاتبته اهتمامًا كبيرًا، وفي الواقع هو بعيد سنوات ضوئية من "لوليتا" أو "صباح الخير أيها الحزن"، وهما عملان تمت مقارنته بهما. ومع ذلك، أثبتت فتاة مراهقة صقلية تتحدث عن الجنس أنَّ تلك ضجة مربحة للغاية لناشريها! وهكذا تستمر في بيع الآلاف من النسخ، وإلى الإعلان عن إصدار فيلم قادم.

***في الكتاب هناك أغنية باللهجة عامية:***

***تبدو كاتانيا محببة جدًا في الظلام،***

***مشرقة تحت أشعة القمر الساطعة.***

***قمة الجبل مشتعلة بالنار؛***

***حرها للعشاق الأكثر ألمًا،***

بدأت البراكين الصغيرة تتأجج مع حلول الليل، حول البركان الأم الذي يراقب كل شيء. لكن جوع التوق، كما قال سسياسيا، لا يرتبط دائمًا بالشهوانية. أنا لا أدين أحدهما لصالح الآخر، لا سمح الله! أنا فقط أقول إنه في بعض الأحيان توجد المسافة نفسها بين الاثنين كما هي موجودة بين الخيال والحقائق، وبين الواقع والرغبة.

أنا غير قادر على الانفعال بكاتانيا (لأننا نحصل أيضًا على محفزات حسية وعاطفية من مدن، بعض الدوافع الاقتنائية حتى، بما في ذلك تلك التي قد تعتبر شهوانية)، ما زلت أريد الخروج من هنا في أقرب وقت ممكن. لا أعرف لماذا أخبرني الآخرون أنها ليست سيئة للغاية، وأنه علينا الاستمتاع بالتنزه. لكن حتى الآن، وأنا أكتب هذه السطور، لا أشعر بالسعادة من ذكرياتي حول السفر عبر كاتانيا. دعونا نأمل أن تغفر لي القديسة أغاثا، الراعية المنزهة للمدينة.

أخيرًا، تمكنت من إقناع أصدقائي؛ عدنا إلى يوريكا ووافقت على أن أكون مساعد كا في السواقة. تنهدت بارتياح سخيف عندما انضممنا إلى الطريق السريع نحو مسينا.

**بورخيس في صقلية**

**مع مرشدٍ أعمى**

**بقلم: أليخاندرو لوك**

**ترجمها: أندرو إدواردز**

**ترجمة للعربية: سماح جعفر**

**-----**

**مسينا، طبرمين، مسينا**

استيقظنا في المنزل في مسينا. ذهبت رو إلى الجامعة لإتمام بعض المهمات، وقرر بقيتنا زيارة برج جرس الكاتدرائية لمشاهدة أجراس الساعة الثانية عشرة. وصلنا مبكرًا وحصلنا على مكان جيد في الظل. شيئًا فشيئًا بدأ السياح في الالتفاف حول البرج؛ وكبروا عدساتهم في وضعية الاستعداد، أول "دونغ" وبدأت التروس في الدوران. أحبَّ أصدقائي حديقةَ الحيوانات البرونزية التي تكشفت فوقهم: أسود هادرة، **قَوْقَأَة دجاج**، ملائكة معلقة في الهواء، أصلية وتَصْوِيرِيّة.

جذبت انتباهي حيوانات محلية أخرى عوضًا عن ذلك، فقد عُقد لقاءٌ في بار زاوية قريب لشباب المافيا، وفقًا لمرشدنا إيتو. ونظرًا لتعودي على روايات ماريو بوزو، فقد فكرت فيهم كرجال غامضين يرتدون ملابس رسمية ويمشون ببطء ويخبئون جرائم دموية ذات أبعاد أسطورية تحت هذا المظهر النبيل. ما تمكنت من رصده، دون أن أكون مفضوحًا للغاية، هو أنَّ الشباب المجتمعين في هذا المقهى ليسوا أقل فظاظة من أي عصابة أخرى من الجانحين في جميع أنحاء العالم. قمصان باهظة ومبتذلة، سلاسل ذهبية سميكة حول أعناقهم ومعاصمهم، نظارات شمسية، لفتات مزدرية ومتبجحة. مرة أخرى، أعتقد أنَّ هؤلاء الذين حاربوا الأسطورة التالفة لمجتمع محترم كانوا على حق. لقد تخيل بورخيس أنه يستطيع رؤية مثل هذا المجتمع، كطبقة بطولية، من بين جرائم بوينس آيرس. ربما لا تؤدي الطبيعة السعيدة والمطمح والوحشية أبدًا إلى ظهور شخصيات ملحمية خارج الأدب، بل إلى أشخاص من النوع الأسوأ.

في الواقع، فإنَّ كل من يزور صقلية يدرك جيدًا افْتِتانها بالموت - وهي ميزة دائمًا ما كانت موجودة منذ الأبد. الزلازل، الانفجارات، المعارك، نهب المدن، كلها معالم متكررة في تاريخها. سيطر الطغاة الأسوأ على المدينة وأخضعوا السكان بأساليب دموية للغاية. واحدة من أقدم التقاليد في الجزيرة هو بوبي، مسرح العرائس الكارولنغية الذي يتم تنظيمه بانتظام في العديد من المدن بنجاح كبير، والذي لا يمكن أن يكون أكثر اختلافًا من برنامج الدمى المحبب "شارع سمسم". فهنا ليس من المستغرب رؤية الشخصيات مقطوعة بالسيف والرؤوس والأطراف تحلق في كل الاتجاهات بينما يصفق الجمهور.

الكنائس مليئة بالآثار المخيفة. حتى فيست وفولكو دي فردورا أشارا إلى حقيقة أنَّ الهدايا لا يحضرها الحكماء الثلاثة[[27]](#footnote-27) أو بابا نويل بل المتوفى، وتحديدًا في يوم الموتى. لقد رأينا العديد من الفضّيات في الجزيرة ممتلئة بإشعارات النَّعي، معلنة الفجيعة، مشيرة إلى الذكرى السنوية، وتشكر الناس على تعازيهم أو على الرعاية الطبية التي تلقوها. يُقال إنَّ عادة إعداد قبرك لا تزال قائمة، بالنظر إلى أنَّ من الأفضل التعايش مع الموت بدلًا من إنكاره. أو، وفقًا لأحد شخصيات سساسيا، للتأكد من أنَّ المرء يرتاح في مكان جاف "إلى الأبد".

في كل مرة أنزل فيها سلالم الشقة، بدلًا من انتظار بديل التابوت المعروف باسم مصعد المبنى، أتوقف لقراءة إشعار يعلقه أحد الجيران على الباب في ذكرى زوجته الغالية التي توفيت.

أكدت رو بتوجس، "لقد كان هذا النعي هنا منذ تسعة أشهر على الأقل، منذ أن جئت. فترة طويلة من الحداد".

كيف يمكن لمثل هذا المكان، المليء بالحيوية والحياة، أن ينتهي بتكريم عبادة الموت، الموت سواء كان بيد إنسان أو بتجاوزات الطبيعة الضرورية، دائمًا ما يكون عنيفًا أو قاسيًا أو شرسًا؟ لم أحصل على إجابة بعد. ما لم أقبل التفسير المذهل الذي قدمه بيرانديلو: "جميع الصقليين تقريبًا لديهم خوف غريزي من الحياة: ... إنهم يدركون بارتياب التباين بين روحهم المغلقة والطبيعة المحيطة بهم، المفتوحة، المليئة بالشمس، بينما ينغلقون أكثر على أنفسهم ..."

لم أسمع إلا شخصًا واحدًا يقول لي إنه لا يخشى الموت، كوخ الحياة. كان ذلك في مقابلة مع شاعر إسباني اشتهر لقضاء حياته في مستشفى للأمراض النفسية وليس لقصائده العظيمة، هل بيرانديلو على حق؟ هل يمكن لهذه الجزيرة المباركة أن تكون مستشفى للأمراض العقلية متنكرًا كجنة؟

لقد قاومت الفكرة، مهما قفز نحوي التقديس العلني للموت من كل زاوية.

عادت رو بمزاج سيئ، خذلتها الإدارة. في الجامعة المحلية، كما يحدث غالبًا في الجامعات الإسبانية، كل شيء بطيء ومغمور بالعقبات البيروقراطية. من أجل مساعدتها على الاسترخاء، وبالتنبؤ بالحرارة التي تنتظرنا، شربنا غرانيتا واستعددنا للمغادرة إلى طبرمين القريبة، بلدة الثور. تاريخها لا يختلف عن المدن الأخرى التي زرناها.

كانت جيبًا يونانيًا، تحولت إلى مستعمرة رومانية، وأصبحت في نهاية المطاف عاصمة صقلية البيزنطية. في البداية، قام العرب بتدميرها لتدليلها، وتعزيز تنمية الزراعية في محيطها. استفاد النورمان من هذا الازدهار وقامت الأرستقراطية بإقامة العديد من المساكن الفخمة. يبدو أنَّ الحظ الجيد دام، لكن خلال الحرب العالمية الثانية، لم يكن هناك مكان بعيدٌ عن القصف: السماء الصافية أمامنا الآن كانت مليئة بالنيران القاسية. لكن زخم السياحة، والذي هو منجم ذهب استثنائي مكّن هذا الماضي الوحشي من التلاشي من الذاكرة. لا يحمل الغزاة اليوم القطع المعدنية والبنادق، بل الهواتف الذكية وكمية كبيرة من اليورو. ليس لدينا لا هذا ولا ذاك، لكننا لا نزال نميل إلى عدم تفويت الزيارة.

للوصول إلى طبرمين، يتعين علينا ترك السيارة في منطقة لوقوف السيارات تقع عند قاعدة الجبل، ثم استقلال حافلة مكوكية مجانية إلى المدينة. دون مثل هذه التدابير سيكون الازدحام خانقًا. في المحطة اكتشفت (أخيرًا!) الوجود الأول لبورخيس. على الرغم من أنَّ لغتي الإيطالية بَائسة، فقد ميزتها على الفور: إنها عبارة عن مقتبسة من "حديقة المسالك المتشعبة" تم وضعها على ملصق سياحي:

**... الرجل يمكن أن يكون عدوًا لرجال آخرين،**

**للحظات رجال آخرين، ولكن ليس لبلد:**

**ليس لليراعات، الكلمات، الحدائق، المجاري المائية،**

**أو غروب الشمس".**

***خورخي لويس بورخيس***

سنكتشف قريبًا أنه من الصعب جدًا أن نكون أعداءً لطبرمين، ليراعاتها، كلماتها، حدائقها، مجاري المياه وغروب الشمس. من الصعب جدًا أن تكون عدوًا لطبرمين. أقوم بتقييم بعض التفاصيل: تخطيط شوارعها المزدحمة، التي ينتشر فيها السياح والباعة. واجهتها المدوخة التي تبرز فوق الساحل الأيوني، مما يمنحنا تقريبًا الإحساس بالتعلق في الهواء؛ سان جيوزيبي خلفها، مع نقوش جمجمية تجتذب أحلام كنيسة رائعة للقراصنة؛ الباب المنشق لما كان قديمًا فندق متروبول. والحدود الضيقة المستحيلة لزقاق الطبقات، والذي كان ضيقًا لدرجة أنَّ إيفان صوره بنية جشعة لإرساله إلى موسوعة غينيس للأرقام القياسية. كل ذلك يجعل الحواس تنتقل إلى إيقاع فريد من نوعه.

لست بحاجة إلى مدّ الخيال إلى الحد الذي يجعلك تفهم أنه لعقود من الزمان كان هذا مكانًا للقاء الشعراء والرسامين. زار المكان كل من غوته وأوسكار وايلد وتوماس مان، وكتب توماس بيرنهارد إيف فيرجيليو في طبرمين. ربما يكون كامو قد عرفها أيضًا، حيث إحدى الشخصيات في كتابه "الشتاء" تتحدث بإلفة عن هذا الجزء من الجزيرة. علاوة على ذلك، كان ترومان كابوت شاهدًا هنا على لقاء غير سار، وربما الأخير. بين جايد وكوكتو. من بين الموسيقيين الذين أسرتهم طبرمين، أولئك الأقل قتامة من برالونس (المفضل لبورخيس) وفاغوير. ومن بين الرسامين وفناني المناظر الطبيعية نيكولا بوسين.

كما لك أن تتوقع، لم يكن الجميع موهوبين خلال السنوات الذهبية. بإحصاء الفنون والرسائل المجيدة التي جعلت طبرمين شهيرة، يبدو أنَّ هناك شخصية أكثر تهديدًا لذائقتي، وهي شخصية كان يمكن أن يكون لها فصل خاص بها في التاريخ العالمي للأثم إلى جانب الولد بيلي[[28]](#footnote-28) ولازاروس موريل؛ أشير إلى ويلهم فون غلودن، البروسي، البارون والمصور. تم توزيع أعماله، المستوحاة من الشبق المثلي، بسرعة عبر الأجزاء الأكثر ليبرالية أو نفاقًا في أوروبا الفيكتورية، والتي لم تستغرق وقتًا طويلًا في جعل طبرمين وجهتها المفضلة. هذه الصور كانت عرضة للتعسف والمصادرة من قبل موسوليني والكنيسة. على الرغم من أنَّ العديد من الأفلام السالبة تم تدميرها، إلا أنَّ المجموعة المتبقية كبيرة إلى حد ما.

صُور شباب عراة في أماكن طبيعية في الهواء الطلق، معزولين أو في مجموعات، يتموضعون دائمًا وهم يرتدون ملابس تقليدية من العصور اليونانية القديمة. هذه هي نماذج فون غلودن، الذي لم يوقظ فقط اهتمام عشاق الفن العاري، بل وأيضًا زملاءه المثليين الذين لديهم اهتمام بحجم الأعضاء المعروضين في ما يتعلق بالتصحيح البؤري أو علاج الضوء. كتب مثيله رولاند باثز، على الرغم من إدراكه لبعض أوجه القصور التقنية، مقالًا مفتونًا بهذه الشخصية.

ما الذي يمنعني من الاستمتاع بهذه الصور؟ أولًا. أظن أنَّ البارون لم يهتم أبدًا بطبرمين أو أهلها. لقد وجد ببساطة قرية متوسطية ضائعة، ذات مناخ مواتٍ لحالته الرئوية، وروح متسامحة وشباب ريفيون على استعداد للتموضع لأجله بأكثر ثمن منخفض. ثانيًا، هناك حقيقة أنَّ العارضين كانوا قُصَرًا، كما هو واضح في بعض الحالات، مما يثير مسألة ما إذا كان فن القرن التاسع عشر يتسامح مع ما يمكن للمرء أن يسميه غياب المبادئ الأخلاقية القائمة على الضمير والتي سيتم تصنيفها الآن على أنها إباحية للأطفال.

وأخيرًا وليس آخرَ، هناك وجوه أولاد أكبر تم التقاطها في هذه الأعمال، مع تعبيرهم المميت أو المخدر، بحيث يشبهون الدمى قبالة عدسة غلودين الضارة، بغضِّ النظر عن الكثير من أكاليل التوغا والغار التي يختبئون وراءها.

بشرعية أو بدونها، فإنَّ إنتاج فون غلودن يباع بالتأكيد في جميع متاجر الهدايا التذكارية بطبرمين، يُباع ككتالوجات أو ملصقات أو بطاقات بريدية. لقد حصلت على واحدة من هذه الأخيرة، واحدة من أعماله القليلة التي تصور امرأة. صورة لفتاة بملابسها وتتكئ على شيء. لديها قوة وجمال، لكنها تعبر أيضًا عن البراءة (تلك العيون السوداء الكبيرة) وقلق معين (يدها ترتاح على صدرها). لم يعجب فون غلودن بهذه الفتاة المجهولة الهوية. نظرتها تشبه صفعة أبدية وصامتة على الوجه.

نزور المسرح اليوناني الرائع، المكان الذي أشار فيه غوته لكيفية مساعدة الفن للطبيعة: لا يزال يمثل مكانًا للحفلات الموسيقية والعروض النصية الكلاسيكية، على الرغم من عدم وجود جدول إنتاج حاليًا، فإنه يقدم لنا مشهدًا آخر مستمرًا : المشهد، من مرتفعاته، إلى المنطقة بأكملها واتساعها. "لا بد أنَّ مشاهدة أداء هنا ستكون مذهلة"؛ يقول إيتو، أثناء مناقشتنا حول برنامج هذا الموسم. "آه، وخلال أسبوعين سيأتي كايتانو فيلوسو!"

كان زاجفوسكي، البولندي المفضل لدي مع الاعتذار لميلوش ولنس، هنا أيضًا، وترك بعض الأبيات اللغوية الجميلة كشاهد:

**من المسرح في طبرمين ترى**

**الثلوج على قمة فانا**

**والبحر اللامع.**

**من هو الممثل الأفضل؟**

من أحد المرتفعات، تذكرت صورة مضيئة وملونة من تصميم الباريسي يوجين فيوليه لو دوك. رسمها حوالي عام 1836، حيث حاول إعادة بناء المسرح بكل تفاصيله، كما لو تم افتتاحه حديثًا، وعدم نسيان المتفرجين والممثلين على المسرح. يبدو أنه بدأ بتحديد ما يمكن رؤيته للبنية المتدهورة، وإعادة العناصر المفقودة ببطء، حتى انفجر خياله في النهاية وانتهى به الأمر إلى إعادة اختراع ما كان أو كان يمكن أن يكون هنا.

لم يكن الباريسي هو الوحيد الذي استسلم لإغراءات مماثلة. إنها رغبة فضولية وحساسة لاستعادة ما فُقد في الزمن، مع مساعدة من الخيال والملاحظة. ومع ذلك، يصر بعض المرممين المعاصرين على أخذ مثل هذه الرغبة بتطرف استثنائي، سواء بجعل الأطلال أكثر جاذبية أو ببساطة عدم قبولها كما هي.

حان الوقت لمغادرة المدينة، قيادة يوريكا والذهاب للسباحة في البحر، وهو ما كنت أرغب بالقيام به منذ أن رصدت الجزيرة الصغيرة القريبة، التي تم إخراجها مباشرة من بيتر بان، والتي يسميها السكان المحليون إيزولا بيلا. وصلنا إلى هناك وذهبنا نحو جيارديني ناكسوس، حيث تقع محطة السكة الحديد، على مقربة من الآثار التي تحمل شهادة وافرة على الماضي الاستعماري اليوناني الغني، والتي دمرها في النهاية ديونيسيوس، ساتراب سيراكيوز. اليوم، كما هو الحال مع طبرمين، إنها معلم سياحي لنجاح لا يمكن إنكاره، إن لم يكن قد طُوِّرَ أكثر من اللازم، كما تجد اليوم مع أي شاطئ إسباني متوسط. بدا موقف السيارات بالتأكيد كحقل ألغام واستغرقنا أكثر من نصف ساعة لإيجاد مكان. تتعرض كا لعملية إعادة اختبار حقيقية لقيادتها في محاولة لإدخال السيارة في الخليج دون الإضرار بها.

اِستحق الأمر العناء. تتصل إيزولا بيلا بشاطئ رفيع من الرمل يتميز بعلامات ملكية خاصة، وهو مُغطى بأنواع مختلفة جدًا من النباتات، تساهم في مظهرها السحري. المياه المحيطة أعمق مما يبدو، ويزخر قاع البحر بالأحجار الدائرية مثل حوض السمك الشفاف.

"يشبه البحر الأحمر!" صرخ إيفان.

درجة الحرارة مثالية، والمناطق المحيطة بها تشبه الجنة. أتذكر امتلاكي لكتاب في علم الفلك، عندما كنت طفلًا، يتكهن بنظرية تتعلق بنهاية العالم. ستكون نهاية العالم بعد يوم أخير مثالي، ودرجة حرارته مثالية. كان النص مصحوبًا برسم توضيحي مفعم بالحيوية للمشهد الساحلي عند حلول الظلام، وكان يدعو للسكينة لدرجة أن تتمنى أن تتحقق النبوءة في أقرب وقت ممكن. لم أصدق يومًا أنني سأجد نفسي داخل هذا المشهد، كما أفعل الآن، مع ميزة إضافية تتمثل في عدم انتهاء العالم. على الأقل ليس في الوقت الراهن.

تناولنا وجبة خفيفة، في انتظار غروب الشمس، مع بعض السكان المحليين، ونحن نرمي الحجارة على المياه الساكنة، وكلما كان الحجر أكبر كان ذلك أفضل، بينما يجفف رسام لوحاته بين الصخور.

لا زال الوقت مثل طاحونة هادئة. وقد استيقظنا من التعويذة فقط عندما بدأ الجو في البرودة.

عدنا إلى مسينا. ولكن قبل أن نصل إلى المنزل تجولنا بالسيارة على الطريق البانورامي فوق المدينة، حتى نصل إلى نقطة المشاهدة، حيث وجدنا بضعة أزواج يركنون سياراتهم ويغطون الزجاج الأمامي بلوح أو قطعة قماش لإبعاد النوافذ عن نظرة أعين المتطفلين. مررنا أيضًا بمقبرة صغيرة ومؤثرة بها شموع مضاءة، مثل مذبح مثبت إلى جانب الجبل. أخذنا المسار إلى الهيكل المعروف باسم بيلوني، الذي تم إنشاؤه على الشاطئ بجوار العديد من الأكشاك المنعشة المغطاة بالذباب. بدا مشابهًا تمامًا لبرج مسفن أستيرووس الذي يقف عند مدخل قادس، برج إيفل خاصتنا.

يذكرني منظر المضيق أيضًا بمدينة سبتة المطلة على البحر المتوسط، التي يغمرها مضيق آخر، هو جبل طارق، حيث تنحدر جميع أفراد عائلتي. لطالما كانت شظية البحر تلك على مسافة قصيرة، حيث أمضيت رحلات ممتعة في رصد الدلافين أو عدِّ الأمواج وهي تتكسر على جسم العَبَّارة. مع أخذ هذا في الاعتبار، اعتدت أن أندهش كيف يتحدث أصدقائي من سبتة دائمًا عن شبه الجزيرة كوجهة نائية إلى حد ما، على الحدود المتعذرة. نظرًا لأنهم نظروا حتمًا إلى المضيق، فإنَّ امتدادًا من الماء عرضة دائمًا للتضخم عند إغلاق الميناء، أعتقد أنَّ البحر لا بد له أبعاد هائلة بالنسبة لهم. مع مرور الوقت، تم مضاعفة هذه الأربعة عشر كيلومترًا الضئيلة تقريبًا حتى أصبحت حدودًا يصعب عبورها، خاصةً للخيال.

بعد ساعتين، عدنا إلى القاعدة وتناولنا عشاءً مقتصدًا. قبل الذهاب إلى الفراش مباشرة، وضع إيفان دفتر ملاحظاته بجانب الطاولة، لأنه عادة ما يكتب أحلامه بتدوين كل صباح. الفتيات قادرات أيضًا على تذكر خاصتهن، ونقوم بتبادل أحلامنا في الصباح. لكن في معظم الوقت لا أستطيع أن أتذكر ما حلمت به، وإذا تذكرت عن طريق الصدفة، فإنني دائمًا ما أخدع نفسي لأنها لا تكون أبدًا أحلامًا سردية، أو تحمل رموزًا مثل أبواب أصدقائي ومفاتيحهم وجزرهم. لذلك عندما يحين دوري، أسترجع بورخيس مرة أخرى وأتذكر حكاية المايسترو التي رواها عن بوثيوس، الذي حلم بأنه متفرجٌ في سباق الخيل:

"تتجمع الحيوانات على خط البداية، وتبدأ في الركض، تتجاوز بعضها البعض، أحدها يعبر خط النهاية أولًا. ثم في ومضة يرى بوثيوس أنَّ هناك حالمًا آخر، يحلم به والخيول والسباق ... "

يوقفني عامل التثاؤب من توضيح أنَّ هذا هو الرب، الذي يرى كل شيء ولكنه يسمح باليقظة والإرادة الحرة، إلخ.

تخبرني رو والأنوار مغلقة عن السباقات الأخرى التي سمعت عنها في مسينا. ليست تلك الرسمية، بل الاجتماعات السرية والسباقات السرية.

عربات شحن تتسابق على طول شوارع المدينة المهجورة في الساعات المتأخرة، حيث تضع المافيا رهانات على مبالغ مخيفة.

خلال الليل سوف أسمعها من غرفتي. تنطلق العجلات والخيول على حجارة الرصف بقوة وإيقاع، حتى تتلاشى أسفل التل، نحو النوم العميق.

**مسينا، تنداري، كاستيلبونو**

لقد انطلقنا مرة أخرى، هذه المرة باتجاه غرب الجزيرة؛ تتناغم دقات غيتار فلامنكو مع المناظر الطبيعية وتدوي من الاستريو. إلى جانب الطريق تفتَّحَ مشهدٌ إعجازي جديدٌ. سيكون من الأنسب وصفه على أنه واحد من تلك المشاهد المحببة للغاية لرسامي التعليم المدرسي: معجزة من الرمال الذهبية التي تواجه البحر، تلمع من هذا الارتفاع مثل مرآة هائلة، زرقاء لا تقاوم.

أعلنت لافتة أننا اقتربنا من تنداري، وهي مستعمرة يونانية سابقة، تم تدميرها بواسطة العرب وأخيرًا صارت ضريحًا كاثوليكيًا. دخلنا الموقع عبر منحدر شديد الانحدار، حتى وصلنا إلى الشرفة الطبيعية الهائلة المشار إليها بواسطة كوازيمودو.

***أنا أعلم أنك لطيفة في مياه التلال واسعة***

***يا جزر الآلهة الحلوة القديمة؛***

***واليوم تنقضين علي ...***

تمتزج الدوخة مع المتعة الصوفية. تبدأ الشمس في تسخين البحر وتجعل الشاطئ الفارغ لامعًا؛ اليوم صافٍ بما فيه الكفاية لرؤية ليبراي، هناك، في متناول اليد تقريبًا.

إنَّ تلاميذ الكنيسة الكاثوليكية في هذه الزاوية من الجزيرة بالتأكيد لا يستسلمون للنزوات. تروي الأسطورة كيف سقط صبي من هذه المرتفعات، وأنَّ السيدة العذراء مريم نشرت شظية رملية بهيجة لتنقذه.

تقول كا وهي تنظر إلى أسفل، "أكره أن أتخيل الارتطام، والطفل البائس الذي سينتج بعده. كان الترامبولين أفضل رهان".

شاكرين لمثل هذا التدخل الإلهي، بنى الأبرشيون البازيليكا – **والذي كان مؤسفًا إلى حد ما من الناحية الجمالية حيث يمكن أن يطلق عليه المسخ المعماري**. لكن هذا لم يوقف جحافل الحجاج الذين يقومون بالرحلة هنا بشكل دوري. حتى البابا مر عبر تنداري، تاركًا وراءه هيكلًا معدنيًا مروعًا لتحيته، مدهونًا باللون الأبيض، كنسخة من كبسولة فضاء ملقاة ومهجورة على العشب عند المدخل.

"من العار أنَّ يوحنا بولس الثاني لم يكن يريد تكرار المعجزة ورمى نفسه من على الجسر. فقط لإعطائنا مثالًا"، يقول اللاهوت المعادي الذي يدعم لاهوت التحرير، جميع عمليات التحرير.

"لا أريد أن أكون معاديًا للبابا أكثر من البابا المُعادي"؛ شرحتُ مقدمًا، لكن اسمع: "بينما لم يغفروا لبورخيس الحصول على جائزة من بينوشيه، لم يوبخ أحدٌ فويتيلا لإعطائه قربانًا مقدسًا للديكتاتور التشيلي. لا أحب هذه المعايير المزدوجة: نحن جميعًا مور، أو مسيحيون!"

يقول إيتو، "مستحيل في صقلية أن يكون الجميع مورًا ومسيحيين في الوقت نفسه". استعدتُ أحد أعمال أندريا كاميليري، كاتب روايات المباحث في مونتالبانو.

تدور أحداث القصة حول اختفاء زوجين متزوجين في طريقهما من أجريجينتو إلى الضريح. المؤامرة تنبض بالحياة أمام أعيننا، حيث أَّنَّ الجمهور الذي يحيط بنا تدريجيًا هو، في الغالب، من سن التقاعد. من بينهم / نكتشف متحمسًا مسيحيًا.

لا شك في أنَّ جزيرة صقلية هي جزيرة متدينة للغاية. ومخلصة لمريم على وجه الخصوص: هناك الكثير من العذارى، أكثر من الأندلس، ولديهن الكثير من المصلين.

أعلن البابا بيوس الثاني عشر في أحد برامجه الإذاعية أنَّ الجزيرة، هي "إِقْلِيم قداسة مريم"، وهكذا استمرت حتى الوقت الحالي. لقد سمعت ذات مرة أستاذ لاهوت مشهورًا يقدم تفسيرًا سخيفًا في ما يتعلق بالتفاني المريمي الموجود في جنوب أوروبا. في جوهره، أشار إلى محاولة السعي لإعادة تأسيس كرامة المرأة، والتي كانت قد انحدرت خلال إمبراطورية الأندلس - كما لو أنَّ المسيحية، من القرن الخامس عشر حتى الوقت الحاضر، قد تميزت على وجه التحديد بنسويتها المتشددة.

هناك القليل من اليسوعيين في صقلية. قد يكون هذا بسبب الصلب الذي يمثل الخلاص من خلال اللحم المعذب والموت، وهو شيء كان على الصقليين تحمله بالفعل بما فيه الكفاية. العذارى المعجزة، وحتى الحزينات، يحركن نوعًا آخر من المشاعر. إنهن يتدخلن في مساعدة أبناء الرعية أو يشاركنهم في مصائبهم، لكنهن لا يفقدن دماءهن أو يعرضن أنفسهن لتضحية الخلاص.

ولكن لنكن واضحين، كل هذا مجرد تخمين. خلال زيارة إلى كنيسة صقلية، يقولون إن د. ه. لورنس كان مذهولًا بالتفاصيل الواقعية للمسيح الشهيد. عندما سأل سيدة مسنة عن سبب تكرار الدقيق، أوضحت له أن السبب في ذلك هو أنَّ يسوع جعل والدته تعاني.

من مخلص الإنسانية إلى طفل شقي مصلوب، بموجب مرسوم شعبي.

على الرغم من أنني أهرب في إسبانيا مرتعبًا من البخور أو الفرق ذات البوق والطبول، أعترف أنني أود رؤية واحدًا من المواكب العديدة في الجزيرة. لدي حقًا شيء واحد واضح في ذهني: من الشرك اليوناني الأساسي إلى الإخلاص لمريم، يتطلب عرض الروحانية الصقلية للطقوس والرموز والآثار التذكارية قدرًا كبيرًا من التفاني كما يفعل الخوف مع أي غضب ينحدر من السماء.

"الآلهة والوحوش" كان يمكن أن يكون علامة مميزة لشعار الجزيرة.

نترك تنداري متجهين نحو تشفالو. مرة أخرى، كنت **مساعد السائقة** كا، وأضع أصابعي في حجرة القفازات بوضع مناسب للموسيقى. الطريق رتيب، البحر على الجانب الأيمن أزرق شفاف. بينما نحدق بلا هدف، مررنا بقرى مجهولة الهوية تمتلئ جدرانها بملصقات السيرك الصفراء التي تعرض البهلوانات والمهرجين والحيوانات البرية التي رأيناها من قبل. أرادت "رو" أن تناقش ملصقًا رأيناه في "مسينا"، يظهر رأس نمر بفكين مفتوحين، لكن الملصقات الصقلية تعلق دائمًا، كما لو كانت ملصقة بـ "لاكتيت"، لا توجد طريقة لإزالتها قطعة واحدة.

***"الشمس الوحشية / تشبه مخلب النمر الكاسح.."***

أتذكر بورخيس بطريقة مبتذلة. تهاجم الشمس القوية التي تسقط على رؤوسنا بمخالب شرسة. إنها ليست الحرارة التدريجية للموقد، كما هو معتاد في المناطق الساحلية من الفجر إلى ارتفاع اليوم، ولكنها رشقات نارية حقيقية من قاذف اللهب؛ نيران نار الجحيم، والتي تذوب الأسفلت وتطمس الخطوط في الأفق.

بينما نتجول على طول هذا الجانب من الساحل نلاحظ أنَّ الأعمال الهندسية قد استحوذت على جزء كبير من الجزيرة، حيث تلاشى هذا الجسر الحديدي الممتد إلى مسافة بعيدة، وتضاعفت خطوط الطرق أو الأنفاق الطويلة التي تثقب سفوح الجبال. الآن أفهم النكتة الضمنية المتعلقة بالعائلة التي تلعب دورًا رئيسيًا في رواية فيتوريني الفريدة "لحن لفيل". بدأ أحد الشخوص يدرك في جده ميزة القيام بجميع أعمال الهندسة في صقلية، وينتهي به الأمر إلى إسناده مهمة بناء الكولوزيوم في روما وسور الصين العظيم والأهرامات في مصر، له.

كل من يقدر على كل شيء، يبدو أنَّ الكاتب يخبرنا بسخرية، قادر على القليل.

المخالب المشتعلة لا تتوقف؛ ستجعلنا الحرارة في حالة من الجفاف وتقلل احتياطياتنا من المياه بشكل خطير، وستحولها إلى مياه فاترة وغير قابلة للشرب. حتى بالنسبة لمن اعتادوا منا على المشرق الجاف، فإنَّ هذا الرقعة الأفريقية ترفع درجات الحرارة إلى مستويات مزعجة تقريبًا.

أبدت كا أعراض التعب، وقالت رو إنها تشعر بداور السيارة. لذلك توقفنا بالقرب من محطة سكة حديد كاستلبوينو، المهجورة بالكامل في هذا الوقت من اليوم. يبدو مكتب التذاكر فارغًا ومغلقًا، وليس هناك أي علامة على زي عامل الإشارة المميز في محطة الأشباح هذه.

بعد بضع دقائق من الهدوء، عاد هبوب الهواء المحترق. قررنا البحث عن مقعد في الظل. بدأت رو في استعادة لونها ببطء، ومدت كا ساقيها. في هذه الأثناء، متع إيفان نفسه بالانحناء على القضبان في محاولة لسماع قطار يقترب، كما يفعل الهنود في الأفلام. يجثم على أطرافه الأربعة لبعض الوقت ويبدو أنه يركز بشدة. عندما ينهض، أسأله لو سمع أي شيء.

"لا، لا شيء"، يقول وهو يرفع يده إلى أذنه المحمرة، "لكنها تُحَرِق حقًا".

**تشفالو**

وصلنا إلى تشفالو، برأسها الصخري الكبير المطل على البحر، كما يوحي الاسم ذاته. أو كما قال دوريل بإسهاب إلى حد ما، "حوت كبير ينعم بالأزرق - مُجْتَرَّات خرافية للأسماك، تحلم بمحيط عدني مفقود، عيونه مغلقة: عند دخولك إلى المدينة، ستفهم أنَّ كل التَفْخِيم، كما هو الحال دائمًا، مبالغٌ فيه. إنه إطار من الشوارع الهادئة المبيضة، لا علاقة له بموبي ديك النائم أو بخيال مشابه. آه، الكُتَّاب، مُتَغَطْرسون، مُفْرِطون، يصرون دائمًا على شعرنة ما هو شاعري بالفعل! أعتقد أنَّ إيفان على حق.

الحصول على موقف سيارة به ظل يبدو أمرًا صعبًا، ولكنه ضروري إذا لم نكن نريد ليوريكا أن تسيح مثل الموتزاريلا تحت الأعمدة البيضاء لأشعة الشمس.

بعد محاولات فاشلة عديدة، ركنَّا السيارة تحت شجرة ضئيلة، ظلالها قليلة، ثم تجولنا عبر مجموعة من الشوارع. كانت الطرقات خاوية تقريبًا بسبب الحرارة الشديدة. يبدو أنَّ المدينة كلها مستغرقة في قيلولة طويلة، كما لو أنَّ النعاس فُرض بمرسوم محلي. سمعت أغنية إنجليزية عبر إحدى النوافذ لم أميزها جيدًا. الأماكن كلها تفوح منها راحة الصيف، الرياح الدافئة والساعات المُتأنية.

أردنا الذهاب إلى الشاطئ الذي رأيناه في كل الملصقات والبطاقات البريدية، لكننا لم نكن نعرف الطريق. لأولئك من الذين عاشوا وهم محاطون بالبحر، هناك ما يمكن أن يساعدنا، شيء مثل الحاسة السادسة: أينما كنا، نجد دائمًا طريقة للوصول إلى هناك. مع حدس المشاهد المتوسطي، تقدمت بخطواتي كما لو أنني نشأت في هذه الشوارع. بعد الالتفاف عبر بعض الأزقة ارتفعت رائحة نترات البوتاسيوم إلى أنفي، سوية مع صوت لا يمكن إخطاؤه لأطفال يلعبون ولمعان مضيء لا يمكن إغفاله على الحوائط.

وصلنا إلى الشاطئ، مع شخوصه المميزين في المنازل الصغيرة، وهم يوشكون على غمر أقدام شرفاتهم في حافة الماء. انتقلنا أنا وإيفان إلى حافة الشاطئ وبحثنا عن أفضل مكان لنصور منه بكاميراتنا. نسيم عليل جعلنا نُحس بالانتعاش. وضعنا معداتنا على الرمال، وتبادلنا الأدوار في السباحة ومراقبة ممتلكاتنا القيمة.

بدا كل شيء مألوفًا: آباء يأخذون قيلولة تحت شمسياتهم الملونة، أمهات يزجرن أطفالهن الصغار للسباحة بعيدًا في الماء، مراهقون يشربون السجائر بين الصخور، تحت الظل المتضائل للمنازل الصغيرة.

أي كاتب رحلات تافه يحب أن يجمع المناسبات العادية، الحوادث المحمومة، الرسومات الحسية. على كل حال، بعض السلام الاعتيادي مطلوب، على الأقل، فقرة عن المتعة والامْتنان.

قلت لإيفان وأنا أقتبس من لامبيدوزا، "على المرء أن يعرف كيف يحس بالملل يا أورلاندو"، وأبدى صديقي إيماءة موافقة تامة.

نظرت مجددًا إلى حاجز الأمواج ولم أحتج لأن تخبرني كا أنَّ في هذا المكان بالضبط تم تصوير مشهد من فيلم "سينما براديزيو"، والذي يعتبره الكثيرون أفضل فيلم للمخرج الصقلي جيوزبي تورنتوري. في هذه النقطة في الفيلم كان توتو الصغير قد كَبُر بالفعل وكان ذلك في فصل الصيف ولذلك عرض الفيلم في الهواء الطلق.

بعض المراكبيون أبحروا بمراكبهم لتفادي دفع التذاكر. يستلقي البطل بجانب آلة العرض، وهو يحلم بالفتاة السخيفة التي لم يسمع عنها منذ عقود، والتي فازت بقلبه. في هذه الأثناء، على الشاشة الكبيرة - التي وضعت في المكان الذي نلتقط فيه أنا وإيفان الصور- أوديسيوس، أو ربما يجب أن يكون كيرك دوغلاس، يقتل السايكلوب. بدأت عاصفة فجأة، هرب المشاهدون جميعًا ومثل مطر بهيج سقطت حب حياته بين ذراعيه.

قال إيفان مازحًا، "لحسن الحظ فالجو صحو اليوم، هيا انهضوا، دعونا نتمشى".

تمشينا عبر الشوارع الضيقة والملتوية لتشفالو. أحداها كان أضيق حتى من ذلك الذي في طبرمين، والذي أراد إيفان إرساله لموسوعة غينيس للأرقام القياسية.

كان بإمكاننا العبور فقط لو التففنا إلى جانب واحد وشفطنا كروشنا. يمكن للمرء أن يدعوها الحاجز المعماري للبدين. الشيء المدهش هو كيف أنَّ اقتصاد المكان الذي يعود لزمان حيث التضخم لم يؤثر بشكل كارثي على المتر المربع كما يحدث الآن. من الأفضل أن لا نمنح قِروش العقارات أفكارًا جديدة.

كما يبدو لنا عاديًا الآن، فقد اكتشفنا أنَّ تشفالو لديها أعلام أكثر من اجتماع في الأمم المتحدة. يبدو أنَّ لها جذورًا فينيقية، من الواضح أنها أغريقية، ومتحالفة أيضًا مع قرطاج. في الحرب البونية الأولى تم غزوها وتدميرها بواسطة الأسطول الروماني. ومن ثم تم استيعابها في الإمبراطورية، ولاحقًا استعمرها العرب حتى وصول النورمان.

تاريخ تشفالو هو لعبة لا متناهية من الغزو، كما هو الحال مع مدينة أخرى في رحلتنا، وكل منها ترك آثارًا بليغة.

حان الوقت الآن لأكشف أنَّ صديقي إيفان هو صياد محترف لتحريف النصوص. قبل وقت طويل من قراءته "ديوان مصر" لليوناردو سسياسيا-كتاب عظيم حقًا عن التشوهات التاريخية- كان قد وهب نفسه لكشف الاحتيالات التي تقبلها الجميع على أنها حقيقة لأنهم درسوها في المدارس. عندما زرنا كاتدرائية تشفالو التي أنشئت في عام 1131، بدا مأخوذًا.

في رواية مُلْغَزة أخرى، "ابتسامة البحَّار المجهول"، أخذ فنشينزو كونسولو أسطورة الملك النورماني روغيرو الذي ترك نابلس مع أسطوله وعلق في عاصفة قاسية قرب سالرنو. يقال إنه دعا في صلاته وأقسم أنه سيبني كنيسة لمخلصه في أول مكان تحط فيه سفينته، وقد حدث هذا هنا بالضبط على سواحل تشفالو حيث حطت سفينته بأمن وآمان. دون تأخير، نفذ روغيرو الأمر، تكلف بكل تكاليف المشروع وأصبحت لدينا الآن الكاتدرائية الموعودة.

رأيت إيفان يتحرك جيئة وذهابًا، يبتعد ومن ثم يعود مجددًا، ويلتقط الصور ... وكمتشكك طبيعي، أخذ يشكك في الجذور النورمانية للبناء. ولكن خلال مراقبته للسقف وأخشابه، لم يستطع كتم آهَة يمكنك تفسيرها كـ "**لا مثيل له!"**

تظهر قْنطرة الدَرابْزين أنَّ المهندس والبنائين يعرفون فن صنع القباب. لماذا لم يستخدموه عند بناء صحن الكنيسة؟ إنه بالتأكيد يحتاج لجهد ووقت أكبر من مجرد وضع أخشاب، لكن ليس هناك أي كنيسة على امتداد شبه الجزيرة الإيبيرية، مهما كان تواضعها، تهتم بمثل هذه الجدالات. الكاتدرائيات ذات الأسقف الخشبية وجدت في إنجلترا حيث الحجر مخيف جدًا والخشب وافر جدًا وبذلك يصبح الخيار مفهومًا. لكن في صقلية الصخرية لا يمكن أن ينقصهم قاطعو حجارة.

لاحظت رو، "هناك شيء آخر؛ انظر إلى تلك الرؤوس، تلك الشخصيات الحجرية الغريبة حقًا، تلك الوجوه البشرية. انظر إلى الرأس الهائل والفم والعيون المفتوحة مع ابتسامة رهيبة. إنه ليس قديسًا، بل شيطان ... وليس مسيحيًا أيضًا، ماذا تظن؟" تضيف كا، "هناك العديد من الكنائس من غاليسيا إلى ألمانيا، تزينها شخصيات متشابهة من الخارج وأحيانًا بداخلها، تتآكل بمرور الوقت، لكنها لا تزال واضحة بما يكفي لرؤية الرجال والنساء والحيوانات كلها متورطة في أعمال جنسية! لن يجرؤ معبد هندوسي على الحلم بها: كل شيء مع أي شيء، لدرجة أنك لا تستطيع أن تعرف من في الأعلى ومن بالأسفل، ناهيك عن من مع من".

يستنتج إيفان، "التفسير الرسمي هو أنَّ مثل هذه الزخرفات تبين الانحرافات المريعة للجحيم، لكن وجوه الناس المرسومة بهذه **الابتسامات العريضة** تظهر شيئًا مختلفًا عن المعاناة".

سألت، "إذًا ما هو استنتاجك؟"

حسنًا، لن أتفاجأ لو اتضح أنَّ هذه الكنيسة نورمانية فعلًا:

"ماما ميا: الكثير من اللَغْو لنصل إلى هذا. نظرت إلى ساعتي ... تجاوز الوقت الخامسة! ما لم نتحرك على الفور لن نتمكن من الوصول إلى باغيريا قبل حلول الظلام، وهي واحدة من أهم وقفات بورخيس في رحلته الصقلية. استعجلت الباقين، وقد بدوا مفتونين بسحر المدينة. مالوا عبر نقاط المشاهدة، تشربوا من النوافير، وهمهموا لأنفسهم وهم يتجولون عبر الأرصفة.

هيا يا باغيريا! أكدت لي كا أن لا شيء يجب أن يقلقني: لم تذب يوريكا، ولو قدنا بطريقة جيدة سنصل إلى هناك في الوقت الذي نريده. كنت متوترًا جدًا وتعبًا وبمجرد أن ركبت السيارة غططت في نوم عميق، ولم يتسنَّ لرأسي الحصول على وقت طويل قبالة النافذة.

**باغيريا**

استيقظ يا حلو، لقد وصلنا.

كان ذلك صوت كا؛ لقد داست على البنزين لنصل إلى باغيريا قبل الساعة السابعة والنصف، وهو ما سيمنحنا ساعة قبل إغلاق فيلا بالاغونيا أمام العامة، على الأقل وفقًا لمعلومات السياحة التي تحصلت عليها. تشكل الفيلا خلفية لمجموعة كبيرة من الصور من الكتاب الأحمر الصغير. تمددت في المقعد الخلفي، دائخًا نوعًا ما مع إحساس بأنني نمت أكثر من ريب فان وينكل بعد تناوله عقار ليكسوتان.

لا يزال أمامنا بضع ساعات من ضوء النهار، ولا يبدو أنَّ باغيريا، الملعب السابق للأثرياء من باليرمو، كبير جدًا. كان أول أمير نبيل يبني قصرًا هنا هو أمير بوتيرا في منتصف القرن السابع عشر، الذي وجد أنَّ باغيريا ركن لا يقهر لتجنب المحاكمة الصغيرة، عندما واجه نائب الملك آنذاك.

تبعه رجال أثرياء آخرون، ولم يمض وقت طويل حتى صار المكان شيئًا يشبه التطوير السكني الفاخر الذي يتميز بذوق رائع.

زار فولكو دي فردورا، أحد أقارب لامبيدوزا، هذه المواقع كطفل، قبل أن يهاجر إلى الولايات المتحدة حيث حوله كوكو شانيل إلى مصمم عالي القيمة.

لقد ترك بعض الذكريات الساحرة من طفولته، والتي يصف فيها بالتفصيل حياة هذه الأركاديا المفقودة: "كانت باغيريا بالكاد لباليرمو، ما كانته فراسكاتي لروما"؛ كتب. "منطقة كبيرة منقطة بالحدائق التي وقفت بداخلها فيلات النبلاء الفاخرة. بعضها كبيرة جدًا جدًا مثل فالغارنيرا، كاتوليكا، ترابيا، بوتيرا، سان ماركو، كوت؛ بعضها أصغر، بطابق واحد، وشرفات وأجنحة، وبالطبع فيلا بالاغونيا الوحيدة والأوحد بوحوشها".

نعم، نحن نعرف القليل عنها بالفعل، ولكن أين الفيلا المعنية؟ تقودك الصور الفوتوغرافية إلى الاعتقاد بأنه يجب أن يكون مكانًا هادئًا ومحاطًا بالطبيعة. ومع ذلك، فإنَّ المدينة التي شاهدناها عبر نوافذ يوريكا هي فوضى من السيارات والدراجات البخارية التي تجوب الشوارع غير الفاخرة تمامًا.

"فيلا بالاغونيا ... يسمونها أيضًا فيلا داي موستري: أخبرني أصدقائي. "أعتقد أننا يجب أن نسأل شخصًا ما".

وقد قمنا بذلك. بعض المارة ليسوا على دراية تامة بوجودها؛ سمع الآخرون عنها ولكن لا يعرفون أين يمكن العثور عليها. لم يجرؤ سوى عدد قليل على إعطائنا التوجيهات، تجولنا جيئة وذهابًا، حتى أرشدونا إلى دوار قبيح. من ناحية، توجد محطة بنزين، ومن ناحية أخرى كشك لبيع الدجاج المحمص، وبعدها بمسافة قريبة فيلا بالاغونيا! يبدو أنَّ القصور القديمة الأرستقراطية قد تم تهميشها من قبل المدينة القذرة وعديمة الشكل، وحتى بالاغونيا لم تنج من هذا العلاج. لكن الأمر لا لبس فيه، حيث يقوم العملاقان الحجريان بحراسة المدخل ... وبوابة من الحديد المطاوع تسد الطريق، دون أن يفتحها سيربيروس أمامنا.

"ماذا الآن؟" سألت رو.

لا بد أنَّ هناك طريقًا أخرى. دعونا نلف حول المكان ونرى.

ندور حول الجدران التي تعلوها التماثيل الوحشية الشهيرة التي تمنح المكان اسم الشهرة. نظرًا لأنه لا يوجد مدخل بديل، فإنَّ الوضع بدأ يصبح محزنًا، كحلوى مأخوذة من الشفاه. سيتعين علينا العودة إلى البوابة الرئيسية والمحاولة مرة أخرى. لا أريد حتى التفكير في الانتظار حتى الغد لزيارة الفيلا.

لن يدعنا الآخرون نفقد يومًا كاملًا، مهما حفرت بأعقابي. أقول لنفسي ألا استسلم للذعر.

من خلال درابزين البوابة، يمكن رؤية مكتب التذاكر مغلقًا حيث تشير علامة إلى رسوم الدخول، وهناك - المبنى الرئيسي. نرى سيارتي مرسيدس متوقفتين بجانبه، ويشير كل شيء إلى أنَّ المساحة الداخلية مأهولة، ولكن بمن؟ لجأت رو إلى استخدام اتصال داخلي يسرد أسماء السكان بجوار الأزرار الخاصة بهم. ضغطت بشكل عشوائي على اسم طبيب ما.

دكتور نارال تيديسكو! ألم يكتب مقدمة لأحد كتب سسياسيا، Ore di Spagna [الساعات الإسبانية]؟ لكن أيعيش هنا؟ أقول بحيرة، وأضغط على الجرس مرة أخرى.

ليس هناك إجابة. أحاول مرة آخرى. وكما السحر فتحت الآلية الكهربائية الباب أمامنا. ترددنا قليلًا قبل اتخاذ الخطوة الأولى.

يقول إيفان: "نحن كأربعة ملحدين ينزلقون إلى الجنة". "سيداتي وسادتي"، علقت بصوت يشبه صوت المرشد السياحي، "نحن في فيلا بالاغونيا. تم تشييدها عام 1705، وليس من قبيل التناقض أن نقول إنها أحد أكثر أركان صقلية روعة. بين الجدران المنتهية بتماثيل ذات أشكال غريبة، يتم عزل الزائر تمامًا عن حركة المرور الخارجية. تشبيح خيال ظل الحجر يلوح في الأفق مع أنفاسه الخارقة .. "

شعرنا جميعًا باقتراب المغامرة. فتحنا الكتاب الأحمر الصغير وقرأنا تعليق بورخيس الأول: "ماريا"، يصرخ بحماس، "نحن في طريقنا إلى مكان زاره غوته وسوينبورن!"

نحن نتجول في مكان زاره غوته وسوينبورن وبورخيس.

-------

قرأت نص سيانا: "وجد صَدَفةً فوق مقعد ووضعها على أذنه على الفور للاستماع إلى صوت البحر ..."

بالنسبة لي، هذه أغرب صورة بالمجموعة. آخر شيء تتوقع أن تجده هنا سيكون صَدَفةً كهذه، مما يدفعني إلى الشك في نظرية البحث غير العادية. كنت أراهن على روايتي التشيكية الخيالية بأنَّ شخصًا ما أخذ الصدفة من جيبه وسلمها إلى بورخيس، أو وضعها هناك كأمر واقع من أجل خلق الموقف. من المؤكد أنَّ الحيوان لم يصل إلى هناك مستخدمًا أرجله، نعم توجد بالفعل محارة لديها قدم واحدة فقط، لكنها قدمها مع ذلك.

أنا لست مولعًا بابتسامة المايسترو الأرجنتيني في هذه اللقطة أيضًا. لقد رأيت ابتسامته في صور أخرى، في مقابلات تلفزيونية، وهي عادة لا تدل على السعادة. إنها مثل اخْتِلاج، مع لمسة من الزمن أو الشيخوخة، وربما حتى الدَمَاثَة. بدأ بورخيس بالابتسامات بنفس السهولة التي محيت بها عن وجهه، ولم يكن أي خيار انعكاسًا حقيقيًا لحالته الذهنية.

دعنا الآن ننظر إلى الأصداف، والأسطورة الطفولية حول أنها جميعًا تحتوي على صوت البحر. لا يضع أي شخص بالغ أي إيمان في هذه التجربة، والتي يمكن إعادة إنشائها ببساطة عن طريق يد مقعرة أو أي شيء أجوف ذي أبعاد مماثلة. لا، أشك أنَّ بورخيس كان مستمتعًا حقًا بهذه النكتة. ولكن دعنا نذهب أبعد من ذلك قليلًا. إذا نظرنا عن كثب إلى الصَّدَفة التي يمسكها في يده، يمكنك فقط رؤية التجويف الذي يسميه علماء الآثار باسم السرة **- على الأقل العمولة التي حصلت عليها لقاء تحرير دليل عن الأصداف كانت مفيدة بشيء ما!** - وتحمل بطريقة بحيث يتم توجيهها بعيدًا عن الأذن.

اكولا: بورخيس لم يسمع الرسالة حتى.

قال المايسترو ذات مرة، "البحر لغة قديمة لم أتمكن من فك شفرتها".

أو ربما سمعها بالفعل، ولكن فقط لأنه أراد أن يسمعها. لأنه هو نفسه كان نوعًا من الرخويات العملاقة: محبٌ للمحيط، لرنينه وأصدائه اللانهائية، مطوقٌ في قوقعته، جرح حول الدَّرَج الحلزوني في مكتبته كما لو كان عبارة عن ملجأ حميمي. لأنه من الممكن أن تتطلب نفخة الأصداف البحرية، مثل تخيلات الكتب، براءة معينة منا، ومشاركة خيرة قليلًا، وبالتأكيد قدرًا كبيرًا من الرغبة.

------

لقد اكتشفنا أنَّ المصور فرديناندو سيانا من باغيريا. ونظرًا لأنها مسقط رأسه، فليس من المستغرب أن يقترح على بورخيس وماريا كوداما، رحلةً حول فيلا الوحوش. مع الأخذ في الاعتبار كيف كان الضيف عاشقًا لهذا النوع من الخيال، وأنه كتب كتابًا مفصلًا للغاية عن الكائنات الخيالية مع مواطنه بيو كاساريس، ليس من الصعب تصديق أنَّ الفكرة كانت مؤكدة: هذا المكان مليء بهم.

تظهر الصورة أعلاه بورخيس جالسًا بجوار ماريا كوداما على مقعد من الحجر الباروكي. تعبيره كان مرحًا، ويداه، كما هو الحال دائمًا تستريحان على العصا. كان يرتدي سترة بدلة داكنة وحذاء أسودًا لامعًا. خلفه، في نقوش حجرية، تم تأطير رجلٍ أرستقراطي في مكان ملائم: بباروكة أو شعر مجعد طويل، ابتسامة سامة فاترة، يرتدي ما يبدو أنه درع.

لقد قرأت العديد من النصوص حول بالاغونيا، ولكن لا يبدو أن أيًا منها تبين بشكل قاطع هوية هذا الشخص. أميل إلى الاعتقاد بأنه دون فرديناندو جرافينا، الأمير الخامس لبالاغونيا، الذي تخيل بناء الفيلا وسلم الأعمال إلى المهندس المعماري الموثوق به، توماسو نابولي، عندما كانت باغيريا لا تزال ريفًا مفتوحًا. لكن إذا رفع رأسه اليوم ورأى المضمار المضطرب المحيط بالمكان، فإنه بلا شك سيبقى كما نراه باردًا كالرخام.

من السهل العثور على المقعد: فحين تدور حول المبنى الرئيسي في اتجاه عقارب الساعة، إنه أول ما تراه: لقد اصطدمنا به تقريبًا.

أعتقد أنَّ سيانا شعر بضعف خاص تجاه هذه الزاوية من الفيلا. أعلم أنه قام أيضًا بتصوير شاعر محلي يدعى جياكومو جياردينا هنا، رغم أنني لست متأكدًا مما إذا كان ذلك قبل بورخيس أو بعده. في هذه اللقطة، على الرغم من مداعبة ماريا كوداما للتمثال، إلا أنه يبدو جامدًا وموقرًا مثل أمير بلاغونيا المفترض. من ناحية أخرى، ينظر جياردينا من زاوية عينيه إلى التمثال، مع ما بدا للوهلة الأولى من انعدام الثقة الساخرة. تبنى وضعية أكثر راحة، غير رسمية بأناقة. لقد رأيت أيضًا صورة أخرى لهذا المقعد نفسه، صورة لفرانت فيرانتي. هناك كلب صغير ينام على الحجر في المكان الذي شغله ذات مرة أولئك الشعراء، مع كمامة مثبتة على خطمه. إطار جيد للصورتين المذكورتين أعلاه: الشعراء مثل الطيور المغردة من جهة، والكلب المكمم من جهة أخرى.

أرجع للكتاب الأحمر الصغير. يقول سيانا: ''بورخيس مفتون بتاريخ الأمير الغريب الذي قام بملء الفيلا الخاصة بالتماثيل الوحشية. يتجول بينها وهو يقرأ قصائد سوينبرن، "الشاعر المفضل لأمي"، كما وضح .."

لماذا سوينبرن؟ أسأل نفسي وأفكر في بعض الإجابات المحتملة: لأنَّ الرجل الإنجليزي الذي تفاخر بدمه الأزرق يناسب الفيلا؟ فرضية متواضعة. لأنَّ شهرته كمجدف بائس تتناسب جيدًا مع الأجواء الدنيئة لهذا المكان؟ ممكن. لأنَّ بورخيس اقتبس سوينبرن بشكل إلزامي، دون أن يكون ذا صلة، مثلما أقتبس أنا بورخيس؟ قررت اختيار الأخيرة.

أبحث عن قصيدة لسوينبرن، من بين المفضلات لدى بورخيس، وهي ليست في غير مكانها مع فيلا الوحوش تلك. ألقى الأرجنتيني الضوء دائمًا على أبيات من "مؤذ"، المليئة بالإثارة البهيجة دون ندم، والتي اعتبرها أيضًا غير قابلة للترجمة. لن أكون الشخص الذي يناقضه. هذا لأجلك يا دوريا ليونور:

***أه يا رب، ذاك الحب كان مثل وردة أو لهيب،***

***تلك الحياة كانت مثل تسمية اسم،***

***ذلك الموت لم يكن اتفه من رغبة،***

***وتلك الأشياء لم تكن شيئًا ومثيله!***

نحن مفتونون أيضًا بالقصة الغريبة لأمير بلاغونيا. نتساءل، ما الدافع الذي دفعه إلى تروّيع جيرانه وضيوفه من خلال هذه المجموعة الهائلة من التماثيل، العمالقة، الثعابين، الحوريات الحادة، التنانين وحتى الموسيقيين، الذين، رغم أنهم مموّهون، إلا أنهم ليسوا غريبين على الحيوانات الرامزة. يقولون إنَّ هناك حوالي ست مئة في المجموع، على الرغم من أنَّ الكثير منها ضاع إلى الأبد، تاركة فجوات حزينة على طول الجدار؛ طلب السكان المحليون هدمها بالكامل من قبل، لأنهم شعروا بالتهديد من قبل الخرافات الشرقية القديمة التي تقول إنَّ النساء الحوامل اللاتي يرين وحشًا سوف ينجبن أطفالاً وحوشًا.

تقول رو: "لا أظن أنها تثير الرعب جدًا. لا تبدو كالتماثيل، بل تبدو كدمى، ألا تظن ذلك؟ إنها مثل أليس في بلاد العجائب".

"أعتقد أنَّ الأمير كان يشعر بالوحدة الشديدة، وقد وضع كل هذه الأشياء كي لا يحس بالوحدة"، يضيف إيفان، "انظروا كيف تبدو المنحوتات وكأنها للداخل". لا يبدو أنها مصممة لخلق انطباع من خلف الجدران، على الأقل تلك المتبقية لا تفعل ذلك. إنها ليست إشارات "إحذر الكلب".

قلت، "لا تتجاهل فكرة وجود أشكال أخرى أيضًا تنظر إلى الخارج، ربما ضاعوا مع مرور الوقت. ولكن أنت على حق رغم ذلك. إنهم ليسوا مخيفين، أكثر من ضيوف في حفل جيد المراقبة وصامت".

بينما يتجول الآخرون حول الحديقة ويلتقطون الصور، جلست لأخذ مقعدٍ في المكان المحدد الذي كان فيه بورخيس. أغمض عيني وأركز على محاولة إعادة بناء مقدار ما كان يمكن أن يحسه المايسترو خلال يومه. أول شيء هو برودة الحجر على الأرداف.

-------

أقترحُ اللعبة نفسها على الآخرين؛ وهو ما قد يدعوه المسؤولون التنفيذيون للشركات بالعصف الذهني. أو في هذه الحالة، عاصفة من الانطباعات الحسية. لنبدأ مع حاسة الشم:

قال أحدهم، "رائحة قوية من نبات الدفلى، في كل مكان".

جادل شخصٌ آخر، "تبدو كالياسمين بالنسبة لي".

"الصنوبريات"، أضيف في محاولة للتوسط بينهما. "تنبعث منه رائحة الصنوبر والنزهات الصيفية".

عند المدخل، شممنا جميعًا رائحة مخبوزات ودجاج مشوي. لا بد أنها جعلت بورخيس جائعًا:

نفعل الشيء نفسه مع كلياتنا السمعية: "صفارات سيارة إسعاف تدوي في المكان".

"ألحان بيانو رشيقة تُسمع من إحدى الشقق".

"مواء قط مسجون".

"حصى مطحون تحت القدم".

"توضيحات سيانا، وصوت ماريا كوداما، قد رافقا تنهدات الرجل العجوز بالتأكيد".

آخذ ملاحظات أثناء انتقالنا إلى صورة أخرى من الكتاب: بورخيس وهو يقف في وضع جانبي، أمام أحد جدران الحديقة التي تملأها الوحوش. والكمثرى الشائكة على اليسار. براعم شجيرة برية تبرز من الجدار، إلى جانب العديد من الخيوط الكهربائية. يمكنك أيضًا رؤية قوس المدخل، مظلمٌ مثل نفق.

بدأت في الحصر! تحققت مرتين من الصورة للتأكد من المخلوقات التي يمكنني تمييزها: شكل بشري في القسم السفلي، في الأعلى بعض المنحوتات؛ مزيج من التنانين؛ وأخرى، ربما أنثى، بشرية في قمة القوس، موضوعة فوق رأس مبتسم كبير. ليس من السهل التعرف عليها، لأنَّ عدسة الكاميرا مائلة وتبدو غير واضحة. أين هي تلك التماثيل؟

نعيد خطواتنا لنبدأ من جديد. المدخل، كما اكتشفنا لاحقًا، لم يكن نقطة الدخول الأصلية، ولكن إضافة حضرية حديثة تم إنشاؤها لهذا الغرض. في هذه اللحظة الدقيقة، يظهر اثنان من السكان المحليين خلال باب، رجلان مسنان جيدان. قررنا أن نسألهما:

"عفوًا، هل تعرفان أين نجد هذه التماثيل؟" وأريهما الصورة من الكتاب الصغير.

يقوم أحدهما بفحص الصورة بعناية، ويلوي رأسه من جانب إلى آخر ويخبرنا أنه ينبغي لنا أن نلف حول الزاوية إلى اليمين، أو أن ندور حول المبنى المركزي إلى اليسار بمقدار 2.40 درجة، إذا كنا نريد إطالة الإثارة.

باختصار، علينا مواجهة جدار الحديقة حيث تغرب الشمس.

قلنا، "شكرًا جزيلًا لك".

سألنا الشخص، "إسبانيا؟"

بورخيس في صِقِلِّية

مع مرشدٍ أعمى

**بقلم: أليخاندرو لوك**

**ترجمها: أندرو إدواردز**

**ترجمة للعربية: سماح جعفر**

----

نرجِعُ بخطواتنا لنبدأ من جديد. لم يكن المدخل، كما اكتشفنا لاحقًا، نقطة الدخول الأصلية، ولكنه إضافة حضرية حديثة تم إنشاؤها لهذا الغرض. في هذه اللحظة تحديدًا، يظهر اثنان من السكان المحليين خلال بابٍ، رجلان مسنان طيبان. قررنا أن نسألهما:

"عفوًا، هل تعرفان أين نجد هذه التماثيل؟" أريتهما الصورة في الكتاب الصغير.

يقوم أحدهما بفحص الصورة بعناية، ويدير رأسه من جانب إلى آخر ويخبرنا أنه ينبغي علينا أن نلف حول الزاوية إلى اليمين، أو أن ندور حول المبنى المركزي إلى اليسار بمقدار 2.40 درجة، إذا كنا نريد إطالة الإثارة.

باختصار، علينا مواجهة جدار الحديقة حيث تغرب الشمس.

قلنا، "شكرًا جزيلًا لك".

سألنا الشخص، "إسبانيا؟"

"نعم".

"تحيا إسبانيا! يسقط فرانكو!" قال ملوحًا بقبضته في الهواء، بإسبانية مثالية، ومضى مبتسمًا.

إليك المشهد خلف الزاوية. اختفى التين الشوكي، وحلت محله شجيرة. اختفى الخفج البري أيضًا، وتم تغيير الكابلات لتركيب أنواع جديدة. الميزة الوحيدة غير المعدلة هي عائلة الوحوش. نتردد بعض الوقت قبل تأكيد اكتشافنا، لكن التصميم، وقبل كل شيء تفصيل نهائي واحد - زخرفة بارزة من الكتف الأيمن للشكل المركزي - تعد ضمان كافٍ.

لست متأكدًا إن كان بورخيس يعرف ذلك، ولكن قبل وقت طويل من بناء فيلا بالاغونيا، أمر الأمير فيسينو أورسيني المهندس المعماري بيرو ليغوريو ببناء حدائق بومارزو، وهي حديقة حيوانات متحجرة أخرى. يقولون إنَّ العديد من تماثيلها لا زالت موجودة في فيلته في فيتربو، القريبة جدًا من روما، وكذلك في صفحات الرواية الأكثر شهرة لزميل بورخيس الأرجنتيني مانويل موچيكا لاينيز[[29]](#footnote-29)، أحد أصدقائه القدامى.

اكتشفت لاحقًا عبر يواكيم فيست[[30]](#footnote-30) أنَّ هذه الانحرافات الغرافينية[[31]](#footnote-31) ألهمت أيضًا العديد من المؤلفين الألمان: أرنيم[[32]](#footnote-32)، فيلاند[[33]](#footnote-33)، هاينه[[34]](#footnote-34)، شتيفتر[[35]](#footnote-35)... ومع ذلك، بينما نتحدث عن الألمان، فقد روعت غوته[[36]](#footnote-36)، الذي وصف بالاغونيا بأنها "نفق الخرف" وفسرها على أنها "هواجس الرومانسية المرضية".

"كان مريضًا حقًا"؛ تمتمت كا، متملكة بالتعاطف الذي تحسه تجاه غرافينا. "بسببه، أطلق نصف سكان أوروبا النار على رؤوسهم في كل مرة قالت فيها امرأة 'لا' ".

أيفترض أن نقول مريضًا أم مجنونًا؟ فرديناند غرافينا هو نموذج لرجل ثري ومعتوه، شخصية أدبية قادمة مباشرة من أعمال سرفانتس أو شكسبير. يقول المثل الصقلي، "إذا لم يكن الرجال الأغنياء مجانين، فإنَّ الرجال الفقراء لن يتمكنوا من العيش". لكن بالنسبة لأميرنا، فإنه لم يكن جنونًا معهودًا فحسب، أو كما كان هاملت ليقول، "يبدو أنَّ هناك نهجًا لهذا الجنون". إنه جنون هَرْطَقِيّ، تَدْمِير للنظام القائم. لا بد أنَّ سسياسيا سأل نفسه سؤالًا مشابهًا: "كيف حدث الأمر، بينما اتجه بقية العالم نحو الجَمَالِيَّة والجاذِبِيّة، اتجه أمير بالاغونيا نحو الرعب، أكان هاجسًا، نَدَمًا، ضَلاَلًا؟ يرسم صديقه سافاتيري الإجابة: "لقد كان كل هذه الأشياء. ولكن يجب على المرء أن يتذكر أنَّ جزءًا فقط من الإنسانية اتجه نحو الجَمَالِيَّة والجاذِبِيّة، بينما بقيت الأغلبية عالقة في هاوية العمل والألم والظلم. لا بدَّ أنَّ غرافينا، من وجهة نظره الأرستقراطية، من صقليته، من فيلته في باغيريا، كان شاهدًا أكيدًا على ذلك. رجل مثله، مُجْهَد بالألقاب والشهرة، لم يستطع التمرد علنًا ضد الأعراف والقوانين والقواعد. ربما لم يكن يريد ذلك. ومع ذلك، شعر بالحاجة إلى اعتناق بدعته، عدم ثقته في الإنسان والرب. كيف تفعل ذلك دون مخاطر؟ بتحويل التجديف إلى جنون"، في صقلية، كما نعلم بالفعل، تؤدي جميع الطرق إلى بيرانديللو[[37]](#footnote-37)، والذي كان التعامل بعنف بالنسبة له لا أكثر ولا أقل من الاعتراف بالحقيقة وجهًا لوجه مع جار.

لديَّ أيضًا شكوك متزايدة حول جنون أمير بالاغونيا المفترض، وهذا الميل إلى التفكير في وحوشه كعمل تمرد ضد المنطق، ضد فكرة الحديقة كأداة لتنظيم المشهد والتحكم فيه. أحلام المنطق، كما نعلم، هي مولد لا يكل من الوحوش. ستحتاج إلى عقل مؤثث جيدًا لتتمكن من إنشاء مثل هذا العالم المضطرب، ومعرفة من حولك جيدًا بما يكفي لتحدد بالضبط كيف يمكنك ترويعهم. أراهن أنه لو كان فرديناند غرافينا أرستقراطيًا شابًا في القرن الحادي والعشرين، لكان سيرتدي: قمصان فرق موسيقى الميتال وأساور المعصم المشدودة، أو شيئًا مماثلًا، كي يتمكن من خلق انطباع عند جيرانه.

بقينا أنا ورو وحدنا لالتقاط بعض الصور، حتى فاجأتنا امرأة محلية شعثاء تبدو عليها علامات المزاج السيئ، و قد خرجت لتسمح لأطفالها باللعب في الهواء الطلق. سألتنا عما نفعله، وسأبالغ إذا ادعيت أنَّ لغتي الإيطالية الفظيعة كانت مناسبة لمهمة شرح أننا نريد فقط التقاط صورتين.

قالت، "الفيلا مغلقة، إنها مغلقة، لا يمكنكم البقاء دون تذكرة. هذه ملكية خاصة"، أخبرتها واعدًا، "حسنًا سوف نذهب".

ومع ذلك، لا زال يتعين علينا العثور على صورة أخرى لبورخيس في باغيريا، ولا يمكننا المغادرة دون اكتشافها - لذا فلتتصل بالشرطة أو حتى الجيش! بهدوء، تظاهرنا بالتوجه نحو المخرج، وتسللنا عائدين مثل اللصوص.

**\*\*\*\*\*\***

أرى الآن فقط أنه إذا أراد شخص بناء قصر تكريمًا للكَوْن البورخيسي، لكان من الصعب تصور أي شيء أكثر نجاحًا من فيلا بالاغونيا. بالإضافة إلى الفيلق الخيالي والوحشي المحيط به، هناك أيضًا قاعة مرايا حقيقية. لا بد أنَّ هذا الأمر قد أسعد المايسترو للغاية.

للدخول، يجب أن نصعد الدرج الرئيسي، إلى جانب المقعد المذكور آنفًا مع النقش الحجري البارز للأمير. عادة ما يتم إغلاق القاعة خارج ساعات العمل، ولكن لحسن الحظ هناك حفل زفاف يخلد عبر الكاميرات بالداخل. نظر إلينا الزوجان ووصيفات الشرف والمصورون بدهشة. فقد فضحنا مظهرنا القذر؛ البرمودا والسارنغ، رجال غير حليقين وفتيات منكوشات، بملح متبلور على أذرعهم وسيقانهم. ومع ذلك، عندما هنأناهم بثقة فتحوا لنا الطريق.

وفقًا ليواكيم فيست، تم إخراج الأثاث الأصلي حتى يتمكن السياح من الدخول. وبمعرفتنا لفرديناند غرافينا، كان أي شيء ممكنًا عندما يتعلق الأمر بالتصميم الداخلي: "... الكراسي القديمة ذات الأقدام المخلبية، الطول غير المتساوي أو مسامير على المقاعد، أو تلك التي من الممكن الجلوس فيها فقط مواجهًا الوراء، أو الطاولات المُتَحَابِكة، أو المزهريات المصنوعة من شظايا الخزف الصيني وأواني الغرفة المكسورة".

تم إخلاء قاعة المدخل تمامًا من جميع المقاصد والأغراض باستثناء بعض الجداريات المرسومة التي تؤدي من جهة إلى غرف الأمير الخاصة، ومن جهة أخرى إلى قاعة المرايا. ويوجد فوق المدخل نقش مكتوب عليه:

*باغيريا، 1984: في قاعة مرايا فيلا بالاغونيا*

*Specchiati in quelli cristalli e nentessa*

*magnificenza sincolar contempla di fialezza*

*mortal l'immago espressa*

تترجم لي رو: "انظر إلى انعكاسك في الزجاج وأتأمل في بهائه الرائع صورة الهشاشة البشرية التي يعبر عنها''. يبدو أنَّ الأمير الصغير كان لديه حس فكاهي سوداوي يستحق التأمل فيه. نحن لا نفقد قلوبنا ونستعد للتحقق من هشاشتنا البشرية، ولا زلنا نرتدي ملابس ضحايا حطام السفن.

نحن وحدنا، الغرفة بأكملها لنا. تتجسس علينا تماثيل مختلفة، عمياء ومجهولة خلال الجدران. تم نحتها من الرخام ومواد أخرى شفافة، ووضعت في العديد من الكوّات المزينة بالصدف، الأرابيسك، القوالب المقوسة، مثل هَذَيَان مبهرج نقي. السقف، المقوس قليلًا، يتحول إلى إفريز مطلي يحاكي شبكة باللون الرمادي والذهبي والأزرق السماوي. حتى إنه يحتوي على زهور متفتحة بشكل مناسب. والباقي عبارة عن شراشف سوداء، فضيات تلاشى لونها مع الوقت، ولكن لا تزال تكافح لمضاعفة صورتنا عندما نرفع نظرنا نحوها.

من المحتمل أنَّ بيرانديللو، الذي كان من أغريجنتو، كان يفكر أيضًا في قاعة المرايا هذه عندما كتب: مجازًا، ما يلي: "عندما يعيش رجل، يعيش ولا يرى نفسه. حسنًا، ضع مرآة أمامه واجعله يرى نفسه خلال فعل الحياة، تحت تأثير عواطفه: إما أن يظل مندهشًا ومذهولًا حول مظهره الخاص، أو سيدير عينيه حتى لا يرى نفسه، أو سيبصق على صورته لو أحس بالاشمئزاز، أو يجهز قبضته مرة أخرى لكسرها ..."

على الرغم من أنَّ بيرانديللو اشتهر جدًا بعمله "ست شخصيات تبحث عن مؤلف"، وإنشائه للمسرح داخل المسرح، إلا أنَّ القارئ العادي يفتقد أحد مساهماته الرئيسية، الموجودة في قصصه ورواياته: فكرة أنَّ الحياة نفسها هي المسرح. يقدم هذا الاصطناع كآلية نفسية متصلة بلعبة المرايا. هناك صراع بين أن تكون على خشبة المسرح وفي المقاعد، أو كما قال سسياسيا بالتأكيد، بين العيش ورؤية نفسك تعيش. يبدو أنَّ أمير بالاغونيا كان متخصصًا في هذا الأمر.

قالت رو وهي تحملق في السقف، "حلم أحد النرجسيين".

قالت كا مازحة، "نعم، ما الذي قد يمنحه مراهقٌ عاديٌ للحصول على سقف مثل هذا في المنزل، قبل الخروج في ليلة السبت!"

تمتم إيفان بغموض، "ربما لم يرَ بورخيس المرايا. وربما لم تره المرايا أيضًا".

أعتقد أنني أعرف ما عناه. شيء في الغرفة ليس متناسبًا. أعود إلى بعض السطور التي كتبتها ... هل كتبت صورتنا؟ لا، ليس الأمر كذلك تمامًا، يبدو التأثير أكثر إثارة للدهشة. إذا نظرت للأعلى، أو في هذه الحالة عموديًا، لا يمكنني رؤية انعكاسي، لكني أرى انعكاس أصدقائي.

لعبة غريبة: أرى الجميع ما عدا نفسي.

أقول مرة أخرى لرو: "من الغريب كيف أنَّ غوته، الراوي الجَبّار، كلي العلم والشامل لو كان بإمكاننا إطلاق تلك الصفات على شخص ما، كان مشمئزًا من هذا المكان".

ردت كا سريعًا، "لأنه كان ساخطًا كليًا".

قلت بحذلقة، "الشيء الجيد في المرآة هو أنها تسمح لنا بتمييز أنفسنا، لمعرفة ما نحن عليه. مثل كثير من الناس، خاف بورخيس منذ الطفولة من احتمال أن يعكس الانعكاس صورة مخيفة أو فراغًا، كما هو الحال مع مصاصي الدماء أو بعض العناصر الصغيرة بشكل متناه في فيزياء الجسيمات. أعتقد أنَّ الشيء الأكثر انحرافًا هو الطريقة التي تعكس بها ما لا نريد معرفته عن أنفسنا".

بحثت عن المايسترو، وأقصد بذلك الزاوية التي تم تصويره منها. تم التقاط الصورة من الأسفل، جزء من السقف مرئي بوضوح. من المؤكد أنَّ اللوحة الموجودة خلفه تتوافق مع المدخل. بدا الأمر كما لو أنَّ الكاتب قد دخل للتو، واتخذ خطوات قليلة نحو المنتصف وتوقف. ثم، أدار رأسه إلى النوافذ الكبيرة التي تبعث ضوءًا وفيرًا على الأرض، و ... كليك!

الآن أنتقل إلى سيانا: "في قاعة المرايا [بورخيس] لا يسعه إلا أن يبقى عاجزًا أمام اللعب الغامض للتأملات، وهو مهم جدًا في عمله. ومع ذلك، أنا لا أشير إلى سرده أو شعره، ولكن إلى الشاعر التعبيري المجهول الذي تخيل في إحدى سوناتاته غرفة كانت الجدران والأرضية والسقف مصنوعة بشكل فريد من المرايا التي انعكست فيها صورته إلى ما لا نهاية..."

قد يكون محقًا في أنَّ هذه الغرفة لا تتذكر حالتنا سريعة الزوال، بل على العكس تمامًا: القدرة على أن نكون العديد من الأنفس، حتى من خلال قطعة الزجاج المتسخة، حتى نخاطر بكوننا مغرورين، حتى نؤمن اللانهاية الخالدة. وأعتقد أنَّ المايسترو الأرجنتيني، بغضِّ النظر عن أهوال الطفولة، ربما قام بقياس مدى فظاعة هذا الشيء الذي نسميه مرآة بمثل هذا الاحتمال، من خلال العديد من الفرص التي نمنح ليستمر وجودنا، لتحدي النسيان والموت، إذا لم يكونا الشيء نفسه، باستخدام حيل مماثلة؛ بعبارة أخرى من خلال محاكاة حضورهما الإلهي الشامل ورؤيتهما التي لا مفر منها.

*أخاف الآن من أن تكشف المرآة*

*الوجه الحقيقي الصادق لروحي،*

*مَرْضُوض بالظلال، مسود ومزرق بالذنب*

*الوجه الذي يراه الرب، وربما يراه الرجال أيضًا.*

"العين التي أرى بها الرب" حاولت مرة أخرى ألا أكون أقل غموضًا من إيفان، "هي العين ذاتها التي يستخدمها الرب لرؤيتي". هذا ما اعتاد إيكهارت قوله، المتصوف الألماني الذي كان بورخيس سعيدًا تمامًا بتشارك بعض المشروبات معه حتى الفجر.

نصحتني كا، "لقد بدأت تتكلم بجنون".

"تقصد إذا نظرنا في هذه المرايا الغائمة، سيرانا الرب بدوره كالعيوب البائسة التي نحن عليها بالفعل"؛ يرد إيفان، بمهارة بعد المناقشة الطويلة.

"امسحوا تلك البقع وستصبح المرايا نظيفة"؛ أمرتنا الفتيات حتى نصمت. "يجب أن نرحل".

لا زالت روح فرديناند غرافينا، أمير بالاغونيا، تعيش في منزله؛ وبورخيس، بفضل وسائل التصوير الفوتوغرافي، هو ضيف الشرف هنا طوال حياته. نرحل، نعم، ولكن مع إحساس بالامتنان لقضاء فترة ما بعد الظهيرة مع رفقة رائعة، والشك السعيد في أنَّ شيئًا منا سيبقى أيضًا، سَجِينًا إلى الأبد، في قلب فيلا بالاغونيا.

**فيكاراتسي**

مجاورة لمدينة باليرمو، وهي بالفعل مدينة سحرية في ذاكرتي، ويمكن ملاحظتها بمجرد مغادرة باغيريا.

نشعر بقوتها المغناطيسية بينما تسحبنا. أنا أؤمن بجَذْب المدن الكبرى بفعل غبار القرون على قبابها، بفعل الطبقات الثقافية الوفيرة في باطن أرضها. أؤمن بقوة الجَذْب التي تفرضها على محيطها، والتي تغطي نصف قطر واسع بانصاف، وفي قدرتها على تشتيت الإغراءات غير المرئية والعاجلة في الهواء.

نظرًا للأخطاء ونقص الأموال، سنبقى الليلة في الضواحي، مثل مخيم معركة بَرِم في انتظار أخذ القلعة المرجوة في الفلق.

نتجول في طريقنا دون هدف إلى حد ما، تحت غطاء الليل المستمر الممتد على هيكل يوريكا، نتوقف عند قرية صغيرة تسمى فيكاراتسي: مستوطنة حقيقية لعقيدة الصياد المتمثلة في الشوارع الضيقة، المضاءة بالكاد في هذه الساعة. نظرت إلينا النسوة بذهول من مقاعدهن الشاطئية المتهالكة أمام مدخل منازلهن. لا يمكن أن تكون السياحة شائعة جدًا في هذه القرية، لأنني أدرك أنها لا تظهر غالبًا في دلائل السياحة التي قرأتها. اندهش الأطفال أيضًا، وراحوا يلتفون أو يضغطون دراجاتهم قبالة السيارة مثل دلافين تصدر إشارات ترحيب بهيج.

في هذه الأثناء، عاني إيفان مرة أخرى أمام عجلة القيادة.

نحن نطوف عبر متاهة، ليس بورخيسية تمامًا، نصفها مغطى بالأَسْفَلْت وبدون أي علامات لإرشادنا.

"أعتقد أننا مررنا من هنا قبلًا".

"لا، لا أظن، لقد جئنا من شارع موازٍ لهذا ..."

"لا يمكننا الالتفاف هنا، جرب الشارع التالي ..."

"اتجه إلى اليسار، دعنا نرى .."

كانت مسألة وقت قبل أن نتوقف في شارع دون مخرج في فوضى الأزقة البيضاء المتطابقة تلك: سقط ضوء المصابيح الأمامية ليوريكا على جدار حَرُون. نحاول التراجع، ولكن ضيق الطريق، السيارات المتوقفة على الجانبين ونصف أطفال فيكاراتسي الذين يلعبون حولنا، جعل المناورة تمرينًا أرْعَنَ بشكل متهور.

*أين أنت يا أريادن عندما نحتاجك*؟ قلت لنفسي؛ وبعد ثوان استجيبت صلواتي. تقدمت نحونا ربات منازل قادرات على إنقاذنا من الورطة.

طمأنتنا إحداهن، "ابنة أخي يمكنها مساعدتكم، إنها تقود هنا كل يوم".

لدهشتنا العظيمة فإنَّ المرشحة لإعفاء إيفان من منصبه على عجلة القيادة هي امرأة حامل في الشهر الثامن ونصف، بناءً على الحجم الكبير لبطنها. قاوم صديقنا لأجل الحفاظ على كبريائه، ولكن في النهاية تخلى عن مقعده لهذه العرابة الحامل التي ليس لدينا خيار سوى أن نضع إيماننا بها.

"هيا يا إيفان، هذا ليس مهينًا"، واسيناه بروح دعابة سادية.

طمأنتنا جارة أخرى بثقة، "لا تقلق، إنها تقود مثل سائقي الفورمولا وان".

كان الاختيار جيدًا: طوبى لثمرة الرحم، في ذروة الحمل، التي وصلت إلى المقعد الأمامي لإنقاذ يوريكا. من خلال منعطفات فعالة وملليمترية للعجلة، دفع الدَوّاسة وتغييرات التَعْشِيقَة، أعادتنا إلى الطريق، تاركة وراءها الكثير من الشكر الفياض وتنهدات الارتياح المسموعة.

بعد أن تعلمنا درسنا، قررنا عدم ترك الساحل تحت أي ظرف من الظروف، لأنه اتجاه لا يفشل أبدًا. قادنا الحظ إلى شاطئ مليء بكراسي استلقاء فارغة.

أوقفنا سيارتنا بجوار خط من الدراجات البخارية، وفحصنا بطرف أعيننا مجموعات الشباب التي تتجول حول المنطقة. ليس الأمر أنَّ لدينا الكثير لسرقته، فقط أننا حصلنا على حصتنا من الصدمات لهذا اليوم.

في الجوار، هناك خيمتان كبيرتان، تشبهان أكشاك المعارض، مضاءة بمصابيح سايكدلية ومُتَخَلْخِلة بنغمات نَشَاز من آلة التعذيب الدقيقة المعروفة باسم الكاريوكي:

*Gloriaaaa chiesa di campagna, acqua nel deserto, lascio aperto ii cuore, scappa senzafar rumore, dal lavoro dd tuo letto, dai gradini di unWtare, ti aspetto Gloriaaaaaaa ...* يتأرجح نجم موسيقى بوب مُحبط على بعد 200 متر منا تقريبًا، كل ذلك للحصول على مجد أمبرتو توزي.

جلسنا على كراسي الاستلقاء، وعلى المنشفة وضعنا الطعام الذي اشتريناه عند مغادرة باغيريا: الدجاج المشوي الساخن والبطيخ، وكلاهما يَعِدان بمذاق رائع. مرت الوجبة بتناغم سعيد، ولا زلنا نمزح حول حادث يوريكا والتدخل الإرشادي لأريادننا الحامل.

بعد أن جمعنا بقايا الطعام، بحثنا أنا وإيفان في المناطق المحيطة عن أفضل مكان لقضاء الليل، فضلنا أن يكون بعيدًا عن المراقص. تسلقنا بعض الصخور المغطاة بالوحل، وعلى الجانب الآخر، اكتشفنا خليجًا بدا من النظرة الأولى آمنًا وحصيفًا.

نشرنا البطانيات وحقائب النوم، بدت درجة الحرارة والرطوبة مقبولة بشكل معقول. لم يمض وقت طويل قبل أن نخلد للنوم. لمعت النجوم الممتلئة، تمامًا مثل القبة السماوية، في سماء صافية تمامًا ثم بدأ البحر المتوسط في غناء تهويدة، أو هكذا بدا الأمر: تهويدة فلامنكو تُغَنَى بتزامن مع الإيقاع المنخفض والصخري للشاطئ.

**باليرمو**

جرتني الأشعة اللورنسية التي ارتفعت مبكرًا من نوم طويل بلا أحلام. على الجانب الآخر من الصخور، تنبهنا الثرثرة المتزايدة لوصول السباحين إلى الشاطئ المجاور. لا زلنا محميين بالشاشة الطبيعية، لكننا لا نعرف إلى متى. رو لا تزال نائمة بجواري. وعلى بعد أمتار قليلة، تتمدد كا.

أنظر إلى الرمل الفارغ للكهف القذر بشكل ملحوظ في وضح النهار، المسود بفعل رماد الحرائق القديمة.

"أين إيفان؟" أسأل.

'لقد ذهب ليسبح". تجيب كا.

حدقت مرة أخرى نحو اللون الأزرق المعدني للمياه، وتمكنت من تمييز رأسه الأشقر الذي يتمايل إلى أعلى وأسفل بطريقة سمكية.

صرخت، "سأقوم بما هو أفضل، سأسبح عاريًا".

فقالت لي كا، "إيفان عارٍ".

خلعت الشورت على الشاطئ وغطست في البحر. نشطت درجة الحرارة المنخفضة على الفور دورتي الدموية مثل حقنة كافيين. تعثرت على الأحجار المغمورة المغطاة بالطحلب؛ وبدا ملمسها غير راضٍ على قدمي بينما أنطلق إلى الأمام دون تفكير. سبحت نحو إيفان بإحساس رائع بالطفو في السائل الذي يحيط بالجنين، واستمتعت بالطريقة التي يتشوه ويضيء بها عرينا بسبب الضوء الراقص على السطح.

تسبح كا نحونا لتبقى بصحبتنا. اخترت تركهما وشأنهما والعودة إلى تيرا فيرما. مسترخيًا على حقيبتي، دونت بعض الملاحظات الفوضوية بينما أنظر إلى رو وهي تستيقظ، تقوس ظهرها، وتتمدد بطريقة القطط. بصمت، توجهت إلى شاطئ البحر وخلعت ملابسها. على الرغم من أنَّ ساندرو بوتيتشيلي كان يعاني ضعفًا تجاه الفينوسات الشقر، إلا أنه لم يكن ليرفض النموذج الذي يقف أمامي الآن.

كمدينيّين، بدا من الترف الحقيقي أن نشعر كروبنسون كروسوس خالي الهم، وتمت إعادتنا إلى حالتنا الطبيعية بسبب أتباع لورد الذباب - التي بدأت الطنين بالفعل في الهواء. بشعور بالانتعاش، جمعنا المخيم وعبرنا الخط الحجري الرقيق الذي يفصل بين خليجنا الحميم وضجة يوم الأحد. راوغنا المناشف والقلاع الرملية وألعاب الكرة من أجل تحميل يوريكا وقيادتها، أخيرًا، نحو عاصمة الجزيرة: باليرمو تنتظر!

لباليرمو الكثير من الأصداء التي لا تنسى بالنسبة لي؛ لديَّ الكثير من التوقعات المحبة. تصاعد الحرارة وانغماس طوفان الضوء في المدينة جعلني ابتسم بينما ندخل عبر مرسى لا كالا الممتلئ بالصواري.

"كل هذه الأعمدة... تبدو كالرماح، ماذا تعتقد؟" علقت رو، بحثت بيدها على طول مقعدي عن يدي وضغطت عليها. "إنها مثل نسخة حية من لوحة "استسلام بريدا[[38]](#footnote-38)".

مررنا بجانب مسرح پوليتياما الصغير والغنج، وكذلك مسرح باليرميتان الكبير، التُحْفَة الفنية القصوى لجيوفاني باتيستا باسيلي وابنه إرنستو. حيينا الأسود الضخمة التي تحرس درج المدخل البَدِيع ليلًا ونهارًا، وكذلك شبح ابنة كوبولا الذي لا زال يبدو وكأنه يتلاشى بشكل سيء للغاية، في المشهد الأخير من الجزء الثالث من فيلم (العراب[[39]](#footnote-39)).

"نعم، تمامًا مثل أي شخص آخر، أعتقد أنها أسوأ نسخة من الملحمة. ماذا حدث؟ لست متأكدًا. النص كان جيدًا؛ كذلك فريق الممثلين، باستثناء صوفيا الكاذبة؛ كانت هناك بعض الصور القوية ... "

علقت كا، "قال آل باتشينو إنه كان من الخطأ محاولة استبدال مايكل كورليوني. ربما لعب المخرج على خط القصة كثيرًا، فانهار كل الشعر الملحمي للقصة".

ربما هذا صحيح، لكني لم أشعر بخيبة أمل كبيرة. أشعر أنَّ للقصة عظمة مأساوية محددة، لمسة شكسبيرية. بالتفكير في ذلك، كان بورخيس يحبذ فكرة الموت على خطوات ماسيمو، مقتنعًا بأنه كان مدانًا إلى الأبد لتكرار قصة وفاة قيصر على يد بروتوس. اختلاف كوبولا، وفاة ابنة قيصر، بعيدًا عن تشويه القصة، يبرز تأثيرها: القضاء على البذرة، وإنهاء السباق.

صححتني كا، "لا تنسَ أنَّ مايكل كورليوني كان لديه ابن أيضًا".

"لقد أنهى دوره بالفعل، وأصبح مغني أوبرا"

رددت، "انظري إلى نهاية القصة، بالقدر نفسه الذي تعد به شكسبيرية وبورخيسية، فإنها برانديللية. كل شيء يحدث على أبواب المسرح بعد العرض. تنزل الستارة في الخارج وكذلك داخل المدرج، إنه أمر ملهم!"

تضيف رو، "سينتهي بك الأمر أن تقرر أنَّ الجزء الثالث هو الأفضل''.

بوضع هذه الخلافات حول الشاشة الفضية جانبًا، انغمسنا في باليرمو. كنمط شارع كوادراتا في روما، فإنَّ قلب المدينة عبارة عن تقاطع بين شارعين متعامدين، ماكيدا وكورسو فيتوريو إيمانويل، يسمى كواترو كانتي (الأربع أغنيات): أربع زوايا مقعرة فيفالديانية[[40]](#footnote-40) للغاية، مع تمثيلات مجازية للفصول الأربعة. حركة المرور ثابتة، وكذلك صخب الفلاحين. على الأقل في هذا الوقت من الصباح، تبدو باليرمو وكأنها مدينة حية.

نترك يوريكا قريبة جدًا من هذا المكان، في موقف للسيارات يحرسه الشاب جوزيبي. مراهق يبلغ من العمر خمسة عشر عامًا تقريبًا، له شعر أملس، وشعر شارب خفيف وشعور بأنه فرد مافيا صغير في طور الإعداد.

"لا تقلق"، يخبرنا بينما يضرب صدره بيده. "سيعتني جوزيبي بسيارتكم".

سلمناه المفاتيح وشاهدناه يناور يوريكا ببراعة امرأة حامل من فيكاراتسي. أنا متأكد من أنه ليس كبيرًا بما يكفي للحصول على رخصة، لكنْ عيناه تتألقان بالحياة، والدهاء، واحترام الذات لدرجة أنه يتحدث عن نفسه بصيغة الشخص الثالث. من يدري، فالمهن السينمائية الرائعة تبنى أيضًا من لا شيء.

محطتنا الإلزامية الأولى هي سانتا ماريا ديل أميراغليو أو لا مارتورانا للأصدقاء. كنيسة نورمانية رائعة - لا يشكك إيفان هذه المرة - مع وفرة الفسيفساء البيزنطية. لقد حمت المتآمرين من النبلاء الصقليين الذين سلموا تاج الجزيرة إلى بيدرو إل أراغون. المتآمرون الوحيدون هذا الصباح هم ضيوف الزفاف الذين يحضرون مراسم أرثوذكسية يونانية، والتي لا تمنعنا من الإعجاب بالحرفية الرائعة للجدران والروحانية التي تنضح بها، لأنها كافية لمّد المرء برغبة في الصلاة، لولا حقيقة أننا نسينا جميع صلواتنا.

ومع ذلك، لأجل نشوة صُوفِيّة، من الأفضل أن **نذهب** إلى كنيسة سان كاتالدو، على بعد خطوات قليلة من لا مارتورانا، ولكن دون أي زخرفة زاهية. في الواقع، تبدو اليوم وكأنها مفتوحة لنا فقط. تحتوي الأرضية على فسيفساء أصلية، وقد نجحت العديد من عمليات الترميم في الحفاظ على الأروقة، والنوافذ الصغيرة والقبة الوردية التي تبدو وكأنَّ بناءها اكتمل بالأمس. يبدو أنَّ أرواح فرسان الهيكل[[41]](#footnote-41) الشجعان تطفو خلال هذه المساحات. تعير الكنيسة نفسها لاقتراح مبدأ مبتكر للفيزياء، والذي بموجبه يمكن للصمت المكثف أن يرفعنا.

وهكذا بعد أن تطهرنا، توجهنا نحو كنيسة سان فرانسيسكو، لتكريم خورخي غويلين، الشاعر الإسباني الذي يقدره بورخيس كثيرًا، والذي كتب قصيدة طويلة مستوحاة من هذه الزاوية. أخشى أنَّ الأمور قد تغيرت كثيرًا منذ ذلك الحين، لكن هذا لم يمنعني من الاستمتاع بإيقاع أبياته المُتَأنية التي تبدأ بشكل سيء إلى حد ما ولكن لحسن الحظ تتحسن بسرعة.

*قوطية، ولكن ليس تَأكِيدِيّة جدًا.*

*الساحة، الصَنَائِعِيّ، والصباح،*

*بشكل رنّان، تخلق المشهد.*

*حمار عليَّ إيقافه*

*عربة صغيرة مليئة بالفواكه والخضروات،*

*مع زخارف مزينة بمرح.*

*الألوان الرائعة للشريط*

*تضاف*

*على رأسه.*

*حمار لا! بغل الآن*

*يمر، يصَقْل طلبه.*

*يعتقد على عكس بوليفيموس،*

*الذي عبر عن مخاوفه حقًا. شمس صقلية!*

*يغلف الهواء الصافي الثرثرة*

*التي تستمر في الصُحْبَة.*

*العصور الوسطى هنا،*

*صامتة جدًا من واجهتها.*

*العنب والطماطم - مع الخضر،*

*مع أحمرها - وهذا البنفسجي الفاخر*

*للباذنجان*

*تلمع، تُغري*

*تحت هذا الضوء،*

*نفس شمس العصور".*

لا يوجد الكثير من الحمير الآن، ولكن هناك الكثير من الثرثرة وأشعة الشمس، والمزيد من أشعة الشمس. كنا نسير في كوارتو كانتي عندما مررنا بجانب الجامعة. هل استقبلوا بورخيس هنا؟ إذا فعلوا بالفعل، وإذا وجدنا دليلًا قاطعًا، فسيكون ذلك إضافة ممتازة إلى دفتر ملاحظاتي. تحدث سيانا في مقدمته عن حفل أقيم في جامعة باليرمو حضره آلاف الشباب لتكريم بورخيس وسماعه يتحدث عن الاستعارة. صرخوا "يحيا بورخيس!"

باعتداله المعتاد، رد المايسترو بتواضع: "هذا نتيجة لمزيج من الظروف السخية المفرطة. قبل بضع سنوات، أتيحت لي الفرصة لتحليل مناسبة مشابهة، في محاولة لفهم حماس الطلاب في تكساس. الحقيقة هي أنني أرجنتيني، عجوز وأعمي.

"كان الأرجنتيني دائمًا شخصية نابضة بالحياة، وينظر إليه بإيجابية. شاعر عجوز أعمى مثل ميلتون أو حتى هوميروس من السهل أن يعامل باحترام. عملي ليس له علاقة بالأمر. لو كنت أصمًا، على سبيل المثال، سيكون الأمر مختلفًا. الصمم ليس له هالة شعرية".

نعبر العتبة ونلتف حول فناء لفحته أشعة الشمس. يتبادل بعض الطلاب الملاحظات، والبعض الآخر يقرأون الدرجات والتواريخ على لوحة إعلانات مزججة.

تنهدت قائلًا، "القانون. إنها كلية القانون".

آخر مكان كنت أود أن أجد فيه نفسي في باليرمو، المكان الذي يذكرني بالكورس الذي لا يزال يتعين علي الانتهاء منه، حيث من يدري متى، إكمال شهادتي في هذا الموضوع البغيض.

"كان يجب أن أخمن عندما لاحظت رائحة باروكات القضاة، كسوة المحامين والكبريت. لو لم تمانعوا يا رفاق فسأنتظركم في الخارج"، خرجت لأدخن سيجارة.

ننتقل إلى فيتوريو إيمانويل. على جانبي الشارع، تعرض مكتبات بيع الكتب المختلفة بضاعتها للجمهور. هناك أكوام من كتب التنمية البشرية المصفرة وغير المرغوب فيها، ولكن أيضًا إصدارات بأسعار مخفضة من دار النشر المحلية (ه. د.بيسي)، التي تأسرني تغطيتها لموضوعات صقلية - غوته وموباسان[[42]](#footnote-42) وبرانديللو - . أتصفح بعض الأمثلة وأترك الأخرى حتى أتمكن من إلقاء نظرة خاطفة على المكتبة الإقليمية. لقد تم تحديثها بالكامل من الداخل، بألمنيوم جليدي، لا علاقة له بعالم الخشب والغبار والأسماك الفضية التي تخيلتها.

لا تتكرر خيبة الأمل هذه في صقلية فقط، ولكن في العالم الغربي بأكمله. هذا يجعلني أفكر في المهندس المعماري الإيطالي أليساندرو مينديني، الذي اعتاد على انتقاد التصميم على أنه "اِصْطِناع تقدمي للطبيعة''. يوجه أصحاب المباني التاريخية كل جهودهم نحو الحفاظ على المظهر الخارجي، ليضمنوا ألا يغادر السائح دون صورة. لكن الجزء الداخلي دائمًا شيء آخر تمامًا. إما مجرد جهل أو ترميم مبالغ فيه مع إحساس مضلل بالحداثة أو البراغماتية؛ إذا لم يكن مرتجلًا، أو مصممًا على عجل، أو ذو ذوق سيئ.

لن تكون الأفكار المماثلة بعيدة عن أذهاننا عندما نزور الكاتدرائية في وقت لاحق. من الساحة الواسعة المحاطة بدرابزين مرصع بالتماثيل، وصولًا إلى الأبراج الضامِرة للواجهة الجنوبية، يتمتع الجزء الخارجي بجمال محكم ولكنه مَحْدُود، في بعض الأحيان، يستدعي إلى الذهن الفَوَرَان القوطي في مايوركا أو إشبيلية. حتى القوس المرتبط بمقر الأسقف له سحر خاص به. في البداية كان مكانًا للعبادة البيزنطية، ثم مسجدًا ثم كنيسة نورمانية، تم تشويهها أخيرًا من قبل البوربون النابوليين. وبسببهم نملك هذا الجزء الداخلي العاري والمُتذبذب، وغير القادر على تحريك ذرة فينا. كعقاب إضافي، يُطلب من الزوار الذين يرتدون قمصانًا بلا أكمام تغطية أكتافهم حتى لا يسيئوا إلى القديسين. في حالة عدم وجود مثل هذه العناصر، يجب عليك دفع ثلاثين سنتًا على الباب للحصول على ورقة متوازية (تستحق التساؤل)، تشبه إلى حد ما مناشف المائدة التي تستخدم مرة واحدة في بارات قادس.

تصلي العديد من النسوة العجائز في مقاعد المرتلين. يعبر اثنان من صبية المذبح الصحن المركزي بسلوك أقل قدسية من الإئْتمار.

يقول إيفان: "ليس هناك ما يمكن رؤيته هنا".

نمر عبر بورتا نوفا بحذر، حيث حركة المرور صعبة أيضًا في هذا المكان. لدي رسم باليد، أعتقد أنه بواسطة رئيس دير سانت نون يظهر البوابة نفسها التي تعلوها الأعلام، وحشودًا من الناس على شرفات لوجيا وآخرين في الشارع، بين الأقمشة والمنصات، مستعدين لمشاهدة موكب كبير. لقد تدهور القوس، الذي يحاول أن يكون يونانيًا، أو ربما رومانيًا، بشكل كبير بسبب الزلازل.

في يومنا هذا، إذا حكمنا بما يمكن رؤيته، فإنه محمول بأربع أطالس حجرية تعرف باسم المور نسبة لعمائمهم وشواربهم. السقف العلوي، المغطى بالبلاط، يلمع بشكل جميل في شمس منتصف النهار.

تساعدنا بعض المشروبات الغازية على تمرير الوقت حتى يفتح قصر كوبا النورماندي الشهير للجمهور. يريد إيفان تعقب بعض الآثار التاريخية؛ أريد فقط أن أقول إنني زرت أحد مواقع كتاب الديكاميرون[[43]](#footnote-43)، المعروف أيضًا باسم الأمير غيلهاوت، وهو عمل رائع لجيوفاني بوكاتشيو.

في القصة، يختطف بعض الشباب الصقليين فتاة من جزيرة متوسطية أخرى، إسكيا. بعد الكثير من النقاش حول من يجب أن يتخذها لنفسه، قرروا تقديمها إلى الملك فريدريك الذي

***... أمر أنه وحتى يشعر بتحسن في صحته يجب أن توضع في جناح جيد جدًا مرتبط بحديقته التي دعاها لا كوبا، وتتم رعايتها هناك ...***

يا للفتاة المسكينة، فكرت بينما أدخل إلى المكان بعد أن دفعت اثنين يورو لرؤية الجدران الأربعة الحزينة إلى حد ما التي لا تزال باقية من القرن الثاني عشر. حتى القبة التي تعطي المكان اسمه لم يتم الحفاظ عليها. وماذا عن الحدائق الفخمة؟ ربما من الأفضل عدم ذكر الأمر: أعرف شاليهات في كونيل تبدو مثل بساتين فرساي.

"كان بإمكانهم على الأقل سجن الفتاة في كوبا، عاصمة جزر الأنتيل الكاريبية، لكانت ستقضي وقتًا أفضل بكثير في الأسر بين الداكري، والمولاتو ونخيل جوز الهند"، تنهدت..

بينما أشعر بالملل الشديد - تماشيًا مع الغطاء النباتي المحيط بي - فإنَّ إيفان مفتون تمامًا بنقش عربي ضخم منحوت في حجر، معروض في غرفة مجاورة. قضى ربع ساعة في تدوين الملاحظات وحك رأسه عندما أتت رو، التي تعرف أيضًا القليل من اللغة العربية، لمساعدته. مرت خمسة عشر أو عشرين دقيقة أخرى، ولكنها بدت وكأنها مائة.

سألتهما قبل أن نذهب، "هل فككتم ترميز أي شيء؟"

أجابا بشكل طبيعي، "ولا كلمة. لا شك أنها كلمات مُخَتَلقة".

ليس لديَّ أي حجج للاشتباك معهما، ولكن هناك أدلة على أنَّ باليرمو الإسلامية كانت إحدى العواصم العظيمة للبحر الأبيض المتوسط. يعتقد المؤرخون الأكثر موثوقية أنَّ المدينة كان بها 300000 نسمة وعدد كبير من المساجد التي لم يبق منها واحد. أعاد الكاتب طارق علي، في روايته "سلطان في باليرمو"، إحياء الروعة التي لا يمكن مقارنتها إلا بخلافة قرطبة. لم يقطع وصول النورمان هذا الأمر؛ بل على العكس من ذلك، اندمجوا مع العرب واليهود واليونانيين، واعتمدوا عادات العرب، وأحاطوا كنائسهم بحدائق بينما روجوا للفنون والفلسفة في بلاطهم. ومع ذلك، أخشى أنَّ مرور الوقت لم يترك الكثير من صقلية المغاربية، باستثناء عدد قليل من الأسماء، والتقاليد الزراعية الهائلة وحبٍ للتوابل في مطبخ الجزيرة.

فقط في حال لم يقضِ عليَّ الملل والحرارة والذهول في نهاية المطاف، فقد تكون فكرة البقاء على مقربة من المقبرة فكرة جيدة؛ باليرمو صغيرة ولكنها مزدحمة. بحثنا عن قبر جيوفاني توماسي دي لامبيدوزا بمجرد دخولنا، وهو مؤلف حجر الزاوية في الأدب الصقلي المعروف باسم (إل غاتوباردو[[44]](#footnote-44)). تُذَكِرنا كا المولعة بالسينما بالفيلم الشهير للغاية المستند على الكتاب، والذي لم أتمكن من مشاهدته لأسباب عديدة. على أي حال، أخشى من مبالغة بيرت لانكستر وكلوديا كاردينال، تحت إشراف فيسكونتي، في تقديم الروعة الفاسدة للعائلة الرائدة، والتي وللمفارقة هي أقل جزء مثير للاهتمام في الكتاب بالنسبة لي. بعد السفر حول الجزيرة لفترة من الوقت، أجد صعوبة في تصديق أنَّ الصقليين قد عرفوا أنفسهم بسهولة من خلال هذه الشخصيات الغنية والمتصنعة. لكي يصير العمل حولهم، ورؤية هوية مشتركة في رمزية (إل غاتوباردو)، أعتقد أنه توجب عليهم النظر في القصة أكثر من ذلك، والتريث خلال آلاف التفاصيل التي انزلقت بين السطور: الأفكار اللاهوتية حول الموت، مفاهيم الخطيئة، الطبيعة العابرة للحب (مروض لعام، رماد لثلاثين ..؛)، الموقف من الخضوع والحزن. هناك أيضًا غُرُور يتحول إلى عمى، سياسة تغيير كل شيء حتى لا يتغير شيء؛ التاريخ كلعبة شطرنج بائسة يفوز فيها الغزاة دائمًا - اللامبالاة الشعبية غير المسبوقة تجاه العلم الذي يحكمهم - دون نسيان الحوار الذي يتم الاستشهاد به كثيرًا بين الأمير وشيفالي حول الأحلام الصقلية. هذه الفروق الدقيقة خفية للغاية بحيث لا يمكن التقاطها في أربعة وعشرين إطارًا في الثانية. أعتقد أنَّ السكان، والأشخاص كأفراد، يتم تعريفهم كثيرًا بما يرغبون فيه. في رواية إل غاتوباردو هناك رغبات أكثر من الواقع، وقد يكون هذا الرابط الأقوى بين الكتاب وقرائه.

هل هناك شيء آخر؟ هذا يبدو وكأنه تقليل، هراء. من خلال إعادة قراءة صفحات لامبيدوزا، بدأت أفكر في أنَّ الأمير لم يرد فقط الكشف عن الانحطاط الذي يجعل شعراء الدرجة الثانية المتقاعدين وحيوانات النمور الصغيرة المتقلبة ترتجف بالعاطفة. يقدم الكتاب أيضًا التماسًا ساخطًا للنقد الذاتي، ودعوة عاجلة للهروب من التخلف والابتذال، ليكون على دراية بالحلول، والفرص المحتملة والقدرات.

من منظور حنين الطفولة وحب وطنه، أظهر لامبيدوزا معارضته لتحرير وتوحيد إيطاليا، والتدفق المؤسف لتاريخ الجزيرة، و أيضًا للإقليمية التي تحيد أي شكل من أشكال التقدم. لقد تجاهل حقيقة أنَّ جميع اللوردات الإقطاعيين ساهموا بشكل حاسم في مثل هذا التخلف المشؤوم، لدرجة أنهم جعلوا السرقة سمة مميزة للجزيرة.

من منظور حنين الطفولة وحب وطنه، أَلَبَ لامبيدوزا ضد توحيد إيطاليا، ضد التدفق المؤسف لتاريخ الجزيرة، و أيضًا ضد الإقليمية التي تحيد أي شكل من أشكال التقدم. لقد تجاهل حقيقة أنَّ جميع اللوردات الإقطاعيين ساهموا بشكل حاسم في مثل هذا التخلف المشؤوم، لدرجة أنهم جعلوا السرقة سمة مميزة للجزيرة.

في روايته الطويلة، نواب الملك، تناول فيديريكو دي روبرتو[[45]](#footnote-45) الجانب نفسه من الواقع الصقلي، لكنه كان يعرف كيف يراه من الجانب الآخر، من وجهة نظر الأقنان، الخاسرين الأبديين. ومع ذلك، تم الحكم عليه بشكل سلبي من قبل بابا النقاد الإيطاليين، بينيديتو كروتش، وتضاءلت أهميته.

كان للامبيدوزا حظ أفضل بالتأكيد، وإن كان بعد وفاته. مما لا شك فيه، أنَّ طريقته التي لا تقل شراسة في الإمساك بنا من تلابيبنا لا تروق الجميع. ولكن ما سر هذا التصفيق الجماعي؟ فرانشيسكو أورلاندو، تلميذ وصديق المؤلف، لديه وجهة نظره الخاصة، "أميل إلى الابتسام عند إدراك كيف يُنظر إلى شهرة لامبيدوزا الحالية كسبب للفخر الإقليمي من قبل مواطنينا الصقليين، أو بالأحرى كما كان ليقول، يُنظر إليه على أنه ذريعة جديدة للفخر البليد. وأسأل نفسي عما إذا كان هذا فنًا رائعًا، أو ببساطة، الكلمة المطبوعة التي تمكنت من محو لسعة الأحكام الأكثر قساوة، وجعلها غير مؤلمة.

وختامًا، الجميع يحب لامبيدوزا لأنه مشهور، ويرون في هذه الشهرة انعكاسًا لعظمتهم الخاصة - كذلك لأنهم لم يقرؤوه، أو بالأحرى، قرؤوه من زاويتهم، قراءة يمكن استخدامها كحجة لتبرير كل شيء. لقد عرفت العديد من الكُتَّاب الذين كانوا ضحايا لنفس العار: تم تجاهلهم خلال حياتهم وإزدرائهم أيضًا، حتى حصلوا على اعتراف ذات يوم - عادة من مصدر أجنبي - فوضعهم الجمهور فوق قاعدة بحيث يمكنهم رؤية أنفسهم فيهم. عرف بورخيس شيئًا عن هذا الأمر. على أي حال، يسعدني أن أعرف أنَّ مؤلف كتاب (إل غاتوباردو) لا يزال يواصل القتال من الأعماق: تتجدد عبقريته بصلابة في كل مرة يفتح أحد كتبه ليضيء ذاك الضوء المخترق خارجًا.

لست متأكدًا إذا كانت متعة التجول حول المقبرة تكمن في برهانها على طبيعتنا المؤقتة، أو تجريدنا تلقائيًا من الكثير من المعاناة اليومية والألم، أو إذا كان ذلك لأننا ندرك أنفسنا فوق وليس تحت الأرض. بورخيس، الذي لديه قصيدتان جميلتان مخصصتان لشواهد القبور من مقبرة لا ريكوليتا[[46]](#footnote-46) في بوينس آيرس، لم يترك لنا رأيه أيضًا، لكن أحد هواجسه كانت تتعلق بهذه التواريخ المشؤومة المنحوتة بالرخام. لقد رأى تبسيطًا شرسًا لحياة الإنسان بين هاتين المجموعتين من الرموز العددية.

تصبح جَزَالَة الأرقام مرعبة في مقبرة باليرمو. دفنت بعض العائلات ثلاثة أو أربعة أبناء، دون أن يصلوا إلى عشرين. بعض اللوحات الرخامية بها صورة للمتوفى. يقف الزائر غير قادر على تصور مثل هذه الوفرة من الألم؛ إنه يفضل عدم معرفة الأسباب التي ملأت جدول حاصد الأرواح. وفي الوقت نفسه، يفهم بشكل أفضل تبجيل الموت المُذْعِن الذي يمارسه الصقليون. الموت: إذا لم تتمكن من التغلب عليه، انضم إليه، لا بد إنهم قالوا ذلك أثناء مرورهم بإحدى اللحظات المأساوية في تاريخهم.

الأسئلة ذاتها تتعلق بالجميع، أولئك الذين وضعوا في محاريب وأولئك الذين وضعت عظامهم في أبنية فاخرة، أوسع، ودون شك أكثر غلاء من العديد من الشقق في منطقة لافابيس في مدريد. ماذا حل بالستانغوس، الفيرغاس، الفالكونس؟ هل كان لحياة الأرزوس، الروفولوس، السباسيموس معنى؟ هل كَفَّرَ البيازس والكوليسانس واللو موناكوس والبوفانتيس والكوردونس عن خطاياهم؟ بالنسبة للأغنياء والفقراء، للأمناء والمجرمين، هناك أيضًا إجابة واحدة فقط: صمت أشجار السرو، والحركة الصامتة للقطط.

مع علمنا بأنَّ لامبيدوزا كان أميرًا، نحن على يقين من أنَّ رفاته لا بد أن تكون في مدفن عائلي مشابه للآخرين، الذين تم حفر أسمائهم بعمق كافٍ لضمان أنَّ الوقت لن يمحو الثناء قريبًا جدًا.

أطال هذا الافتراض إلى حد كبير بحثنا حتى استسلمنا وسألنا الحارس.

"أوه، نعم، لامبيدوزا!" أجابنا وهو يلوك خلة أسنان بين شفتيه. "الصف الثالث على اليسار".

لكننا لم نجد شيئًا، ولا أثر للكاتب. لحظة، ماذا لو لم يدفن في مدفن؟ ننظر بين المقابر العادية، على مستوى الأرض، ونصل مباشرة إلى القبر: جزء متواضع من الأرض، محاط بسور صغير من الحديد المطروق. حجر منقوش عليه اسمه واسم زوجته أليساندرا وولف ستومرسي، البارونة الليتوانية المحبة للتحليل النفسي، والتي كانت حازمة للغاية في تشجيع مسيرة زوجها الأدبية.

وكأننا لم نحتمل ما يكفي من مَسْخَرَة سخيفة ليوم واحد، فلدينا مكان أكثر كآبة لزيارته: سرداب الكبوشيين[[47]](#footnote-47)، المشهور بكونه موطنًا لجثث كثيرة في حالات حفظ مختلفة. يقولون إنَّ الأغنياء باليرميتاني اعتادوا دفع مبالغ طائلة لإخضاع ذواتهم الميتة للتحنيط الذي فكر فيه الرهبان: ترك أجسادهم تجف في كهف، بعيدًا عن الرطوبة، ثم التعرض للشمس. ارتداء أفضل الملابس، والتصنيف حسب الجنس والعمر والحالة، ثم الاصطفاف كجزء من المعرض المُرَوّع للترفيه عن السياح المرضى إلى الأبد.

عند المدخل، يقوم راهب يبدو وكأنه خرج للتو من رواية "اسم الوردة[[48]](#footnote-48)" بجمع التبرعات الدينية أثناء بيع البطاقات البريدية والكتالوجات الكاملة بالألوان. مقابل سعر متواضع للغاية، يمكن للمرء أن يأخذ بطاقات جيش المتوفين بأكملها.

يصبح الجو غير قابل للتنفس بمجرد دخول القبو المعني، يرجع ذلك جزئيًا إلى المشهد الصامت المعروض علينا وجزئيًا بسبب التدفق الهائل للناس. يحصل كل من يدخل هنا على انطباع مماثل: في بعض الزوايا، تتراكم الجماجم وأَسْناخها موجهة نحو الزوار. البحث عن يوريك بين هذه الكمية سيكون مثل البحث عن إبرة المَثَل في كومة القش.

صار شكل ملابس بعض المومياوات فوضويًا جدًا الآن، وبعض المومياوات الأخرى يجربن تعبيرات مستحيلة، تكشيرات تبدو وكأنها تتمرد على صلابتها الحتمية.

واحدة من أهم عوامل الجذب في المجموعة، فتاة صغيرة جدًا مغمورة في نعشها، وهو مشهد عاطفي بعمق. يبدو أنها نائمة، ولا تزال ضعيفة عاجزة.

*... وخطوة صغيرة تفصل بين*

*العالمين، لم تتحد وتشترك الحياة والموت*

*موحدين في صداقة كهذه من قبل.*

هكذا تحدث الشاعر بينديمونسي. الجدران البيضاء والهياكل المعدنية لا تفعل شيئًا سوى تعزيز الإثارة، والتأثير الدوستويفسكي للمشهد.

"ماذا كانت النية وراء كل هذا؟" تسأل كا مرتعبة بشكل ملحوظ.

"لتغذية الجانب المرضي للصقلية"، اقترحت رو، التي كانت ضحية مخاوف مماثلة. "ولتذكر إلى أين نتجه في نهاية المطاف، مثل مفكري العصور الوسطى الذين كانوا يضعون جماجم على مكاتبهم".

"تذكار موري ضخم"، قلت موافقًا.

"أرى جانبهم الجمالي"؛ أضاف إيفان مثيرًا الجدل.

هل تتذكر ذلك المعرض الذي حضرناه في لندن؟ غونتر فون هاغنس، الجراح الألماني الذي حصل على براءة اختراع لتقنية ثورية للحفاظ على الجثث، وعرض بشرًا وحيوانات في أوضاع مختلفة. لقد تم تشريحها بطريقة جعلتها تبدو كدراسات تشريحية، كما ترى في الكتب المدرسية، أو مثل نماذج أحجية الصور المقطوعة التي يستخدمها طلاب الطب.

"بالتأكيد، أطلق جدلًا هائلًا حول الحدود الأخلاقية للفن والحق في الكرامة بعد الموت. كل ذلك لأنه عرض الشخصيات وهي تلعب كرة القدم، أو تركب الخيل أو في وضعيات مشابهة، ووجدها الجمهور مهينة".

قالت رو، "على سبيل المثال، لم يذكر أحد المومياوات المصرية في المتحف البريطاني".

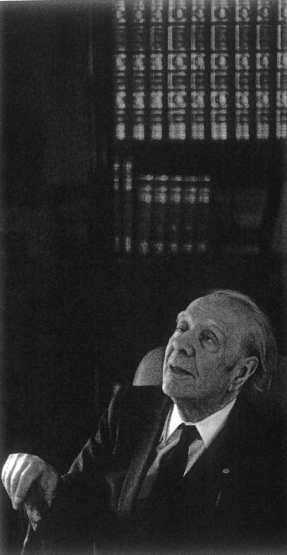
"أو المتوفين في سرداب الكبوشيين"، قالت كا ثم أضافت، "في النهاية، ربما ما يربط أحدهما بالآخر هو الرغبة في قضاء ما تبقى من الخلود هكذا. لقد اتفقوا على أن يكونوا قطعًا في المتحف بدلًا من الذوبان إلى لا شيء".

ليس الأمر أنَّ هذه الرحلة خلال بيت الموتى جعلتنا نشعر بالجوع تمامًا، لكن الساعة تجاوزت الرابعة، وقد قضينا يومًا كاملًا دون تناول قضمة من الطعام ... علاوة على ذلك، لا يزال لدينا الكثير من بورخيس لتتبعه في باليرمو. يقرر إيفان وكا الذهاب للبحث عن الكعك، بينما أتوجه أنا ورو إلى بالاتسو دي نورماني.

**\*\*\*\*\*\***

عندما تغادر الطرق المزدحمة لباليرمو، بمعنى آخر، عندما تبتعد عن المواقع ذات الأهمية التاريخية والفنية، تشعر بالصدمة بفعل انطباعين فوريين: الأول هو الشعور بأنك في أي شارع في أي مدينة في أي مكان في العالم؛ ثم تنظر عن كثب قليلًا ويصبح الآخر واضحًا: القدرة على تحديد المدن الكبرى في صقلية من خلال كمية السقالات الكبيرة فيها. لا توجد زاوية في هذا الكوكب تتنافس مع باليرمو في واجهات المباني المدعومة. أستطيع أن أرى العشرات من الهياكل الجميلة توشك على الانهيار، والحجر يرتجف على أساساته. إذا كانت هذه أفريقيا أو أمريكا الجنوبية، فربما كان الأمر أكثر قابلية للفهم، حيث تختلف أولوياتهم. لكن صقلية هي إيطاليا، وإيطاليا جزء من الاتحاد الأوروبي، الذي قدم أموالًا كثيرة لسنوات حتى لا يحدث هذا على وجه التحديد. أخبرني أحدهم أنَّ المافيا قامت بتحويل الكثير من هذه الأموال بشكل دوري. من الواضح أنه إن لم يكن هؤلاء الناس قادرين حتى وقت قريب جدًا على إيقاف تدفق الدم البشري، فكيف لهم أن يقلقوا على تراثهم المعماري؟

باليرمو، "المدينة المحيرة". هذا ما قاله لوسيو بيكولو[[49]](#footnote-49)، الشاعر الميتافيزيقي الذي قدم لامبيدوزا إلى العالم الأدبي. عاد روبرتو أندو[[50]](#footnote-50)، من مشهد السينما في باليرميتان، وبعد تعاونه مع فرانشيسكو روسي، وفيليني وكوبولا، إلى مسقط رأسه مفتونًا بخطوات بيكولو. أدى ذلك إلى كتابته مذكرات حساسة ومليئة بالمرارة عقب تجاربه، حيث يختلط الحطام، الحطام المحير في باليرمو، بالانهيار الأخلاقي لسكانها. 'لقد ولدت وترعرعت في مدينة ميتة. يمكنني أن أقول شيئًا شنيعًا كهذا لأنَّ المدينة - باليرمو في هذه الحالة - لديها إمكانية أن تصبح ما ولدت عليه، وهو، توقف الوقت، حتى عندما تكون الأشياء التي تتكون منها جسديًا، المنازل والشوارع، الصدى الضخم لماضيها، التوازن بين ما يمكن أن يضيع وسطوع المستقبل، ينهار إلى قطع مثل العظام، الجِير والجص".



حسنًا، على الأقل بالاتسو دي نورماني لا يزال واقفًا، غير مهزوم. مثل العديد من المباني الأخرى التي قمنا بزيارتها، كانت القلعة الضخمة موضوعًا لتغييرات لا تعد ولا تحصى - مثل الأيادي العديدة التي استلمت زمام الحكم. تفسر التمديدات المختلفة وأعمال البناء التي تم التخلي عنها بمرور الوقت شكلها غير المنتظم. تم إنشاء أول مستوطنة في المدينة حيث يقع المبنى الآن، في ساحة فيتوريا. بنى العرب على قمة الأنقاض البونية والرومانية، ثم قام النورمان بإضافة - أربعة أبراج، نجا منها برج واحد فقط وهو برج بيسانا الفخور - وبعد ذلك استخدمها النواب الإسبان كمقر إقامة. اليوم، يستضيف المبنى الجمعية الإقليمية، ويعد أيضًا أحد مناطق الجذب السياحي الأكثر زيارة.

أفتح كتابي الأحمر الصغير. أرى بورخيس في شيخوخته الجليلة، جالسًا على كرسي بذراعين بظهر جلدي. اليد الغريبة الشابة، المتحررة من دعم وزنه، ترتاح هذه المرة بذهول على قصب السكر، دون الضغط الناتج عن الحاجة للحفاظ على توازنه. لا تزال ملابسه كما هي في الصور السابقة، ولكن يبدو الآن أن الضوء يمنح صحة لوجه الثمانينيّ. تحت جفنيه المرتخيين، حتى بؤبؤيه اللذان يحدقان في عماهما النِهَائِيّ، يبدوان متألقين بمزيد من الحياة. ميل رأسه لأعلى جعل شعره يبدو أطول. وخلفه العديد من المجلدات مع عناوين غير مقروءة مصطفة في خزانة كتب. تشير أغلفة الكتب على الرف العلوي إلى موسوعة. بينما يبدو أن الرف السفلي يحوي سلسلة محدودة أكثر.

التكوين البسيط، وبارتباطه بالأرجنتيني، بدا في وئام تام. لإنه، وسيظل دائمًا، مرتبطًا بشكل نهائي بالكتب، حتى أكثر من أي كاتب آخر.

لقد عاش على مقربة من الكتب لدرجة أنه يبدو تقريبًا وكأنه مصنوع من الجلد والورق والخيوط، بدلًا عن اللحم والعظام.

نسأل الحارس إذا كان يتعرف على الغرفة. ينظر باهتمام إلى الصورة ويقول لنا: "إنها هنا، في بالاتسو دي نورماني".

جولة من التصفيق لموظف حكومي سريع البديهة. لكن أين بالضبط؟ هل توجد مكتبة هنا؟ دقيقة أخرى من التدقيق، هز الرأس، والنقر على اللسان:

"لا أعرف، يمكن أن يكون أي مكتب أو غرفة دراسة. على أي حال، لا يُسمح للسواح بدخول أي منها".

خيبة أملنا الأولى؛ تجاهلنا الإحباط وعدنا إلى المهمة.

**\*\*\*\*\*\***

أبحث بسرعة عن الصورة الأخرى، الصورة التي تمد فيها ماريا كوداما يدها لاحتضان بورخيس. كلاهما يبتسم بسعادة عفوية. كما هو الحال مع اللقطة في قاعة المرايا، جثم سيانا لأسفل حتى يتمكن من تضمين سقف الغرفة من الأسفل، ولكنه غير واضح بسبب تأثير التركيز. على الرغم من صعوبة رؤيته، يمكن للمرء أن يميز شيئًا يشبه المنحدر، ولكن لن نستطيع تمييز العلامات أو الرسومات الموجودة فيه.

"وهذا المكان، أتعرفه؟"

"آه، هذا نعم"، يقول الحارس. "إنها غرفة هرقل في البرلمان الإقليمي. ولكن يمكنكم زيارتها أيام الاثنين والخميس والسبت فقط، ومن الضروري الحجز مسبقًا".

"لكننا سنغادر غدًا و ... "

وأضاف، "هذا شريطة أن تكون الجمعية غير منعقدة"، كما لو أنه لم يسمعنا! "أنا آسف، لا يمكنني فعل شيء".

فاشلون، متعبون وجائعون، جلسنا على سلالم القصر. نظرت مرة أخرى إلى الصورة الأخيرة. المشهد المحيط لم يجذب اهتمامي كثيرًا. فكرت في شخصين يحبان بعضهما البعض، يضحكان معًا. ماذا يمكن أن يقولا؟ هل يمكن أن يستمتعا ببعض الملاحظات الساذجة والمفارقة، التي كان بورخيس ينبوعها الدؤوب؟ أم ربما يتظاهران بأنهما يحكمان صقلية كملك وملكة؟ في منتصف التفكير في الأمر فاجأتني رو:



"انتظر! هذه التفاصيل في الخلف، أنا متأكدة من أنني رأيتها عند كشك لبيع البطاقات البريدية ... إنها في القصر، ولكن أعتقد أننا يجب أن نلقي نظرة على كنيسة بالاتين، دعنا نذهب ونتحقق".

سواء كانت هي أم لا، ذهبنا إلى الطابق الأول وجلنا حتى وجدنا الكنيسة المطلوبة. انضممنا إلى قائمة الانتظار، لأنهم يسمحون بدخول عدد محدود من السياح، ولكن لم يمض وقت طويل قبل أن نتمكن من الدخول. في الداخل، بالإضافة إلى المحظورات المعتادة بأن لا تلتقط صورة أو فيديو، فهم يطلبون منك الصمت أيضًا، لكي لا تعكر الجو الروحي الأساسي للمكان كما أعتقد.

على الفور، أدركت أن الأفنية والسلالم والغرف وقصر بالاتسو دي نورماني بأكمله، يلتف حول كنيسة بالاتين، قلب المبنى. "كألعوبة، جوهرة بازيليكا"، في رأي موباسان، ولكن مع ميزة أرضية بثلاث بلاطات في مساحة منخفضة كثيرًا، وهو الأمر الذي ليس لدينا وقت للتفكير فيه. "الجوهرة الدينية الأكثر إثارة للدهشة التي حلم بها الفكر الإنساني"، وفقًا للمسافر والكاتب الفرنسي أيضًا، هي انفجار ملون مليء بالذهب يشع بالضوء، مع سقف مزخرف مذهل مزين بزخارف شرقية. خلايا العسل، الحويصلات الهوائية أو الهوابط مبهرة بحق، وكذلك المشاهد الكتابية في كل زاوية من الهيكل المعماري.

الفسيفساء متعددة الألوان التي تحدق من الأعلى جميلة أيضًا. في الواقع، كل شيء له تأثير بصري ساحق، مما يجعلني أتساءل عما إذا كان بورخيس قادرًا على الاستمتاع حتى بجزء صغير من تركيز المسرات التي حرمت منها عينيه. ثم تشير رو إلى الحنية الرئيسية، مع تمثال المسيح الفادي الكبير مصحوبًا بنقش بالأحرف اليونانية التي ترجمتها:

*أنا ضوء الشمس، ذاك الذي يتبعني*

*لن يمشي في الظلال، وسيقتني الضوء*

*في حياته.*

أحاول أن أتخيل بورخيس، الخبير المعروف في الظلال، بابتسامة على شفتيه بعد سماع هذا التحذير الرسمي. وبالحديث عن ضوء الشمس، يوجهنا أحد الحراس نحوه على الفور بينما تنتظر شحنة جديدة من السياح دورهم للدخول.

بينما نهم بالمغادرة رأيت لَطَّخًا داكنًا وعابرًا من زاوية عيني. إنه قط؛ حضور غريب في قصر مثل هذا. من خلال ربط بسيط للأفكار، أفكر في بييبو، قط بورخيس. في الواقع كان يطلق عليه بيبو، ولكن عندما سمع المايسترو الاسم الذي يقولونه لم يتردد في إعادة تسميته على اللورد بايرون، وقد كان مغرمًا به لدرجة أنه خصص قصيدة للحيوان. عندما زار بورخيس صقلية، كان صديقه الصامت قد مات بالفعل منذ بضع سنوات. لذا من الممتع التفكير بأن هذه القطط السوداء الأخرى، يمكن أن تكون شيئًا يشبه التناسخ المظلل، نسخة سلبية للقط الأبيض العازب في تلك الآبيات.

أنظر إليه لبعض الوقت: لا يسمح لنفسه بالخوف من الغرباء، على الرغم من أنه يحافظ على مسافة حذرة. أقتربت ببطء، وبمجرد أن أصبحت قربه لمست الفرو الناعم على مؤخرة رقبته وقرأت له:

*ظهرك يسمح بعناق مؤقت*

*تمتد يدي. وقد تنازلت،*

*بما أن هذا الخلود، المنسي الآن،*

*لأخذ الحب من يد إنسانية جميلة.*

*أنت تعيش في وقت آخر، لورد في عالمك*

*عالم مغلق ومنفصل كحُلم.*

"أوف!" ثارت رو. "لا تضيع ظهيرتنا على قصائد القطط. لقد مضت خمسة وثلاثون دقيقة".

إنها على حق، ليس لدينا الوقت لنضيعه. بدأنا في متابعة الخطوة التالية في بحثنا. ولكن قبل أن نغادر، ألتقطت صورة لهذا القط الأسود، أتساءل عما سيحدث إذا لم تكشف الصورة المطبوعة سوى الهندسة الباردة لبالاتسو دي نورماني.

\*\*\*\*\*\*\*

**بورخيس في صِقِلِّية**

**مع مرشدٍ أعمى**

**بقلم: أليخاندرو لوك**

**ترجمها: أندرو إدواردز**

**ترجمة للعربية: سماح جعفر**

تتناقص مستويات طاقتنا ويمر الوقت بسرعة، لذلك نقرر أنه من الأفضل ركوب حافلة إلى ساحة مارينا. يُفَتَح بالاتسو شيارامونتي (يسمى أيضًا بالاتسو ستيري) أمامنا، بجوار حدائق غاريبالدي.

عائلة شيارامونتي الحَربِيّة المتآمرة، اِعتُبِرت الحاكمة عمليًا للجزيرة بأكملها لسنوات، كانوا مهووسين بالحفاظ على امتيازاتهم. فحرضوا على بناء المبنى وعاشوا في شققه، حتى تم قطع رأس حفيد البطريرك مانفريدي في هذا المدخل تحديدًا بواسطة مارتن الأول من أراغون.

لم يكن ذلك الدم الوحيد المتسرب في القصر. كان المبنى يستخدم لإيواء مقر المكتب المقدس وتم وضع الزنادقة في زنازينه. كتب ليوناردو سسياسيا في عمله "وفاة المحقق" هذا الوصف: ***"... كان هذا القصر قلعة داخل المدينة - لا تقل قهرًا عن قلعتهم في راكالموتو وجميع الأماكن الأخرى التي نشروها عبر صقلية".***

من الصعب التخلص من المشاعر الناتجة عن معرفة أنَّ ستيري كان في السابق مسرحًا للفظائع التي ارتكبت باسم المسيح. حتى التعديلات، التي صممها المهندس المعماري كارلو سكاربا، لتحويل القصر إلى ما هو الآن (مكاتب الجامعة)، لا يبدو أنها تخلت تمامًا عن هذا الماضي القاسي. كمثال، يُبْقِي نظام القضبان الشبكية على التصميمات الداخلية في ظلمة قاتمة، على الرغم من أنها مضاءة جيدًا اليوم ومليئة بالتَكَاسُل البيروقراطي. لم يتبقَّ سوى القليل من كل شيء آخر: جدران الحجر الرملي، الكتابة المؤلمة التي كتبها المتهمون على الجدران، السقف الخشبي المطلي، السلالم الخارجية التي تعود إلى القرن السادس عشر والتي تحدث عنها الكثير من المعجبين بالمبنى - فهي تظل مغلقة أمام الزوار أو يتم إرسالها ببساطة إلى الذاكرة.

ذكرتني رو أنه قبل عامين فقط طلب البابا العفو، بطريقة بائِسة ومُهمِلة، عن جرائم محاكم التفتيش. لقد مرت عقود منذ أن مارست الكاثوليكية، وراودني أكثر من مرة إغراء الردة. لكنني هُزِمت بالكسل بلا شك لأنه سيكون عليَّ مواجهة مجموعة من العقبات البيروقراطية التي وضعت في طريقي من قبل الأسقفية. ومع ذلك، لا يسعني إلا أن أحزن من فظاعات إيجاد **مقاربة خلال هذا النظام، عبر هذه النسخ الحديثة** من صيد واضطهاد الزنادقة أو السحرة أو المحرومين. أفضل أن يكون العالم الذي أعيش فيه كنيسة أكثر تصالحية وأقل ظلامًا دون أن أنتمي إليها.

هبة من نسيم المساء جعلتني أستحضر هذه الأبيات الجميلة بشدة للمايسترو، من السوناتة حيث يعطي صوته لمحقق:

***... لقد نسيت أولئك الذين يئنون،***

***لكني أعلم أنَّ هذا الندم الخسيس***

***هو جريمة أضيفها إلى الجريمة الأخرى***

***وأنَّ كليهما يجب أن تجرفهما رياح***

***الوقت، التي هي أطول من الذنب***

***والتَوبَة اللذين أضعتهما.***

لم أنس أننا جئنا بحثًا عن بورخيس. وجهه الجاد واليقظ به نظرة فارغة ثابتة في مكان ما في المسافة المتوسطة. يبرز على خلفية منتشرة، مثل اسكِتش فحم ناعم، حيث يعتقد المراقب أنه يستطيع التعرف على عمود وسعفتي نخيل ملتويتين.

دخلنا الفناء المركزي. لا شك أنَّ سيانا التقط الصورة هنا. تم تدبير الأعمدة الجَلِيّة في أقواس نصف دائرية مبنية من كتل صلبة. يمكن تمييز بعض الرؤوس المنحوتة الصغيرة حيث تتلاقى الأقواس. النباتات واضحة بالتأكيد بسبب غيابها. يشير خلاط الأسمنت وأكياس التراب في المكان بوضوح إلى أنه يخضع لعملية ترميم. يقترب الموظف من إبلاغنا بهذه الحقيقة تحديدًا ويطلب منا أن نتعجل، وهو أمر أصبح شائعًا للغاية.

سرعان ما أقوم بتدوين بعض الملاحظات والتقاط الصور، ثم انتهي من الأمر وأفتح الكتاب الأحمر الصغير.

\*\*\*\*\*\*

لا بد أ نَّ الصورة الأخرى أيضًا تم التقاطها في فناء بالاتسو ستيري. يظهر بورخيس مع ماريا كوداما في المقدمة. يواجه يسار الصورة وعيناها تتجهان نحو اليمين. اتضح أنها جذابة جدًا بسبب بضع خصلات بيضاء في شعرها، بينما ترغب شفتاها بالابتسام وخجل طفيف يحيط بقَسَماتها. وردتان حمراوان مشبوكتان على صدرها تملكان بريقًا معدنيًا غريبًا بفضل الضوء.

كما ذكرت من قبل، عندما تلقى بورخيس في باليرمو وردة ذهبية تزن حوالي نصف كيلو تقديرًا لإنجازاته. كانت أغلى وأثقل بكثير من زهرة محبوبه كوليردج، التي تخيل الشاعر أنه تلقاها في المنام كدليل على وجوده في الجنة، وعندما استيقظ وجدها في يده: استعارة جميلة للفكرة القديمة التي قالها جميع الكتاب، حتى الكتبة مثلي هم جزء من القصيدة اللانهائية التي هي كل الأدب.

عمل المايسترو مليء بالورود - ما يمكن للمرء أن يطلق عليه شجيرة الورد - وكما في هذا العمل، يمكن أن تظهر كرمز للمتعذر:

***الوردة،***

***الوردة الباقية خلف أبياتي***

***وردة ممتلئة وفواحة،***

***وردة الحديقة السوداء في عمق الليلة،***

***وردة أي حديقة وأي ليلة،***

***وردة ولدت مجددًا من خلال فن الخيمياء***

***من الرماد الطفيف،***

***وردة الفرس وأريوستو،***

***وردة وحيدة دومًا،***

***وردة هي دومًا وردة الورود،***

***النَورَة العُذرِيّة الصغيرة،***

***الوردة العمياء المحترقة خلف أبياتي،***

***الوردة المتعذرة.***

الوردة التي يمكن أن يرميها باراسيلسوس على جمر النار ويظهر من الرماد. الوردة الخالدة للشعراء، الوردة العميقة، الوردة المكتوبة، الوردة التي تسمي بكل حرف من حروفها جميع الورود في العالم:

***... القدر سمح لي***

***حُظْوَة اختيار هذا للمرة الأولى،***

***تلك النَورَة الساكنة، الوردة الأخيرة***

***التي حملها ملتون قبالة وجهه، ولم يستطع***

***أن يراها. يا الوردة، زُنجُفر أو أصفر***

***أو أبيض، من حديقة مَمحُوّة،***

***وجودك السابق استمر بطريقة سحرية***

***وتوهج للأبد في هذا الشعر،***

***ذهبي أو مغطى بالدم، عاجِيّ أو مظلّل،***

***وذات مرة في يد ملتون، وردة خفية.***

قال المايسترو ذات مرة، "لطالما أردت أن تنجو الوردة من النسيان"، مستندًا بالتأكيد على فكرته القديمة بأنَّ خلود رجل واحد هو خلاص جميع البشر. الورود التي في يد ماريا كوداما، المقدر لها أن تذبل بسرعة، تعيش بإزدهار خصب في الصورة.

أضفت، "أو حتى لفترة أطول في حالة الوردة الذهبية، ما لم ينتهِ بها المطاف في مَصهَر".

صححتني رو بتخابث، "أتقصد في مُنشَأَة".

يتذكر سيانا أنَّ بورخيس سأله أثناء تعبئتهم لحقائبه، "هل أنت متأكد من أنني لم أنس أيًا من الميداليات التي قدموها لي؟" طمأنته ماريا، "لا، لم تنس أيًا منها".

بالتفكير في الأمر، ليس لدينا أنا ورو الكثير من اللقطات التي تظهرنا معًا. كنا دائمًا نتناوب في هذا المكان أو ذاك، بينما يلتقط الآخر الصورة عندما نسافر سوية. في مناسبات قليلة جدًا وجدنا سيانا الهاوي ليوحدنا للأبد في إطار الصورة. لو ظهر شخص ما من خلف عمود وأخذ اللقطة بعد ظهر هذا اليوم، أخشى أنَّ النتيجة ستبدو مشابهة للمايسترو وكوداما: أنا أنظر إلى جانب، ورو التي سئمت من اضطهادي البورخيسي، تنظر إلى الآخر. لكن دون وردة.

\*\*\*\*\*\*

يتألف المتحف الإقليمي، بين فيا روما وفيا كافور، من ثلاثة طوابق في ما كان سابقًا دير الرهبان الفلبينيين. أتخيل بورخيس يعبر الشارع بين السيارات والكهنة، ويستنشق رائحة محل الطعام المواجه أو يراوغ سمعيًا الكرة التي ركلها الأطفال بقوتهم كلها نحو الحائط.

يبدو الأمر كما لو أنني أستطيع رؤيته كله الآن، المايسترو يرتدي سترة خفيفة وقميصًا أبيضَ وربطة عنق داكنة بخطوط قطرية. الشارة وقلم الحبر لا يزالان في مكانهما. أنا ورو على يقين من أنَّ اللون البيج يناسبه أكثر بكثير من اللون الجنائزي للأيام السابقة: إنه متوافقٌ أكثر مع هذه الظهيرة المشمسة ويعطيه مظهرًا أكثر يناعة.

في أمان من نجوم الغد، يعبر بورخيس - ونحن في أعقابه - الفناء الأول، ثم التالي، ويبدأ في التحرك عبر الغرف المتواضعة . ينوّرنا سيانا، ***"بالنسبة له صقلية هي ماجنا غراسيا. يريد أن يرى ما تبقى من هذا العالم وتلك الحقبة".***

في الطابق السادس، المليء بمجموعة كاسوتشيني من القطع الأثرية الأترورية، يتوقف أمام تمثال جنائزي. امرأة ذات شعر مائج، مغطاة بزخارف بأشكال هندسية. وفقًا لملاحظة في القاعدة، يعود تاريخها إلى النصف الثاني من القرن السادس قبل الميلاد. هناك علامات على تلوين سابق، تلاشى بالكامل تقريبًا الآن: شيء يشبه جرة ترميد زمرد تَذكارِيّ ضخمة.

بخطوات متعثرة أو ربما احترام احتفالي، يتقدم بورخيس - ونحن في أعقابه - على أرضية مربعة. تتميز بعض الأفاريز التي تحتوي على رسومات لأشكال بشرية في الخلفية. يحثونه على لمس السيدة على عرشها. يضع الكاتب أصابعه المرتعشة على يد التمثال اليسرى، وتمسك اليد بأداة رمزية.

ربما يسأل نفسه، "هل سيكون هناك قدر أفضل من التحول إلى الرماد، يؤدي إلى النسيان؟" كما نسأل نحن أنفسنا. أشجع رو على فعل الشيء نفسه ولمس التمثال. إنها لا تحتاج إلى التسرع في الأمر؛ يكفي أن تربت برفق كما فعل بورخيس. لفترة قصيرة حتى أتمكن من تصويرها دون أن يلاحظ الحراس تدنيسنا ويخرجوننا من المبنى. تمكنت من القيام بذلك بأطراف أصابعها. نظرًا لأنَّ المسافة كانت قريبة جدًا، فقد محى وهج الفلاش كل تفاصيل التمثال، ودمج اليد الحجرية مع يد رو. أتساءل عما إذا كانت قد شعرت بأي شيء مميز. ربما شيء شعر به بورخيس أيضًا.

تنظر إليَّ بقلق شديد متسائلة عن تدهور صحتي العقلية. ثم تهز كتفيها وتبتسم.

\*\*\*\*\*\*\*

ينقلنا الدرج إلى ممر الطابق الأول المهجور المخصص لليونان وروما. تبدو المجموعة الواسعة من التماثيل والأواني وقطع الزينة المحصورة خلف الزجاج مُضجِرة، على الأقل للشخص العادي. أمر آخر مرتبط بالشخص العادي هو أننا لم نأكل بعد، نظرًا لأنَّ الوقت تأخر كثيرًا.

الأشياء المعروضة، التي تم جمعها بهذه الطريقة تتداخل معًا: ويبدو من المستحيل، وعديم الجدوى، التوقف أمام كل واحدة. لأنها ترقى إلى التخفي بفعل التوافق. لا يبدو أنَّ بورخيس أدرك هذا التأثير. وفقًا لسيانا، فقد كان كطفل في متجر حلويات ولا يخشى الاعتراف بالأمر: ***"انظري، ماريا، انظري!"***

هذه المرة أبحث عن تمثال أصغر من البرونز الأسود. استنساخ روماني من القرن الأول قبل الميلاد، يمثل هرقلًا وهو يخضع أيلًا، والذي زين ذات يوم نافورة في بومبي وكان تبرعًا من ملك بوربون فرانسيس الأول. تلتقط الصورة من الكتاب الأحمر الصغير اللحظة التي يلمس فيها بورخيس فخذ نصف الإله بشكل أكثر تأكيدًا هذه المرة؛ نصف الإله ذو الطبيعة الوحشية، وفقًا لرواية الأفلاطونيين الجدد، التي نشرها بورخيس نفسه. إذا كنت أتذكر بشكل صحيح، كان أحد أعماله الاثني عشر المشهورة، هو اصطياد أيل أركادي بقرون ذهبية بينما لا يزال حيًا. تثبت أذرع هرقل بثبات قرون الحيوان وتشد عنقه، بينما تضغط الركبة الإلهية على مؤخرته لمنعه من الوثب.

قالت رو، "يال الحيوان المسكين"، لكنني لم أعرف أتقصد الأيل أم الرجل القوي.

لم يكن هرقل قط على رأس قائمتي، لأنه يعتمد على القوة؛ عضلاته هي الوسيلة الوحيدة للمفاجأة. على النقيض من أوديسيوس، الذي أظهر البراعة والحدس باستمرار. أنا مدرك جيدًا أيضًا أنَّ هرقل شخصية مألوفة جدًا بالنسبة لي. بصفته المؤسس الأسطوري لقادس، فهو يتوسط شعار النبالة في المدينة مع أسديه الفخورين كحراس شخصيين، إلى جانب الأسطورة الحَتمِيّة غير الملتوية حول الأعمدة: الصياغة نفسها التي، للأسف، تسببت في حدوث مثل هذا الضرر في يدين الشوفينيون. كنا نرسم شعار النبالة في المدرسة عندما كنت صغيرًا. كان أصعب شيء لتنفيذه هو الأسود، وتمكنت من تنفيذها أكثر من مرة بمساعدة التمثال المحلي قرب بلدة كانيكاتي الصقلية: "هذا الكلب أسد، وفقًا للمرسوم رقم 34256 2 يوليو 1925.

عندما وصلت إلى الشعار الشهير كنت أعتقد أنه ليس هناك أي شيء أبعد من ذلك. العالم، كما يقول إيفان في كثير من الأحيان، صنع مستديرًا بحيث تدور في دوائر.

بالحديث عن الدوران في دوائر، ليس هناك وقت نضيعه: يجب أن ننتقل إلى الهدف التالي.

\*\*\*\*\*\*\*

صورة أخرى، واحدة من المفضلات لدي. مرة أخرى يسيء بورخيس استغلال منصبه كضيف لامع من خلال لمس أي منحوتة في متناول اليد. ومع ذلك، في هذه المناسبة تختلف إيماءة اليد. إنه لا يتلمس طريقه بأمل، كما نفعل عندما نضيع في الظلام. تقبع راحة يده برفق على وجه قيصر البارد، وهي نسخة من طبريا من 44 قبل الميلاد (آسف إيفان)، كما لو كان يداعبه.

نصطدم بشكله المنحوت، إذا جاز التعبير، عند قلب الزاوية، في منتصف الطريق بين طرفي المعرض.

لاحظت رو، "إنه وسيم".

يتبادر إلى الذهن السوناتة التي كرسها بورخيس لقيصر، وربما قرأها بصمت بينما يلمس الملامح الخامدة:

***هنا يرقد ما تركته الخناجر وراءها.***

***هنا يرقد ذلك الشيء البائس، الرجل الميت***

***الذي كان يعرف بقيصر.***

***فتحت الأنصال حفرًا في الجسد.***

***هنا الشيء الوحشيّ،***

***هنا الآلة المسجونة التي استخدمت ذات مرة لأجل المجد،***

***لكتابة وتنفيذ التاريخ***

***ومن أجل الاستمتاع بالحياة ...***

التمثال حليق الرأس، بأنف الملاكم المكسورة، الذقن المدمل، الشفاه المَفتُوحة، وعينان تنظران إلى الخارج كما يقول بودلير. لا يزال ينضح بسلطة لا يمكنني فهمها تمامًا. رغم كل شيء، يمكنك القول إنه كان أول رئيس لإيطاليا الموحدة، ناهيك عن أوروبا الغربية؟

***هنا أيضًا يرقد قيصر الآخر، الذي سيأتي***

***الذي سيكون ظله العظيم العالم كله ...***

هناك دائمًا قيصر متعطش للسلطة، كما يعلم الصقليون جيدًا، وسكين مَسحُور جاهز لتدمير حياته المهنية. لكن لا أحد يتعلم: حتى بعد نابليون وهتلر، سيظهر دائمًا زعيم جديد مستعد لغزو روسيا في الشتاء. نترك سيد ورَبّ العالم في المكان الذي يليق به، مُعَبّأ في تمثاله الخاص، ونستمر كما نحن، بشر وعامة.

\*\*\*\*\*\*\*

يخطر ببالي أنَّ التخفي بالتوافق الموجود في المتحف يمكن أن ينطبق أيضًا على الكرة الأرضية. أتساءل عما إذا كانت صقلية لم تكن لتصبح مرئية في هذا العالم، إذا لم تمتد إلى نقطة الانهيار بين العديد من القوى الإمبريالية المتقلبة. بعد ذلك بوقت طويل، قرأت شيئًا عن الجزيرة كتبه فيست وجعلني أتوقف قليلًا للتفكير: ***"على عكس روما أو فلورنسا أو البندقية، على الرغم من عبء الآثار التاريخية، تبدو وكأنها خالية من التاريخ بشكل غريب. يصادف المرء فقط آثار الماضي، كتالوج فوضوي لمجموعات المسرح التي بالكاد يستطيع الخيال أن يجلبها إلى الحياة. الحقيقة هي أنَّ أعماق الجزيرة تفتقر إلى التاريخ؛ لطالما اقتصرت على كونها مكاًنا، مرآة تعكس صراعات السلطة في المناطق المجاورة وصعود وسقوط الإمبراطوريات. بمجرد اختفاء الصورة، يتم إفراغ سطح المرآة، وصورة أخرى تحل محل الأولى ..."***

وصل الألماني إلى نتيجة مروعة، وجدت طريقها إلى الوعي الجمعي وتجلت بطريقة ما في المتحف الإقليمي: من لديه الكثير من التاريخ، ينتهي به الأمر بعدم امتلاك أي شيء.

نهاية المطاردة، يجب أن نذهب. انتباهنا يتشتت ولن تتأقلم شهيتنا مع المزيد من التأخير، أو سنصاب بالإغماء على الدرج. ننزل إلى الفناء المليء بالأعمدة ونحن في طريقنا للخروج عندما يغلبني فجأة شعور قوي.

"لقد مررت هنا من قبل. لا، انتظر، هذا الممر ... نعم، إنه تمامًا مثل ... انتظري، ذلك ..."، وفتحت كتابي الصغير، كتابي ذا الأغلفة الحمراء، بينما تنظر رو نحوي بذهول. "هذا هو، إنه هنا! نعم!"

تُظهر الصورة ماريا كوداما وبورخيس يسيران فوق نفس البلاط. في اللحظة الدقيقة التي اقتربنا فيها من المكان، رأينا مجموعة من الأطفال الصاخبين يغادرون. حيث كانت تقف سقالة ذات مرة لاستعادة منطقة الحديقة - يمكنك رؤية الألواح الخشبية المستخدمة كجسور صغيرة وقضبان حديدية مظللة تضرب الأرض - تبرز الوشائع والسراخس. نعلم أنَّ سيانا تمركز في هذه الجهة بفضل البقع على الأعمدة، وتركهما يتقدمان للأمام حتى اختفيا تقريبًا، ثم التقط الصورة.

على الرغم من أن لا أحد سيقوم بتصويرنا، طلبت من رو أن تمسك بذراعي. هي إلى اليسار وأنا إلى اليمين، تمامًا مثل الصورة. سرنا ببطء. أغمضت عيني. لست أسفًا على ترك الغَبَش المجرد لقرون ورائي، تتلاشى الأصوات البعيدة شيئًا فشيئًا في كل خطوة نتخذها؛ مع ذلك، يسعدنا إعادة الانضمام إلى الصخب والضجيج، في الضوء المشترك للهنا والآن.

\*\*\*\*\*\*\*

تنقص مجموعة البورخسيين الخاصة بنا إلى زاويتين فقط من باليرمو. وفقًا للكتاب الأحمر الصغير، كلاهما موجود في مكان يُدعى فيلا إيجيا، المكان المُعَيّن الذي ليس لدينا أدنى فكرة عنه. ننظر إلى موقع الشمس ونحسب أنه في غضون ساعتين أو أقل سيحل الظلام. يجب أن نسرع.

العنصر الأول، الذي لا يقل إلحاحًا، هو التوجه إلى أقرب بيت شباب والتهام وزننا من الفوكاتشيا، معزز الطاقة المفضل لدينا. والثاني هو لقاء إيفان وكا في وقت الموعد المحدد مسبقًا في ساحة انتظار صديقنا جوزيبي، الذي أوفى بوعده ورعى يوريكا بإخلاص. والثالث هو السؤال عن الطريق.

"أوه، نعم، فيلا إيجيا"، أجابنا الشخص السادس أو السابع الذي أوقفناه في الشارع. "لكنها بعيدة ... "

لحسن الحظ، كانت الراحة جيدة ليوريكا، وها هي تسير بسرعة على طول طريق فيا دل ماري، تاركة وراءها وسط باليرمو نحو الأجزاء العليا من المدينة. من الواضح أنها منطقة باهظة الثمن بالنسبة للجيوب المتواضعة: القصور الكبرى والسيارات الفاخرة في كل مكان. ومع ذلك، فإننا نواصل مسيرتنا دون أي إشارة لفيلا إيجيا.

يا رفاق، لقد وجدتها! تخبرنا كا بعد فترة قضيناها في الدوران في دوائر، عانينا خلالها من عقدة نقص متزايدة.

إنه فندق. فيلا إيجيا فندق، بالتأكيد هو الفندق الذي استضاف بورخيس أثناء إقامته في باليرمو، مع نجومه الخمسة فوق الباب، بلا شك. لا يوجد شيء غير ذلك، علينا رؤيته.

قال إيفان بقلق، "بشكله هذا، لن نبقى خمس دقائق قبل أن يطردونا إلى الشارع".

أجبت، "لست متأكدًا. من الأسهل طردك من صالة بلياردو قذرة أكثر من مكان كهذا. لا يعرف موظفو الاستقبال أبدًا ما إذا كنت ابن أخ ملك أوروبي أو متلصص بسيطبفتش[[51]](#footnote-51) بورخيسي. أنت نفسك يمكن أن تكون من سلالة القياصرة الروس". أمدحه في محاولة لرفع ثقته على أمل أن يساعد ذلك في قدرته على الخداع. "إذا فكرت في الأمر، فسيكونوا حذرين للغاية حيال طردنا بهذه الطريقة. يمكنك الرهان على ذلك".

أحدث كلامي القصير التأثير المطلوب، لكننا واصلنا دون اقتناع كبير. ترددنا في الخارج لبضع دقائق، حتى دخل زوجان شابان يرتديان ملابس السباحة ووفرا لنا غطاءً مؤقتًا. وقفنا خلفهما، وبينما كانا يطلبان المفتاح، بحثت بسرعة عن صورة بورخيس في كتاب قداس سيانا.

"عفوًا، نحن نبحث عن هذه الغرفة، صالون باسيلي ..." أريتها الصورة.

إذا لزم الأمر، فأنا على استعداد لأقسم أنَّ الرجل الموجود في الصورة هو جدي الأكبر وأنني أريد أن أزور المكان الذي كان فيه لفترة وجيزة، لكن لن يكون من الضروري الانحدار إلى هذا الحد. الفتاة في الاستقبال، مهذبة للغاية ومبتسمة، تعرفت على الغرفة على الفور، بل وأخذتنا إليها أيضًا. حتى إنها أغلقت الباب بلطف خلفها، مما سمح لنا بالبقاء بقدر ما نريد.

أشرح لإيفان في الطريق، "في القلب تعاني الطبقات العاملة من عقدة تمنعهم من الشعور بالراحة في هذه الأنواع من الأماكن. ليست الاختلافات الاقتصادية هي التي تفصلنا كثيرًا عن الأغنياء، ولكن بطريقة معينة لا يسمح الأغنياء لأنفسهم بالإعجاب، حتى بإخفائهم الأمر عندما يكونون معجبين حقًا. إذا قمت بدعوة متسول إلى مطعم فاخر، فسيشعر بالإرهاق من كمية الأطباق، وبسبب التواضع اللعين، سينتهي به الأمر بطلب أرخص شيء في القائمة".

استسلم صديقي، "أنت تفوز. لنلعب دور الثراء".

نستكشف غرفة باسم إرنستو باسيلي، المهندس المعماري لباليرمو الذي كلفه فلوريوس القوي ببناء الفندق وتصميم جزء من الداخل بأسلوب فن الآرت نوفو الراقي للغاية، بما في ذلك ستة أجنحة أخشى أننا لن نتمكن من الوصول إليها بسهولة. هذه هي الحياة: باروك هذا الرجل الفقير، الجمالية الحداثية التي تقترب من ديكو، تزين الآن أغنى الأماكن. ينص الكتيب الذي قدمته لنا موظفة الاستقبال على أنَّ فيلا إيجيا بها قاعة محاضرات ومسبح بمياه البحر وملاعب تنس، بالإضافة إلى قائمة لا حصر لها من الخدمات الأخرى.

بمجرد دخولنا الغرفة، إلى اليمين، أدركت أنَّ الطاولة التي كان يجلس فيها بورخيس عند التقاط الصورة لا تزال في المكان نفسه، إلى جانب الكراسي الثلاثة المصممة بسلاسة، مما يسمح لي بوضعها بنفس الطريقة التي وضعها بها سيانا. تمت إزالة السجادة الضخمة، ليكشف عن أرضيات باركيه في حالة ممتازة. كما تم استبدال الستائر البيضاء القديمة بأخرى جديدة بنقوش زهرية. بقي كل شيء آخر على حاله: أقواس مقبض السلة، الأبواب، الجدران المزخرفة بكثافة، المصباح الرائع، والمرايا! أضاف أحدث المصممين الزهرية الفردية في الزاوية؛ أعتقد أنهم يعيدون إحياء جو الغرفة.

انتقمت رو وجعلتني أجلس على الكرسي الذي جلس عليه بورخيس. بعد صراع مرح، استسلمت واتخذت الوضعية نفسها الصارمة أمام الكاميرا مثل الكاتب، والتي في حالتي مدفوعة بالتواضع.

"إذن، بماذا تشعر؟"

أجبتها، "أرغب ألا أتحرك حتى حلول موعد الإفطار".

\*\*\*\*\*\*\*

أثناء تجولنا على طول الممرات كما لو كنا نملك المكان، أوشكنا على التقدم للحصول على جائزة إيجيا كأكثر سكان الفندق الذين يرتدون ملابسَ بالية. من بين صور الضيوف البارزين المعروضة على الجدران، نتعرف على الملك الشاب خوان كارلوس الذي بدت صورته كصورة السعادة ذاتها. ولمَ لا يكون سعيدًا بكل هذه الرفاهية؟ بالعودة إلى موضوعنا السابق، أستغرب دائمًا من الطريقة التي يحتقر بها الرحالة الراحة، كما لو أنَّ الطريقة الوحيدة الصالحة لرؤية العالم هي عبر التضحية والتقشف. أحترم بشدة المسافرين الذين، على الرغم من قلة الموارد، يلقون بأنفسهم داخل المغامرة، ولكنهم يعرفون أيضًا كيفية الاستمتاع بالرفاهية إذا صارت في متناول اليد. لا يجب أن تكون الرحلة بالضرورة تمرينًا على الماسوشية، بنفس الطريقة التي لا يجب أن يكون بها الحب الحقيقي قصة حِرمان وعذاب. وإذا كانت الرحلة الحقيقية داخل الذات، كما يقول إيفان عادةً، فأنا أشك في أنَّ الروح تحاول البحث حقًا عن عدم الراحة أو، بهذا الصدد، الترف، كما يفعل الجسد.

خرجنا إلى الشرفة وأعجبنا بخليج باليرمو بأكمله ولونه الأزرق المبهر. تجولنا في متاهة صغيرة من الوشائع، والتي نفضل أن نشير إليها بدلًا من ذلك على أنها نسخة مصغرة من "حديقة المسالك المتشعبة".

كان المَمَرّ الرطب متعرجًا مثل تلك المَمَرّات من طفولتي.

في الواقع، لابد أنَّ بورخيس قد استمتع بهذا، تمامًا كالأطفال. بالقرب من هنا، توجد منطقة تقدم جلسات تدليك علاجي مقابل مائة يورو فقط. نحن نفهم الآن بشكل أفضل التعبير المريح على وجه خوان كارلوس.

يقدم لنا الحظ مرة أخرى ركنًا بورخسيًا آخر، آخر ركن في اليوم. عندما نتكئ على الدَرْبَزِين المطل على الخليج، نلاحظ الكرات الحجرية التي تزينه. في إحدى صور سيانا، يمكنك رؤية انعكاسه، إلى جانب البحر والجبال، في الزجاج الذي يقف وراءه المايسترو، جالسًا ويبحث عن الشمس بعينيه الجامدتين. الزجاج المعني خلفنا، ويمكن تمييزه بشكل ما بواسطة ملصق مثلث ألصق بذلك المكان حتى لا يكسر الناس أنوفهم إذا كان الزجاج نظيفًا للغاية. أصبح الملصق الآن شعارًا بأحرف عصرية، ويمكن قراءته بسهولة بطريقة معكوسة، فيلا إيجيا. لم تعد الكراسي ذات الظهر المستدير من غرفة الطعام موجودة أيضًا: الموجودة الآن مربعة ويبدو أنها أقل راحة. من المؤكد أنَّ النخيل المنعزل قد تقدم في السن بشكل جيد، ولا يزال ينمو في التربة ذاتها بجانب عدد قليل من الرفاق الجدد.

قرأت تعليقات سيانا: ***"لقد وجدت بورخيس على شرفة الفندق، أمام بحر شفاف. اليوم جميل. يبدو أنَّ الربيع، الذي كان متقلبًا للغاية هذا العام، حتى في صقلية، قد جعله استثناءً. يبدو أنه يتذوق رائحة الهواء المسكرة. يقول إنه يشعر أنَّ السماء لا بد أن تكون زرقاء تمامًا، يستدير نحو الشمس، متجاهلًا الضوء وليس الحرارة، ويبدأ في تلاوة: "صبغة جميلة من الياقوت الشرقي ..." قبل التحديد بابتسامة خجولة: " دانتي، المطهر، أول كانتو ". يمضي في اقتباس آخرين، من دانونزيو، مارينو، دائمًا حول موضوع لون السماء"***. طريقته في تكريم البلد الذي استقبله هي اقتباس آيات من شعرائها.

قبل المغادرة بقلب حزين، بحثنا أنا وإيفان عن المراحيض المتاحة للجمهور. أنا متأكد من أنَّ أصدقاء بورخيس يعرفون مجموعة حقيقية من الحكايات حول مرافقته في رحلات إلى الحمام وتوجيهه باتجاه الخزف، وهي اللحظات التي لا بد أنَّ ذكاءه وروح دعابته قد تألقت خلالها.

أتخيل نفسي بصحبة المايسترو في مراحيض فيلا إيجيا. لتصل إلى هناك، عليك أن تنزل بعض السلالم الخشبية القديمة، والتي كان بورخيس ليسمع صريرها بشكل مخيف. كان سيلاحظ أيضًا السجاد السميك عند المدخل ويتمتع برائحة الصابون الرائعة، والتي تختلف حتى بين الفنادق الفاخرة وبيوت الضيافة التي نعرفها جميعًا.

"المهمة أنجزت يا فتيات"، أخبرناهن ونحن نفتح الخريطة. "يجب أن نخبركن أنَّ الإيجيا ليس به غرف خالية. وأخشى أنهم لن يسمحوا لنا بالنوم في الحديقة. لذلك علينا أن العثور على مكان ما، مكان يشبهه أو أفضل لقضاء الليل. ما رأيكن بمخيم سفيراكافالو؟"

**مونديلو، سفيراكافالو**

يزداد الظلام مع انزلاق يوريكا على طول الطريق المؤدي إلى كيب غالو. تعرض مناظر متغيرة بشكل جميل أمامنا: أرصفة صغيرة وخلجان وجبال، حيث تظهر المصابيح الأمامية ببطء مع اللون الأحمر المنحسر لغروب الشمس.

كانت الشمس قد غربت عند وصولنا إلى مونديلو، التي يُنظر إليها كشاطئ باليرمو الحقيقي. إنها مليئة بالتراسات وحانات النيون المبهرجة، والتي لن تكون في غير موضعها في أفق الليل في كوستا ديل سول الإسباني، مع أرصفة اليخوت وعربات الأطفال المفعمة بالحيوية على شاطئ البحر. في مذكراته، أشار فولكو دي فيردورا إلى مونديلو على أنها فردوس، ولكن بحلول السبعينيات كان قد أدرك بالفعل أنَّ المكان قد تدهور كثيرًا من أركاديا طفولته. اليوم هي مدينة مهجورة، فارغة، بل ربما احتيالية، خاملة، كما لو كانت مرسومة أو مخططة على الورق المعجن، لكنها أيضًا ممتعة، حتى إنها مثالية لمنح الحواس راحة، ولمَ لا؟

كان اليوم حافلًا، نشعر جميعًا بالسعادة والحنان. ومع ذلك، عندما قبّل إيفان وكا بعضهما في منتصف الشارع، سمعنا بعض السعال الرافض بشكل لا لبس فيه.

"إيطاليا، أرض الحب؟" يقول إيفان ضاحكًا. "مع كل أوجه التشابه بين صقلية والأندلس، الريف ولطف الناس، والطريقة التي يداعبون بها بعضهم البعض ويتحدثون، هناك فرق جوهري. هل لاحظت ألا أحد يقبِّل في الشارع؟ ليس في ميسينا أو سيراكيوز أو باليرمو ... "لكي تمارس الحب عليك أن تتوجه إلى الجنوب؟" ليس جنوب إيطاليا، هذا مؤكد ... "

تراهن كا، "في أي لحظة الآن سنرى لافتة عليها شفاه متقاطعة تقول يحظر التقبيل...".

سيكون من دواعي سرورك أن تعرف أنَّ لامبيدوزا انتقد أيضًا نزعة التطرف في باليرمو. قال ذات مرة لصديقه فرانشيسكو أورلاندو: "ليس هناك مدينة يضاجع المرء فيها أقل". ربما بالغ الأمير قليلًا، لكن بالتأكيد لديه وجهة نظر.

نجلس في مطعم بيتزا عشوائي، وندفع ثمنًا باهظًا مقابل الخطأ البريء المتمثل في طلب سلطة غير موجودة في القائمة. بيتزا متواضعة لأربعة أشخاص، خبز، ماء، رسوم الخدمة - التي يجمعونها دينيًا في إيطاليا - تكلفنا سبعة وثلاثين يورو مؤلمة.

احتج إيفان قائلًا، "إنهم يبتزونك في مونديللو أكثر من جاجولثا. دعونا نخرج من هنا في أسرع وقت ممكن".

تحديته، "ليس دون مباراة كرة قدم الطاولة، رأيت بعض الملاهي في الطريق هنا".

في صالة الألعاب، بين طاولات البلياردو ولعبة سبيس إنفيدرز، واجهنا أنا وكا رو وإيفان. على الرغم من أنني لست مبدعًا في كرة قدم الطاولة، إلا أنني لعبت بما يكفي لأكون واثقًا من أننا سنفوز. بعد مباراة مثيرة، هُزمنا في منافسة متقاربة بأربعة أهداف مقابل ثلاثة. ولأنني تنافسي بشكل طبيعي، دهشت لأنني أخذت الهزيمة بسعادة - شهادة على مدى رضاي خلال هذه الرحلة. المشاعر التي تثيرها كرة القدم - التي يتشاركها بشدة الصقليون والإسبان والأرجنتينيون - وإن كانت، في هذه الحالة، النسخة المصغرة، لم تؤثر على مزاجنا السعيد للاستمتاع.

قال لي المنتصرون: "نحن سعداء لأنك لم تقتبس شيئًا من بورخيس لتوضيح الهَزِيمَة".

سأقول فقط ما صرخ به أحد المارة بشكل عفوي ذات مرة عندما مر بجانب المايسترو: ***"بورخيس ومارادونا إلى الأبد!"***

انطلقت يوريكا مرة أخرى، غفت رو على كتفي أثناء قيادتنا على طول الطريق المظلم من مونديلو إلى سفيراكافالو، وهي بلدة ساحلية صغيرة مفقودة إلى حد ما حيث نعتزم قضاء الليل في موقع تخييم. هذه المرة نبالغ في الاحتياطات لتجنب الضياع، على الرغم من أنَّ المدينة صغيرة جدًا لدرجة أنَّ هذا الاحتمال غير وارد. نستأجر منزلًا صغيرًا ونحاول أن نرتاح، إذا استطعنا، في أسرّة من طابقين تنتمي لأسوأ الثكنات العسكرية.

**سيجيستا، تراباني، إريتشي، مارسالا، مارينيلا**

بعد الاستحمام في الصباح، تناولنا الإفطار في مقهى صغير في سفيراكافالو يسمى لا دليتسيا، تمامًا مثل الفندق في أدروغي حيث كان بورخيس ينوي الانتحار ذات مرة. النادلة التي تبدو كصورة حية لجدتي المتوفاة مامي، تجفف يديها على مريلتها المزهرة وتنتظر طلبنا بابتسامة أمومية كبيرة. الكابتشينو الممتاز الذي تقدمه يكفي لتبرير اسم المؤسسة؛ إنه لأمر مخز أنَّ لديها ثلاثة أكواب فقط، مما يجبرنا على تناوله في دورات متناوبة بشكل غير منتظم.

يسلي إيفان نفسه بترجمة قصائد باللغة الصقلية تزين الجدران أثناء انتظاره، تثني غالبيتها على المنطقة. من خلال قراءتها، تلاحظ أنَّ السكان المحليين يطلقون على بلدتهم اسم سفيراكفادوا، بسبب الطفرة الصوتية التي تميز لهجة الجزيرة عن شبه الجزيرة الإيطالية. الاسم يعني الأحصنة، وهو بالتأكيد اسم مكان مفاجئ، والذي لا ينصف هذه الزاوية الجذابة من ساحل باليرمو.

أثناء محادثات رو مع مالك المكان، بدأت أشعر بالأسف لقلة التواصل الذي أجريناه مع سكان الجزيرة حتى الآن. في الواقع، من الصعب جدًا فهم روح هذه الأرض حقًا، ولكن هل يمكن الوصول إلى الصقليين أنفسهم؟ ما هي السمات المشتركة بينهم؟ هل تتوافق مع أي ملف تعريف؟ الصور التي حددها الآخرون منذ العصور القديمة منتشرة وقاسية إلى حد ما بشكل عام، وهي التالية:

***شيشرون: "الأشخاص الأذكياء والمريبون، ولدوا لأجل النِزَاع".***

***لورنس: "الصقليون ببساطة ليس لديهم أي فكرة ذاتية عن أنفسهم أو عن أي أرواح".***

***سكيبيو دي كاسترو: "شخصيتهم تتكون من نقيضين، لأنهم خجولون للغاية ومتهورون للغاية".***

***جيسوالدو بوفالينو: "يجب تغيير حمضهم النووي".***

***جوزيبي توماسي دي لامبيدوزا: "يعتقدون أنهم مثاليون. غرورهم أقوى من بؤسهم ... أغلق خمسة صقليين وخمسة من سكان بييمونتي في غرفة لحل مشكلة. بعد ربع ساعة، سيكون لدى الصقليين إجابة في رؤوسهم ولن يكون لدى سكان بييدمونت إجابة. ولكن بعد ساعة، سيحل جميع سكان بييدمونت المشكلة بينما لن يحلها أي من الصقليين".***

***جيوفاني ماريا تشيكي: "متكبرون، ما لم يكن هناك اختلاف كبير في الوضع الاجتماعي، فإنهم لا يفسحون الطريق لبعضهم البعض؛ أفضل الأصدقاء وأسوأ الأعداء يكرهون بعضهم البعض بسهولة. حسودون ولسانهم سام وعقلهم جاف قادرون على تعلم الأشياء المختلفة بسهولة. إنهم أذكياء في كل أعمالهم".***

***أندريا كاميليري: "الصداقة الصقلية هي فن صعب وربما يجب أن نطلق عليها اسمًا آخرَ، التآخِي، الأخوة، القرابة الاختيارية. يتم إنشاء ما يشابه الدائرة السحرية بين صديقين صقليين تستبعد الآخرين، والشؤون العالمية وحتى الأحداث من التاريخ نفسه".***

وبغضِّ النظر عما إذا كانت هذه التعميمات بها أي حقيقة أم لا، فإنها تأتي بالتأكيد مزودة بثقل أدبي كبير. كما هو الحال مع الدجاجة والبيضة، لا نعرف ما إذا كانت الأسطورة دلست الرجل أو الرجل هو من أدى إلى ظهور الأسطورة. مهما كان الأمر، فإنَّ الأشخاص الذين قابلناهم-صقليوّ اليوم- يبدون - على الأقل ظاهريًا - "عاديين" تمامًا: أوروبيون متوسطيون في القرن الحادي والعشرين.

منذ فترة، كنت أتحدث إلى صديق عن نضال الأندلسيين ضد شياطينهم المبتذلة، وهو بالتأكيد شبيه جدًا بالمعركة التي يخوضها الصقليون. نجد أنه من المؤلم أنه خارج منطقتنا يُنظر إلينا على أننا رواد حفلات ساحرون، متبطلون، لا يكلون. ومع ذلك، فإننا نستسلم بسهولة لكل هذه الصور النمطية، يتطلب الأمر الكثير لمقاومة التصرف كأندلسيين. يمكن أن نكره صورتنا كمغنين أو راقصين، على الرغم من أنني أعتقد في بعض الأحيان أنها شيء في جوهرنا. نحن نصنع - وهم يصنعون لأجلنا - الكليشيهات، وتتلبسنا الكليشيهات بدورها وتجعلنا في صورتها ومثالها. من الواضح، مع ذلك، أنَّ التعايش مع صورة السعادة والنبيذ أفضل من التعايش مع الصورة القاتمة المنسوبة إلى الصقليين. دعنا نقول فقط أنَّ الكليشيهات ينتهي بها الأمر لتكون سمة موروثة لشخصيتنا. وعلى هذا النحو، نحن قادرون على الاستسلام لها، أو حتى التباهي بها، أو القتال لتصحيحها أو إزالتها من أنفسنا.

بعد تناول وجبات إفطارنا، أتت السينورة إلى الباب لتعطينا قبلات الوداع بالطريقة العاطفية التي اعتادت جدتي أن تودعنا بها، وودعتنا بلغة إيطالية مباشرة:

"عطلٌة سعيدةُ للجميع!"

نركب المفاتيح، يندفع المحرك للعمل، تعمل يوريكا مرة أخرى.

المحطة التالية، على مرمى حجر تقريبًا: سيجيستا، مدينة قديمة محاطة بالتلال، حيث لا يزال هناك مسرح صغير ومعبد يوناني مثير للفضول. "الأراضي التي توجد فيها اليونانية في الأنقاض الموضوعة على جانبها في العشب الرقيق، وليس في الروح''، رثاء سسياسيا لصقليته الألفية، وربما دون أن يدرك، باستخدام هذه الكلمات، لخص الروح السامية والمأساوية لماجنا غراسيا.

يفتقر المعبد غير المكتمل في سيجيستا، إلى حجرة صغيرة أو غرفة داخلية مسقوفة بأعمدة ناعمة، مما يجعله نموذجًا فريدًا للغاية. ومع ذلك، فإنَّ الميزة الأكثر بروزًا هي الطريقة التي يمتزج بها مع المناظر الطبيعية. يوافق حبيبي زاجاچيوسكى على هذا في قصيدة تشرح الشعور جيدًا:

***سيجيستا***

***في المرج معبد شاسع -***

***حيوان بري***

***منفتح على السماء.***

من سيجيستا نتجه نحو تراباني، شريط من الأرض الحضرية حيث، إذا صدقنا المؤرخين، نزل تشارلز الخامس بعد فوزه في تونس. لقد رأيت العديد من الرسومات والمنسوجات التي تعيد إنتاج هذه الحملة التي أخضع فيها الإمبراطور أسطول بربروسا، لكن لا أحد يدعي أنه وصل إلى صقلية. هذا يعطي لخيالي العنان لاستحضار الرؤى حيث تتقدم كتائب من الجنود على طول هذه الطرق، تجر العشيقة والأسلحة، متعبة ولكنها راضية.

توقف إيفان في منتصف الطريق، دون أي تحذير مسبق. أشارت اللافتة على الطريق إلى أنَّ تراباني وكاباتشي أمامنا مباشرة؛ وإلى اليمين، باتجاه البحر، إيزولي ديلي فيميني:

"جزيرة موخيريس الأصلية كما غناها خافيير رويبال!" يصرخ إيفان، والذي ظل يغنيها لبقية اليوم، مفتونًا بالاكتشاف: ***"أنت ملكة جزيرة موخيريس / وأنا، إذا كنت تحبينني، فسأكون عبدك الأكثر إخلاصًا ..."***

نتفحص الأفق، وبالتأكيد نرى الجزيرة الصغيرة، متلألئة مثل جبل ملح عبر المسافة. نطلب من الفتيات الوقوف بجانب اللافتة، لأنَّ جزيرة نساء دون نساء هي أمر محزن، وهنا، مع الأغنية التي جعلت الجزيرة كشاهد بعيد، نعد بإرسال الصورة إلى خافيير.

تقول رو، "لا أريد إسكاتك، لكنني أعتقد أنَّ أغنيته تشير إلى جزيرة موخيريس في منطقة البحر الكاريبي، حيث احتجزوا العبيد الأفريقيات اللائي سيتم بيعهن لملاك الأراضي".

أضفت، "أراهن أنه ليس لديه فكرة عن وجود جزيرة آخرى، وسيكون سعيدًا بالقدر نفسه".

قال إيفان، "دعونا ننسَ الموضوع. أنت في مطاردة جامحة كاملة لبورخسك، سأفعل الشيء نفسه مع رويبالي".

على أية حال، فإنَّ نزولنا في تراباني سيكون أقل ملحمية بكثير من نزول **كارولوس الخامس في** "بلدة سعيدة بشكل مخادع وعادية"، وفقًا لدوريل. أتذكر أنَّ إيتالو كالفينو كان على يقين من أنه لا فائدة من التمييز بين المدن السعيدة وغير السعيدة، بل بين تلك التي تستمر في إعطاء شكل لرغباتها عبر القرون وتلك التي تنجح فيها الرغبات في القضاء على المدينة، أو تقضي المدينة عليها.

يبدو أنَّ الضباب اليوم لم يقضِ فقط على الرغبات، ولكن على المدينة بأكملها. دخلنا معصوبي الأعين، وبمجرد عبورنا حزام المباني الحديثة المنفِّرة في الضواحي، أوقفنا سيارتنا بالقرب من البحر - نقطة مرجعية ناجعة - قررنا القيام بنزهة حول المركز. عاصمة إقليمية، ولكن بطبيعة قروية في مظهرها المضياف، وبهواء أندلسي مَحتُوم. تتميز تراباني بسهولة المشي، على الرغم من السماء الملبدة بالغيوم والرطوبة التي تنقع حاليًا أحجار الرصف.

عندما يرفع المتنزه بصره، فإنَّ المزيج الشائع جدًا في جميع مدن صقلية تقريبًا يؤدي إلى ارتباك مألوف بالفعل ولكنه رائع: كنيسة صغيرة على الطراز الباروكي يتبعها مبنى بسيط من السبعينيات، وبجانبه يوجد مدخل قصر من عصر النهضة، ثم مبنى مكتبي عادي، بينما توجد كنيسة أخرى تميل إلى القوطية، أو الكاتالونية، أو البلاتيرسك (طابع معماري إِسباني). على الرغم من هذا الحساء التاريخي، وبغضِّ النظر عن حقيقة أنه يتناغم مع ذوقنا الشخصي، أعتقد أنَّ المدينة جيدة: لقد لاحظت احترامًا دبلوماسيًا تقريبًا بين هذا التغيير العصري للثقافات، وسلاسة متناسقة للمنتج النهائي للأحجية.

توجهنا الصدفة إلى سوق الطعام، وهو دائمًا مأدبة لحواسي، لأنني قضيت فترات طويلة من طفولتي ألعب في سوق سبتة. كما أنني أربط تلك اللحظات السعيدة برائحة الفاكهة الدسمة، وبقايا الجليد المشبع بأحشاء السمك، وحتى بفيضان الخراطيم المستخدمة في تنظيف الأرضية في نهاية اليوم. أي سوق يبدو لي وكأنه سيرك من الذكريات القوية، حيرة رائعة وطوعية تثبت أنَّ تراباني ليست استثناءً: بمجرد أن وضعت قدمًا داخله، تمددت عيني وفتحات أنفي لامتصاص كل ما يحيط بي.

نشتري الزيتون والتونة المملحة المجففة - تقليد عريق في هذه المدينة - وقليل من الخبز من محل كتب على لافتته، "خبز، حب وفانتازيا".

أعلق "ما الذي نحتاجه أكثر لإبقائنا سعداء".

نتجنب جدارًا بحريًا مُهمَلًا – يملأه البول والقمامة - يؤدي إلى رصيف، حيث تجلس النوارس ثم تطير. الموقع منحط وحزين بالقدر نفسه. هل يذكرنا بمكان ما؟

قالت رو، "قادس. إنه يشبه إلى حد ما الميدان الجنوبي".

أضاف إيفان، "نعم، لكن هناك القليل من كونيل به أيضًا، ألا تظنين ذلك؟"

وجد ليوناردو سسياسيا أيضًا قرابة مماثلة في أعمامه الصقليين: ***"قادس كانت جميلة؛ كانت مثل تراباني، لكن بياض منازلها كان أكثر إشراقًا ..."،*** هل زار سسياسيا بلدتي من قبل؟ الفكرة نفسها تملأني بالحماس، على الرغم من أنني لست متعصبًا بشكل خاص تجاه قادس، لكن تجاه سسياسيا، نعم.

قبل مغادرة المدينة، مررنا بالنقطة المعروفة باسم لازاريتو، مستعمرة الجذام. ربما كانت في يوم من الأيام مركزًا لاعتقال المرضى، وهو ما يستحضر صورًا للجو القمعي الذي أعاد بوفالينو تشكليه في عمله الرائع "حكاية ناشري الطاعون".

رائحة البحر كثيفة وخارقة هنا، مليئة بالملح وجوهر الأعشاب البحرية. أحملق في المسافة أمامي، مع وهم بأنني أستطيع أن أرى جزر العقدي، أو حتى على نحو أكثر طموحًا، الساحل التونسي نفسه، الذي تنطلق نحوه الآن سفينة شحن. بشكل مخيب للآمال، قصر النظر أتاح لي فقط رؤية جزيرة صغيرة يمكننا الوصول إليها مشيًا، وفي أسوأ السيناريوهات، بالسباحة وبقليل من الجهد. أشعر بأننا بحاجة للسباحة، لأنَّ الحرارة بدأت بالانخفاض والمياه الزرقاء تناديني، لكن ليس هناك وقت لذلك: يجب أن نواصل طريقنا.

----

**بورخيس في صِقِلِّية**

**مع مرشدٍ أعمى**

**بقلم: أليخاندرو لوك**

**ترجمها: أندرو إدواردز**

**ترجمة للعربية: سماح جعفر**

يأخذنا طريق الجبال العالية إلى إريتشي، حيث يمكننا تَأَمُّل تراباني وشبه الجزيرة بأكملها. لا زالت المدينة تبدو وكأنها تذوب في الضباب الكثيف، لدرجة أنها توهمك بأنها معلقة في الهواء. كما هو الحال مع ميناء مسينا، وقطعة الأرض التي تدعمه والتي تبدو مثل منجل أو قرن واضح للغاية، وهو انطباع يصبح أقل وضوحًا على مستوى الأرض. بدأت أشعر بدوار السيارة بسبب كثرة المنحنيات الجبلية، لكننا وصلنا أخيرًا. تركنا يوريكا في موقف للسيارات وتنفسنا بعمق هواء الريف النقي المنعش، تجولنا لفترة بين الشوارع الخالية عمليًا.

عندما اعتاد البحارة القدامى الوصول إلى الساحل الصقلي، قالوا إنَّ أول ما ميزوه هو هذه القمة؛ عبر مراقبة ما إذا كانت واضحة أم محجوبة بواسطة السحب، يتمكنون من معرفة موقعهم خلال الرحلة. حصلت إريتشي على اسمها من ابن فينوس، وكان بها معبد رائع مخصص لإلهة الخصوبة، حيث بنى النورمانديون قصر الحاكم. في تخطيط المدينة المتناهي يمكنك أن تجد آثارًا للوجود العربي، وفي الجدران المحيطة بها الحاجة القديمة للدفاع عن النفس، ليس فقط ضد الغزاة المعتادين، ولكن أيضًا ضد عدو غير مرئي يصعب تجنبه: الريح.

اليوم، الهواء منعش ولطيف، مفضل على أيام الكلب[[52]](#footnote-52) التي مررنا بها مؤخرًا. توجهنا نحو كنيسة من أواخر فترة الرومانسكي[[53]](#footnote-53)، مجاورة لبرج هائل دخلناه بسعر زهيد لا يتجاوز يورو واحد. كان إيفان وكا أول من صعد مباشرة إلى أعلى البرج عبر السلم الحلزوني الضيق. من أعلى برج الجرس نظرنا إلى بلدة الطين، صفوف الأسقف الصغيرة المتعرجة، البيوت الصغيرة التي تشبه الألعاب وكأنها تنتمي لمغارة الميلاد[[54]](#footnote-54). قرأت فيست: "المدينة مبنية من الحجر الرملي المسامي والصخور المجزأة، كلها بنفس اللون الرمادي الباهت، مما يعطيها مظهرًا قديمًا، بعيدًا عن أي مخاوف زمنية". على ما يبدو، هذا الجانب الخالد خارجي فقط. عاد إيفان وكا بخيبة أمل من الكنيسة حيث تم ترميم الجزء الداخلي في عام 1860، على ما يبدو بقليل من الأسلوب أو الذوق.

أكدا لنا، "خمسون سنتًا للفرد، على الأقل لم يطلبوا منا ارتداء العباءات الورقية على أكتافنا. حتى الفتاة التي تدمغ أكفنا مقابل رسوم الدخول كانت تملك وشومًا على أذرعها: أكثر حداثة من بائعي التذاكر الأشرار في العاصمة".

نرتاح في متنزه قريب ونخرج الخبز وعلب الطعام، التي تحفز نكهتها أصدقاءنا على ارتجال مشهد وهمي مضحك من الاعتراف:

"أبتي، عليَّ أن أعترف بأكل التونة المملحة المجففة وبطارخ التونة في سوق تراباني".

"أوه، طفلي، هناك الكثير من الغفلة في العالم! ألا تعلم أنّ تونة تراباني تأتي من الشيطان؟"

"لم أكن أعلم يا أبتي، أقسم".

"حرر نفسك منها فورًا، وإلا سيحترق حنكك وحنجرتك في نيران الجحيم، ولن ينقذك سوى الماء المقدس لكافاغراندي، وليس الماء العادي ..."

أخذنا نزهة لهضم الطعام قبل أن نقول وداعًا لإريتشي، ووقفتُ أمام ملصق يعلن عن مركز إيتوري مايورانا الثقافي. المبنى مغلق، لكن شكرًا مرة أخرى لسسياسيا أعرف من حصل على هذا الشرف. سوف يفاجأ الكثيرون بمعرفة أن صِقِلِّية لم تقدم فقط الكتاب، الأساطير، الطغاة والمحققين للعالم: بل كانت أيضًا مسقط رأس عالم فيزيائي مذهل، عالم اختفى دون أن يترك أثرًا، مما أدى لظهور كل التكهنات. والأكثر واقعية من بينها أنه من الممكن أن يكون أول من اكتشف السر المنشود للقنبلة الذرية، وقبل أن يدعي هذا الشرف المشكوك فيه، وينتقل إلى التاريخ باعتباره رائد الدمار الشامل، فضل التخلي عن حساباته واللجوء إلى دير مغلق. يدفعني ذلك إلى التفكير في رفض هذا الرجل المتعلم أن تتم الإشادة به باعتباره دكتور مورو جديد[[55]](#footnote-55). عند القيام بذلك، كان يعلم بالفعل أن الآخرين سيصلون عاجلًا أم آجلًا إلى النتائج نفسها. كانت القوى العالمية قد أطلقت سباقًا يائسًا، ولم تدخر أي موارد في السعي لتحقيق الهدف النهائي، لكنها لم تكن منفتحة على التعاون. لم يكن درس مايورانا العظيم، الأخير، ذا طبيعة علمية، بل أخلاقية.

لا يمكننا مغادرة هذه المقاطعة دون زيارة المسطحات الملحية الشهيرة، التي تعد أساس اقتصادها منذ زمن بعيد. كيف نصل إلى هناك؟ نسأل بعض السكان المحليين ويوضحون لنا الطريق بأفضل وأجمل طريقة ممكنة: من خلال ركوب سيارتهم والقول ببساطة، "اتبعونا". نتقدم لبعض الوقت ثم نواجه مساحة من مصبات الأنهار والبحيرات وطواحين الهواء. تستدير سيارتنا الإرشادية وتودعنا، دون مزيد من الضجّة. لا يمكن للمرء أن يطلب كرمًا أكثر.

بالنسبة للكثيرين، تعتبر المسطحات الملحية الشاسعة مكانًا جذابًا ومريحًا بشكل غير قابل للجدل. بالنسبة لي، شكرًا مرة أخرى لسساسيا وعمله، "ملح في الجرح"، الذي يعتبر شهادة لأجيال عديدة من الصقليين الذين عملوا في ظروف صعبة للغاية. "عندما يتقاعد عمال مناجم الملح، مع معاشاتهم التقاعدية البالغة خمسة آلاف ليرة في الشهر، فإنهم يقضون أيامهم في الشمس، معتقدين أنها ستجفف كل الرطوبة من عظامهم. لكن كل ليلة يبدأ ألم العظام مرة أخرى".

لقد كُتب الكثير عن الاعتماد الاقتصادي للجزيرة على ثمرتين أساسيتين هما الأرض والبحر: الملح والكبريت، ناهيك عن تأثيرهما الروحي. كلاهما كاشط، قاتل، مطهر، مشحون بقوة رمزية، استعارة أخرى للقرب الوثيق الذي بين الحياة والموت هنا. أصيب موباسان، الذي زار مناجم الكبريت، بالصدمة من مشهد الأطفال الذين يعملون في حفرة. يبلغون من العمر عشرة أو اثني عشر عامًا، ويصعدون وينزلون هذه الدرجات خمس عشرة مرة في اليوم، ويتلقون نحاسًا لكل رحلة هبوط. كانوا صغارًا وهزيلين وصُفرًا بعيون ضخمة ومشرقة ... وفي الوقت نفسه الذي جعلتهم هذه المنبثقات يتساقطون مثل الذباب، فقد أعطت مئات العائلات لقمة العيش.

يمكن قول الشيء نفسه عن المسطحات الملحية المنتشرة وطواحين الهواء الخلابة التي توظف اليوم كعناصر زخرفية. قال غيسوالدو بوفالينو: "أينما نظر المرء، يصبح الملح في صِقِلِّية قوة وشرطًا ومصيرًا". أمام هذه الجبال المتلألئة، الأسراب المشكلة بدقة، لا يسع المرء إلا أن يستسلم لشعور غريب من النفور، والشعور بالإعياء، ولو لم يكن هناك الكثير من الملح، فيمكنني فقط تصنيفها على أنها مرارة.

مارسالا هي مدينة يمكنك تجاوزها بسهولة في أي جولة حول الجزيرة. ومع ذلك، تعين على رو التحقق من بعض درجات الامتحان عبر البريد الإلكتروني، لذلك توجهنا إلى وسط المدينة بحثًا عن مقهى إنترنت. شاهدت السكان المحليين الذين يتحركون في الشوارع بينما أتناول كأسًا من النبيذ الغنيّ الذي سمي على اسم المنطقة المحلية، على غرار أولوروسو الحلو، الذي كان تجار النبيذ الإنجليز هم السبب في شهرته العالمية. كما درستُ رسمة معبرة عن هبوط غاريبالدي على هذه الأرض في عام 1860، مع كل جنوده - الألف المشهورين - وخيولهم وأولئك النساء اللواتي بدين وكأنهن هاربات من لوحة كروز هيريرا. أكثر حيوية، بالتأكيد، من الهبوط الآخر، الذي لم يكن بعيدًا في فترته الزمنية، لمشاة البحرية الأمريكية على هذا الشاطئ نفسه. تقودني هذه الأفكار المترابطة إلى إيجاد تشابه معين بين مارسالا وروتا. لكن فينيقيًا مثلي ليس لديه خيار سوى الشعور وكأنه في وطنه في ما كان جيبًا حيويًا للمملكة، على الرغم من أن المدينة الحديثة هي صدى بعيد للروعة المفقودة.

وصلنا إلى مارينيلا بعد ساعة، وهي قرية ساحلية أخرى يصعب العثور عليها، على مرمى حجر من سيلينوس، التي سنقضي الليل على شاطئها. مهما كانت الصعوبات التي تحيق بنا، تواصل صِقِلِّية تعويضنا بأجمل المناظر: الصيف ينشر روائحه الحارة النفاذة، والشوارع هادئة، والمياه هادئة مثل البحيرة. مارينيلا شاعرية ولن نكون من يكسر التعويذة. كان بورخيس قد ألمح لهذا بالفعل، حقيقة أن الجمال، مثل السعادة، أمر مألوف، وأنه لا يوم واحد يمر دون أن يتجلى أمامنا. علينا فقط أن نفتح أعيننا لنراه.

أحدق في القمر الغنيّ اللذيذ، الأكثر بياضًا من الأبيض، يطلي البحر بالفضة. أكلنا شطائرنا على رصيف المراكب الصغيرة حيث يقوم السكان المحليون الهادئون بإِلقاء قضبان صيدهم. بعد ذلك مددنا أكياس نومنا في منتصف دائرة صخرية فوق رمال دافئة وناعمة على شاطئ الجنة المطلق.

**مارينيلا، سيلينوس**

تبقت ساعة حتى حلول الفجر. لو كنت بيبي كاباييرو بونالد، كنت سأكتب بالتأكيد أنني اعتقدت أنني رأيته، لكنني لست متأكدًا ما إذا فعلت، ربما كنت متأكدًا، ولكن ربما كان هناك تشويه للحواس، يستحضر تصورًا خاطئًا للواقع، يسمح لي بالتجول في متاهات الذاكرة الملتبسة، واحدة من تلك التجارب الخيالية الشبيهة بالحلم التي يثيرها من يعرف ما هو محفز العقل الباطن ... جيدًا، يؤدي هذا إلى واحدة من تلك الدوائر اللامتناهية التي تنتهي حتمًا باحتجاجات القراء: لاحظ، نعم، لقد رأيته، كان ذلك أفضل بكثير، اكتب عنه. وإن لم يكن، فكفانا ترَّهات، اخترعه، فأنت لست كاتبًا لأجل لا شيء.

رأيته. سمعنا أولًا نباحًا أيقظنا. ضجيج متناثر اقترب أكثر في المياه الهادئة، لا زال مضاءً جيدًا بأشعة القمر المحتضرة. وأخيرًا، شكل كلب مظللٍ أمام الضوء، يلهث على بعد أمتار قليلة من معسكرنا. كلب أسود مثل فأل شرير، حضوره غير ودي بشكل واضح، يقف بلا حراك أمامنا، يبدو كشيطان من البحر، أسنانه مكشوفة، شرسة وصفراء، وعيونه تلمع مثل الدولار الفضي، كما يقولون في روايات مارسيال لافوينتي إستيفانيا.

احتضنتني رو وهي مرتعبة. طلبت منها التزام الهدوء، وقبل كل شيء عدم القيام بأي حركات مفاجئة. ابتعد الحيوان بعد دراستنا بعناية. ثم رأينا القوارب المنارة بالفوانيس، والبحارة يصرخون للكلاب الأخرى. نسمعهم يتجولون في جميع أنحاء الشاطئ، ويفركون أقدامهم بين الصخور. على الرغم من الخوف حتى الموت من هجوم من مجموعة من كلاب الجحيم، فإنَّ الصورة جميلة.

نتعافى من الخوف مع طلوع الفجر. استيقظ الآخران بالفعل وشرعا بتنظيف المخيم. يبدو أنَّ يوريكا قد نامت جيدًا وتبدو جاهزة ليوم جديد. مع ذكرى فقدان الكلب الشيطاني القوة، يسعدني التفكير في البحر، الذي اتخذ لونًا جميلًا بشكل خاص مع شروق الشمس. بالنسبة لسكان قادس، باستثناء الحلقة الغريبة والقاسية - التي تلاشت الآن - من تاريخها، فإنَّ البحر هو مصدر للبشرى، وينبوع للثروات، ورمز للنور والنعمة والسعادة. ومع ذلك، فقد قرأت أنَّ الصقليين أرادوا دائمًا العيش عكس اتجاه البحر، والنظر نحو الداخل، وبالتالي إنكار حقيقة أنهم يعيشون على جزيرة، وهي جزيرة حيث تجلب الأمواجُ اللامعةُ في الأقوال والأغاني الشعبية مخاوفَ لا توصف. يقول المثل الشعبي "البحر مُرّ". ويصرّ آخر: "غنوا للبحر، لكن تشبثوا بالحبال". "من يستطيع أن يذهب برًا لا يجب أن يذهب بحرًا". شهد الطريق البحري وصول البربر والنورمان واللومبارديين والكتالونيين وجيوش شارل الخامس ولويس الرابع عشر وبييمونتي والنمساويين وأنصار غاريبالدي والقراصنة الجزائريين وحتى قوات باتون ومونتغمري. لم يأتِ أحد بأبواق السلام، بل بطبول الفتنة والنهب. وحين لم يكن الأمر متعلقًا بالسلاح، كان متعلقًا بالمرض أو فرض ضرائب لا تقل فتكًا. لا بد أنَّ هذه الاعتداءات كلها قد ألهمت قصة الأطفال لدينو بوزاتي، "غزو ​​الدببة الشهير لجزيرة صِقِلِّية[[56]](#footnote-56)"، والتي نفذ رسوماتها المؤلف نفسه. لكن لا شك في أنَّ الغزاة في هذا الكتاب كانوا من ألطف الغزاة الذين مروا على صِقِلِّية قط.

يعني الاستيقاظ المبكر أننا وصلنا إلى الأنقاض في سيلينوس قبل أن يفتحوا مكتب التذاكر. نستعد لزيارة أحد أهم المراكز الأثرية في البحر الأبيض المتوسط بأكمله، ديزني لاند الهيلينيون. نقتل الوقت من خلال النظر إلى النموذج الهائل المعروض داخل صندوق زجاجي عند المدخل، لكنه بالكاد يعطينا فكرة عن الأبعاد الهائلة للمكان. عندما حصلنا أخيرًا على تذاكر الدخول الأربعة، لاحظنا تفاصيل مثيرة للاهتمام. جميع التذاكر المباعة التي تتيح الوصول إلى المعالم التاريخية / الفنية للجزيرة لها الصورة نفسها، لكنها هذه المرة تتزامن مع هدف زيارتنا: أكروبوليس سيلينوس.

رأينا مساحة شاسعة من الأراضي العشبية بمجرد دخولنا، كانت معزولة عن أي مكان آخر ببعض التلال الاصطناعية. في الأمام البحر، بحر أزرق غامق، بحر نبيذ مظلم ينثر بصيصًا من الضوء مع شروق الشمس في السماء.

قرأت في كتاب "كاروسيل صِقِلِّية": "انطباعك الأول هو شعور كبير بالوحدة والكآبة". قيل إنَّ العديد من المسافرين جاءوا إلى هنا بحثًا عن النفحة الشعرية للماضي وكل ما عثروا عليه هو علم الآثار البسيط والسهل. ربما تمر رؤية الانحطاط عبر الروح الرومانسية وتخلق روابط محبطة للأفكار، لكن بالنسبة لنا، هذا الصباح، المكان معجزة من الضوء ونسائم البحر. لمثل هذه المناظر الطبيعية، كان أسلافنا في فئة خاصة بهم. "كان اليونانيون القدماء متذوقي مناظر طبيعية!" نتفق مع دوريل، لقد عرفوا ما كانوا يفعلونه عندما وضعوا علمهم هنا.

بخطوات قليلة إلى اليمين، وصلنا إلى المعابد إي و أف و جي. لم تكن معرفة في البداية بالأحرف الأبجدية، ومع ذلك: من العدل أن نخمن أنَّ علماء الآثار لم يعرفوا الآلهة التي تم تكريس المعابد لأجلها، لذلك أعطوها هذه الأحرف التي لا تزال قائمة حتى اليوم. استمتع بورخيس بهذه الحقيقة أيضًا. يتذكر سيانا: "لقد انبهر عندما قلنا له إننا لا نعرف الآلهة التي كرست لأجلها هذه المعابد، وإننا خصصنا لكل منها حرفًا أبجديًا. لا شيء يبدو أكثر ملاءمة بالنسبة له من حروف مارينيلا الأبجدية. "المعبد كي لكونراد، على سبيل المثال. أليس من المناسب تكريس معبد لكونراد؟" يقترحون عليه معبدًا مخصصًا لبورخيس. "الأفضل لو خصص لباستر كيتون".

أفضلها، أو على الأقل الأفضل ترميمًا، هو بلا شك إي. نلتف حوله، ونمر بأعمدة الدوريك ونمشي على طول الأرضية المستطيلة مع شعور قوي بالرفاهية. ومع ذلك، يشك إيفان في عملية إعادة الترميم:

"اعتقدت أنه عندما وصل الخبراء، حوالي عام 1960، لم يكن هناك حجر واحد باقٍ. أراهن أنهم استخدموا بضع مجارف من الخرسانة".

المعبد إف، على الرغم من أنه سُوي بالأرض، دعنا نقل إنه دمر تمامًا، إلا أنه أكثر إثارة للإعجاب. الأعمدة ضخمة جدًا لدرجة أننا نعتقد أنهم لم يتمكنوا من العثور على رافعات قوية بما يكفي لنصبها مرة أخرى. أهل سيجيستا، الذين يحسدون بلا شك جمال سيلينوس، وفقًا للأسطورة، تحالفوا مع قرطاج، وتبع ذلك حصار دمر هذه المستوطنة وأدى إلى مذبحة. بدون شك، كانت الزلازل المخيفة قد اجتاحت المنطقة أيضًا. مع الأعداد الكبيرة التي قُتلت في غضون مائتي عام تقريبًا، سقطت سيلينوس نفسها في حالة سيئة.

أرى الفتيات يصورن بعضهن البعض بين الأنقاض، شخصيات صغيرة ضَئِيلة بين القطع الضخمة المهدمة. إنهنَّ يذكرنني بصورة اسبلاند في بايستوم أكروبوليس، حيث يبدو مثل غوليفر في أرض العمالقة. يحب المسافرون عمومًا الأحجام غير المتناسبة، فهي من الأشياء المفضلة التي يجب التحدث عنها في المنزل: الأهرامات والمعابد والمسلات، الجميلة أو غير ذلك، ولكن قبل كل شيء كبيرة. تنقل إحساسًا بقوة مذهلة، وكما لو أنَّ القوة ليست كافية، فإنَّ تصويرها الذكي مذهل.

لقد وجدت أيضًا بعض الانطباعات التي دونها ألبرت سبير، كبير المهندسين المعماريين لهتلر، خلال زيارته إلى صِقِلِّية في مارس 1939: "عندما كنت أفكر في معابد سيلينوس وأغريجنتو، تمكنت من التأكد برضا عميقٍ، أنه حتى القدماء لم ينجوا من جنون العظمة. كان واضحًا كيف وضع اليونانيون الاستعماريون جانبًا مبدأ الاعتدال الذي أشادوا به في وطنهم". لاحقًا، أرادت العمارة النازية - التي رأيت آثارها العرضية، على سبيل المثال، على طول رصيف ميناء ميسينا - محاكاة هذا الشعور بالروعة. بصراحة، بصرف النظر عن رعب الاشتراكية القومية كنظام سياسي، أعتقد أنهم غالبًا ما يبنون بشكل جيد.

بدأ بعض السواح في الوصول. تُرِكنا لنعتمد على مهاراتنا الخاصة، نتسلق بقايا الألفية؛ يبحث الآخرون عن مناظر جيدة لكاميراتهم، بينما أذهب للبحث عن أول صورة لبورخيس في الأكروبوليس. يجلس المايسترو على هيكل يبدو أنه رباعي الأضلاع من الحجر، ويبدو أنه منزل فقد جدرانه، والتهمتها الطبيعة بعد ذلك، ولكن ليس بما يكفي لإخفاء شكل مخطط الأرضية الأصلي. نظرت حولي ولم أرَ أي شيء يناسب الملصق.

تقول رو، "البحر في الخلفية. لا بد أنه هنا"، مشيرة إلى المسافة، حيث نرى كومة أخرى من الحجارة التي لا شكل لها وبعض الأعمدة المستقيمة.

نسير في ذلك الاتجاه، نعبر رقعة وعرة من العليق والشجيرات. يتوقف إيفان لقطف التوت، وبدون أدنى خوف من التسمم يبدأ في مضغه على عجل. الحقيقة هي أنني لا أستطيع أن أتخيل بورخيس وماريا كوداما حتى خصورهما في هذه الغابة المصغرة. "يا إلهي يا ماريا، لديهم عطر يذكرني بمذاق الليتشي!" ذكر سيانا أنَّ المايسترو قال ذلك. ثم رأيت قطارًا صغيرًا ينقل السياح من جزء من المقبرة إلى الأخر، وكذلك بعض العربات الصغيرة، مثل تلك المستخدمة في ملاعب الغولف.

على أي حال، كان بورخيس متعبًا عندما وصل إلى هذه النقطة، حيث تنتشر أنقاض المعابد الستة. يشير تعبير وجهه، والطريقة التي يرتاح بها جسده ويداه على العصا، إلى أنه كان بحاجة إلى استراحة. أنظر على الفور إلى نمط الحجارة الذي لا لبس فيه، وأستخدم شكلها وتكوين الشقوق كدليل لمعرفة النقطة الدقيقة التي وضع فيها الأرجنتيني مؤخرته المرموقة. ليس هناك شك، حتى أعمدة التلغراف لا تزال في مكانها. يظهر بورخيس وشعره أشعث بعض الشيء، ربما بسبب نسيم مشابه للذي يلفنا هذا الصباح، أو لأنه مرر يده عبر شعره، ليشعثه عن غير قصد. يبدو البحر واسعًا جدًا في الصورة، ذلك يرجع جزئيًا إلى ميل الأرض، ولكن أيضًا إلى مهارة المصور، الذي تمكن من الحصول على نتيجة جذابة للغاية.

يسأل سيانا نفسه عما وجده بورخيس في صِقِلِّية. يقدم الأرجنتيني إجابة: "هذه الجزيرة لها أهمية غير عادية بالنسبة لي. هنا، أمام هذه الحجارة، هذا البحر، الذي هو ذاته وليس هو ذاته، كان على الإنسان أن يتخلى عن عالم المشاعر البسيطة، من أجل البدء في بناء نظام للتحقيق".

تطلعت نحو البحر، خلف الأسوار السلكية البورخسية التي تشكل إسَاءَة للريف ... سمعت أنَّ هذا المكان لم يكن محروسًا جيدًا في الماضي كما هو الحال الآن، مما مكنّ الرحالة من قضاء الليل تحت النجوم في مثل هذا المكان الهائل. لو لم يتبقَّ لدينا القليل من الوقت، لأقترحت أن نجازف ونخيم هنا.

لدي شعور بأنني على نفس الحجر مثل بورخيس. الجو حار جدًا، والطيور تغني، والأمواج تتنهد في الأسفل، تلعق رمال الشاطئ المهجور، الذي يدعوك للسباحة. عدت إلى الوراء لأنظر إلى الأمام مباشرة، حيث ينظر إليّ إيفان بحدة، كما لو كان يتوقع مني البدء بإلقاء الشعر الأنجلو ساكسوني في أي لحظة.

سألني، "حسنًا، ماذا ترى؟"

"إذا انتقلت إلى جانب، سيصبح لدينا الصورة التالية في السلسلة".

هذه المرة لابد أنها مصادفة، ألا نتفق على عدم وجود الصدف؟ بالتأكيد، على الرغم من ذلك، لقد درست الكتاب الأحمر الصغير بما يكفي لتذكر الصورة فجأة وتحديد المكان على الفور.

يبتعد بورخيس عن الكاميرا، ويخفي شعره الرمادي المستقيم الحلاقة الوقورة. أمامه سيلينوس، 1984 بقايا أثرية مكدسة بطريقة عشوائية. وفي الخلفية، لا زال صف الأعمدة المستقيمة يدعم ما تبقى من العاصمة. ربما يكون سيانا قد وقف خلف ظهر المايسترو لأخذ اللقطة، دون الحاجة إلى إزعاجه، وتركه يجلس بهدوء على حجره. يجب أن يبذل المصور جهدًا كبيرًا في التركيز، حيث أنَّ الكاميرا المدمجة الخاصة بي لا تكاد تلائم المجموعة بأكملها. ولكن في ما يتعلق بالموضع، ليس لدي شكوك: العمود المكسور يقف في وسط الصورة، التي تُظهر شرخًا قطريًا، لا تزال موجودة بعد عشرين عامًا تقريبًا، بالمَيَلاَن نفسه تمامًا.

بغضِّ النظر عن شغفي البورخيسي، تبدو اللقطة جذابة للغاية وشاعرية للغاية: الرجل المسن، الذي يشعر بقرب الموت، يتفحص بقايا حضارة قديمة. لا تزال العمارة المدمرة تهمس بروعة أهلها. هناك شيء واحد مفقود، أي أثر لما ستكون عليه الحياة هنا في هذا المشهد المدمر الآن الذي يقع في مكان جذاب بالقرب من مياه البحر الأبيض المتوسط، حيث أراد زوجان من العيون الجامدة التحديق في الانحدار نفسه، كما لو كان في مرآة .

يروي سيانا قصته مرة أخرى. المايسترو متعب، لكنه لم يفقد روح الدعابة: "يا لها من مفاجأة لهذه الأنقاض، أن تزورها أنقاض قديمة آخرى!"

ثم أتذكر بعض الكلمات التي كرسها بورخيس لمعبد بوسيدون اليوناني:

***لا يوجد شيء في العالم غير غامض، لكن الغموض يتجلى في أشياء معينة أكثر من أشياء أخرى: في البحر، في عيون الكبار، في اللون الأصفر وفي الموسيقى.***

استدرت مرة أخرى نحو الشاطئ، نحو البحر الذي لا يقهر، منبهرًا تمامًا بالشمس الجنوبية القوية. ظللت عالقًا هكذا، مندهشًا، لوقت طويل. حتى وضع إيفان يده على كتفي وقال:

"ما بال الابتسامة الحمقاء؟ تعال، نفكر في الذهاب".

قلت له بحدة: "لا تفكر في الأمر. هناك صورة واحدة في السلسلة متبقية للعثور عليها".

أري الآخرين هذه الصورة الرائعة لبورخيس، التي التقطت برفق قبالة الضوء، مع الأغصان الملتوية لشجرة خلفه وهي تحيط بالسماء - تكوين مجازي آخر إلى حد ما، كما لو كان رأسه هو البقعة التي تنبت فيها هذه التشعبات الخيالية المتفرعة. لا تمتد معرفتنا الضعيفة بعلم النبات إلى تحديد أنواع الأشجار. نحن أيضًا غير مدركين لنوع الأشجار أو الشجيرات التي تتسلل إلى الجزء السفلي من الصورة. أنا متأكد من أنَّ الصورة قد تم استخدامها كغلاف لكتاب آخر، على الرغم من أنني لا أتذكر أيًا منها.

"هل أنت مجنون"، تقول كا بشكل قاطع. التقط سيانا هذه الصورة قبل عقدين. فرص عدم قطع الشجرة أو موتها ضئيلة للغاية.

تشير رو، "ربما تم التقاط الصورة في الخريف، بمجرد سقوط الأوراق. إذا كان الأمر كذلك، فسيكون من المستحيل التعرف عليها الآن على نحو مضاعف". ومع ذلك، فعمَّاي أكثر عنادًا من عمى بورخيس وهومر وميلتون مجتمعين، وبالتالي أجد نفسي أستكشف المكان بأكمله، من الأكروبوليس إلى ما تبقى من معبد مالوفوروس، ومن هناك مرة أخرى فوق المعابد إي و إف و جي، دون أي نجاح. أنا مثل طفل غاضب بسبب نزوة لا يمكن إشباعها، أو لص غبي جدًا نسي المكان الذي أخفى فيه المسروقات.

أخيرًا صادفت عينة تذكرني بالصورة. إنها شجرة صغيرة بفروع هيكلية أحرقتها الشمس. العقد التي تظهر على شجرة بورخيس لا يمكن رؤيتها في أي مكان. إلى جانب ذلك، يوجد نوع من الأكواخ في الخلفية غير موجود تمامًا في صورة سيانا.

قال إيفان محتجًا، "اسمع، حتى في أكثر أحلامك جموحًا فإنها ليست الشجرة التي تبحث عنها. لا تشبهها حتى!"

ومع ذلك، عندما رأى أنني سعيد مع الشجرة البديلة من عام 1984، طبطب على كتفي بطريقة متفهمة وتوجه نحو المخرج.

يقول الكتاب الأحمر الصغير إنه يجب أن نتوجه إلى باليرمو، لكنها ستكون خطوة في الاتجاه الخاطئ: نحن نعلم أنَّ أدونيس الشهير قد تم نقله من العاصمة إلى بلدة كاستلفترانو القريبة. يجب أن نوجه يوريكا نحو هذا الاتجاه.

نعبر مناظرَ طبيعية من الحقول المزروعة، نصل إلى المكان المعني، مستوطنة أخرى من الطين، تتقاطع مع الأزقة والتبييض، كما كنا نخشى، والحرارة الخانقة. في العصر اليوناني، كانت تشبه مستودعًا خاصًا بسكان سيلينوس. أعطى فريدريك الثاني مقاليد الحكم لعائلة تاغليافيا، ونقلوها إلى أيدي بيناتيلي أراغونا، الذين بنوا بعض المعالم الجديرة بالاهتمام في البلدة. وكما هو الحال مع أي مدينة صِقِلِّية جيدة، توجد ساحة مركزية، تحمل اسم غاريبالدي مثل العديد من المدن الأخرى. على مقربة شديدة يوجد مدخل متحف سيفيكو: الوحيد في كاستيلفيترانو والمنطقة المحيطة على حد علمنا. تُظهر لقطة سيانا صورة ظلية خارج بؤرة التركيز في المقدمة إلى حد كبير، بينما يمر بورخيس ويولي التمثال اهتمامًا قليلًا. ومع ذلك، إذا دمجنا المسافات المعنية، فإنه يسمح لنفسه أيضًا بأن تلمسه أيدي أدونيس.

نظرًا لأنَّ متحف المدنية متحف صغير، مكون من غرفة واحدة تقريبًا، نجد على الفور الغرض المَرجُوّ. في الواقع، إنه جوهرة المجموعة، ومقيمٌ للغاية لدى السكان المحليين، الذين أطلقوا عليه اسم Il Pupa، أو الدمية. إنه من البرونز اليوناني، أصله من سيلينوس، صنع عام 460 قبل الميلاد. أي اعتراضات إيفان؟ تبدو العيون كبيرة بشكل غير متناسب، لكن الجسد نحيف ومُرهَف، ويمكن للمرء أن يقول إنه انتهى بالحب، على الرغم من أنَّ الفتيات يعتقدن أنَّ المؤخرة أكبر مما قد يوحي به النموذج المثالي. اختبرت حواسي وكانت النتائج سيئة للغاية: الغرفة لا تنبعث منها رائحة، ولا يمكننا لمس أي شيء، إذا كنا صامتين، فإنَّ الصوت الوحيد المسموع هو أزيز مكيف الهواء.

لقد تغيرت الأمور منذ التقاط صورة بورخيس. لقد وضعوا الآن علبة زجاجية لحماية التمثال، مما يجعل من المستحيل التقاط صورة في الظروف نفسها. كما أنه محاطٌ بخزائن عرض مليئة بالأشياء الأخرى الأقل قيمة: المصابيح الرومانية، والسيراميك اليوناني، والأمفورا البونية، والعملات المعدنية البالية من مختلف الأصول والحقب. بعد ذلك، تسلت الفتيات كثيرًا بالعثور على مجموعة من المشغولات المثيرة المشغولة في الحجر، أو على الأقل هذا تفسيرهن الفرويدي.

ليس لدينا وقت للمجون الأثري؛ أنجزت المهمة، فلنبدأ رحلة السفاري.

**إيراكليا مينوا، أغريجنتو، سان ليون**

ظللت نائمًا لفترة طويلة، ثم فتحت عيني قليلًا للتحديق في المعالم حتى لا أفتقد الريف الجاف المتموج على جانبي الطريق، "الخصوبة المهجورة" التي رآها غوته في حقول القمح الصِقِلِّية.

يجب أن أقول إنَّ الحرارة خانقة ويمكن أن تسبب الهلوسة لولا حقيقة أنني مرهق ومَنهُوك. توقفنا عند شاطئ إيراكليا مينوا الشهير، الذي سمي على اسم مينوس، ملك كريت، الذي لاحق ديدالوس هنا. ولكن، مرة أخرى، لا تشبه المناظر الطبيعية إلى حد كبير نداء الميثولوجيا الواضح بقدر ما تشبه اليونان الريفية، الضوء البسيط الذي غمر فيرجيل.

يمتد الخط الساحلي باتجاه غابة الصنوبر، ويبدو الماء صافيًا بشكل معقول. إنه لأمرٌ مخز ٍ ظهور قنديل البحر مرة أخرى خلال السطح الشفاف. الآن نفهم لماذا الغُرغونة[[57]](#footnote-57) رمز صِقِلِّية، على الرغم من أنهم يقولون إنَّ الحل لجميع العلل يكمن في نظرتها.

تمتمت كا، "لدي ثقة أكبر في الأمونيا"، ومسحت مرهمها على الندبة التي لا تزال ظاهرة بسبب اللدغة.

إذا لم يكن قنديل البحر كافيًا، تحلق الدبابير فوقنا في حشود مزدحمة وأسراب بين الأشجار. تناولنا غداءً غير مريح وغير ممتع، تَشَمَّسنا لبعض الوقت ثم عدنا إلى الطريق متجهين إلى أغريجنتو.

***رياح***

***تلطخ وتقضم الحجر الرملي والقلب***

***من التيلامونات الحزينة***

***المقطوعة على العشب ...***

هكذا قال كوازيمودو عن هذا الطريق الذي يقودنا إلى ما كان في السابق جيرجينتي، الموطن اليوناني السابق لإمبيدوكليس، القرطاجيين، ثم الرومان، البيزنطيين، والآن، وفقًا لما يمكن أن نراه من الطريق، فقد صارت ضخمة، غير متناسبة وملوثة.

في موقف سيارات خارجي، أُخذ منا الغوريلا الأكثر قذارة في البحر الأبيض المتوسط - بذيل حصان مجعد، تي شيرت مقطوع وبطن مكشوف، بسروال سباحة بتصميم نجوم وخطوط وطنية، وحذاء وجوارب مشي لمسافات طويلة - اثنين يورو للاعتناء بيوريكا. وعلينا أن ندفع اثنين آخرين للدخول إلى وادي المعابد القريب.

تتنهد كا، "هذه الأنقاض ستكون خرابنا".

تعد المجموعة الرائعة التي يتكون منها وادي المعابد بمثابة نقطة لقاء لأكروبوليس سيلينوس الذي يبدو أنه يندمج جيدًا في المناظر الطبيعية، لدرجة أنه من الصعب التمييز بين عمل الإنسان وعمل الطبيعة. في أغريجنتو، على العكس من ذلك، تبدو الإنشاءات اليونانية وكأنها تتم متابعتها من قبل المدينة الحديثة. يبدو الأمر كما لو أنَّ جيشًا من الكتل السكنية من الخمسينيات كان على وشك السقوط على الحجارة القديمة في أي لحظة، وبالتالي يلتهمها. تواجه خمسة معابد دوريسية، سداسية الأعمِدة في الأصل، هذا الستار البغيض بدرجات اللون الأحمر الداكن لحجرها الجيري. بينما نسير في ما بينها، فإنَّ التدخلات الخارجية العدوانية - من الضباب الدخاني في المناطق الحضرية إلى ضوضاء المرور - تجعل من الصعب للغاية تخيل كيف كان هذا المكان، ليس فقط في زمن فيرجيل، ولكن حتى عندما أثار دهشة موباسان.

على أي حال، فإنَّ الأبعاد بَهِيجة وأسهل في الفهم، وأقل فَوقبَشَريّة من سيلينوس. لكن إيفان لا زال لا يثق في التصميم الرائع الذي أنشأه التَصنِيف:

وقال مستاءً جدًا، "تم الحفاظ على هذا المعبد لأنه كان كنيسة مسيحية ... ورممت مرة أخرى بواسطة الرومان ... أعيد بناء اثنين في القرن العشرين ... أما بالنسبة لمعبد زيوس، الذي كان نظريًا يحتوي على أعمدة يبلغ طولها حوالي 20 مترًا، فلا يبدو أنَّ هناك حجرًا واحدًا سليمًا قد بقي منه الآن ..."

أقول، "أعتقد أنَّ ما يقدمونه لنا هنا هو إعادة بناء تقريبية، ما لم أفهمه هو سبب عدم قيامهم بشرح ذلك بأمانة للجمهور. يبدو أنَّ علماء الآثار يخشون أن يشعر الزوار بالخيانة إذا اكتشفوا أنَّ العمود لم يكن في هذا المكان بالضبط، ولكنه كان هناك. الشيء اليوناني الحقيقي الوحيد هنا هو صندلي ... وقد اشتريته من المغرب!"

ربما سيفرح إيفان عندما يعرف أنَّ لامبيدوزا في إحدى قصصه ذهب أبعد من ذلك بكثير؛ شحذ ذكاءه الساخر الذي يضرب به المثل، وأكد لنا أنَّ جميع المعابد اليونانية في الجزيرة مستعملة، وليتوج كل ذلك، "حديثة جدًا".

الحَتمِيّ هو التأثير السينوغرافي القوي للوادي. ليس من المعابد كهياكل فردية، ولكن للمجموعة ككل. عندما تغمض عينيك قليلًا، يمكنك للحظة أن تكون أمام إحدى ساحات الأوبرا العملاقة تلك، المرسومة يدويًا بتفاصيل دقيقة، من النوع الذي نادرًا ما يصنعونه هذه الأيام. سواء كانت حقيقية أم متوهمة، فإنَّ الأمرين يعيدان خلق الماضي بطريقة مذهلة، ويثيران المشاعر الحقيقية مهما كانت مساهمتنا قليلة. قال يوجين فيوليه لو دوك بحماس في رسالة إلى والده: "إنها تجعل الخيال يسافر، وتضرب الحواس ضربة بين العينين. لقد فهمت العمارة القديمة من خلال التواجد هناك، كما فهمت الشعر من خلال قراءة هوميروس".

من أجل تهدئة غيظ إيفان، وضعت حدًا لسلسلة الاقتباسات من خلال إعطائه أخيرًا دفعة أخرى من أبيات كواسيمودو، مكرسة لمعبد زيوس:

***في صمت نتأمل هذا التلميح***

***من الاِفتِراء الساخر: بالنسبة لنا نحن النَهَارِيّين***

***يحترق القمر مُنَكَّسًا ويسقط***

***في النار العمودية. المستقبل هناك***

***هو أن تقرأ النظام الدوركي، ما الماضي؟***

يوافق صديقي، "حسنًا، أستسلم. لنعد إلى يوريكا والقرن الحادي والعشرين".

سئمت نظراتنا المتفرجة الأنقاض بالتأكيد. وملت من الدهشة. أمضينا أسبوعًا نتحرك حول هذا المنحدر بالكامل، دون وقت لمعالجة المعلومات تقريبًا. نعتقد أنَّ التنزه على مهل حول مناطق الجذب الرئيسية في صِقِلِّية سيستغرق شهرين أو ثلاثة أشهر على الأقل. في الوقت الحالي، وبالسرعة التي نحافظ عليها، تضاءلت قدرتنا على الانبهار تقريبًا.

أغريجنتو، المدينة الأكثر روعة في العالم وفقًا لبيندار، ولكنها أيضًا الأكثر عرضة للفناء. بالنسبة لبراناتي، فقد كانت ضيقة، متشنّجة، منغلقة على نفسها. على حد تعبير سسياسيا، ***"مُعوَجّة ومُختَلِطة لدرجة أنها تشبه إلى حد كبير أحد تلك الأشكال التي يصنعها طفل بذراعيه وساقيه. جميع الساحات في مثل هذا المنحدر تبدو على وشك الانزلاق فوق بعضها البعض"*** ... هذا ليس مضللًا على الإطلاق: أغريجنتو بها لمحة من المتاهة البيرانيزية، مع لمسة ماتريوشكا، أو ربما الهالة الداخلية الفوضوية للقصبة. هناك مدن بها مخطط دائري، ومدن أخرى مثل أغريجنتو بها مخطط هضمي. على الأقل هكذا يبدو الأمر بعد ظهر اليوم.

نسير شاردي الذهن عبر المدينة الحديثة، عبر "مونتيلوسا وفيغاتا" للكاتب أندريا كاميلري والمحقق مونتالبانو. هناك شيء ما في روايات كاميلري، بالإضافة إلى الوصفة اللذيذة لفن الطهو الصقلي، شيء ألاحظه الآن في جو هذه الشوارع، في الإيماءات وطريقة التحدث التي يستخدمها الناس - إنه مزيج حقيقي للغاية من التراجيدي و الأوبرا الهزلية. بعض المارة، مثل الشخصيات الخيالية، يبدون كرسوم كاريكاتورية لأنفسهم، كما لو أنهم قفزوا من تلك الأفلام الإيروتيكية الكوميدية التي يقوم ببطولتها الكَثِيرُ المُزاح ألفارو فيتالي. ومع ذلك، في الوقت نفسه، فإنَّ خطوط حبكة كاميلري، من حكايات القتلة المستعدين للاتجار غير المشروع بالمهاجرين، هي خلفيات قاسية حقًا، ولا تتناسب مع الفكاهة. هنا في أغريجنتو، أشعر أنَّ الكاتب، وربما في الواقع، المدينة مصممة على فرض ابتسامة زائفة على وجه الألم: تشبه إلى حد ما رسم شوارب على الموت نفسه.

جذبت المنحدرات شديدة الانحدار انتباهي. تحدها درجات، تنحرف عن الشوارع الرئيسية - ووفقًا لسياسسيا مرة أخرى - ***"تترك المسافر في أجمل جزء من المدينة، آسفًا لجعله يتسلق صعودًا"***؛ تجسيد جذاب! أود أن أرى المياه تجري هنا في يوم ممطر.

في نهاية واحدة منها، اخترناها بالصدفة، وجدنا مطعمًا مفتوحًا، حيث تناولنا أرخص وجبة في رحلتنا، وكذلك أكثرها متعة. ثلاث بيتزات عملاقة لذيذة، عدة أكواب من المارسالا، مشروبات غازية، وموسيقى مايلز ديفيز على مكبرات الصوت، وكل ذلك مقابل سعر معقول يبلغ ثمانية وعشرين يورو. إنه لأمر مخزٍ أننا لا نستطيع تذكر اسم المكان، رغم ذلك فقد احتفظنا بالفاتورة في حال لم يصدقنا أحد.

تتفادى يوريكا الدراجات البخارية، ومجموعات الأصدقاء المتجهين إلى النوادي، والمراهقين الذين يلقون زجاجات ألكوبوبس، وازدحام المرور في بعض الأحيان، من أجل الوصول إلى سان ليون، شاطئ أغريجنتو.

نعتزم قضاء الليلة في المخيم الدولي الذي يبدو أنه مفتوح ولكن دون وجود أي شخص على البوابة. كل شيء مهجور. بعد أن تجولنا عدة مرات، في الظلام تقريبًا، وجدنا البار - مكان مسقوف بالقرب من الشاطئ - وشابان يرتديان أسوأ الملابس. أكد لنا أحدهما أنه المدير وأجَّر لنا بعض الأكواخ الرديئة مع أسرَّة تخييم بسعر منخفض للغاية.

جلسنا في مواجهة البحر، ننظر إلى الوراء على المرح الذي حظينا به في هذه الرحلة بينما يفتح إيفان زجاجة من الغرابا اشتراها ليقترح نخبًا لأيامنا هنا. يقرأ الملصق كما لو أنه على وشك تجربة دواء: "يوليا نوفا، بمذاق ناعم وشفافية بلورية ورائحة زهرية". أربعون درجة أضيفت إلى الخمس وثلاثين درجة حرارة التي نشهدها هذا المساء، نار على نار. اقترحنا النخب:

"هذا لأجل أن نجتمع أربعتنا مرة أخرى في رحلة أخرى". أعلم بالفعل أنَّ هذا لن يحدث مجددًا، ولن نذهب جميعًا في عطلة معًا مرة أخرى، لكن النية هي التي تهم. نقوم بقرقعة أكوابنا البلاستيكية دون أي صوت ملحوظ، ونرفعها إلى شفاهنا.

يبدو الغرابا غير صالح للشرب. تحاول رو مزجه بالثلج والكوكاكولا، لكن النتيجة مروعة. أفرغنا كا وأنا أكوابنا على الرمال بحذر. أتذكر أنَّ لورانس دوريل قدمت له جرعة كبيرة من هذا الشراب الشنيع: ***"مثل شرب بلوط مدخن في شكل سائل. أشياء مشجعة؟"*** كان رد فعله.

يقدم إيفان لنفسه بفرح جرعات كبيرة، ستجعله لاحقًا يتجول في المخيم مثل شبح، من الواضح أنه لم يجد باب غرفته.

أنا أحب هذه الصورة. يتحدث بورخيس مع العازف الباليرمي سيفيرينو غازيلوني الذي يبدو كعازف فلوت من الصورة. أشك في أن المحترفين أمثاله يأخذون أداة عملهم في كل مكان، لذلك من المنطقي، دون أي أساس، أن نفترض أنَّ الاجتماع قد تم بعد الحفل: لقد عزف غازيلوني للمايسترو، ربما في عرض عام. بعد ذلك، ذهب بورخيس لتهنئته. تعبيره جاد، وهو تعبير عن الاحترام والفضول، ويواجه ابتسامة الإعجاب والود لغازيلوني.

من خلال الانطباع الأول، يبدو أنَّ الأرجنتيني يتلقى الفلوت كهدية. رغم كل شيء، فالمؤلفون المشهورون يتم تكريمهم بجميع أنواع الهدايا أينما ذهبوا. لكنني لا أعتقد أنَّ هذا هو الحال، فالموسيقي الجيد لا يتخلص أبدًا من آلته الموسيقية. لأنه يهدي الموسيقى خلال المناسبات، وليس مصدرها، الشيء المحبوب الذي يكسب لقمته عبره، فلا بد أنه يريها له فقط.

لقد اعتبرت غازيلوني موسيقيًا جيدًا، لكن يجب أن أثبت ذلك بأذني. هل هو عازف كلاسيكي، عازف جاز؟ ربما يمارس بعض الأشكال الصِقِلِّية التقليدية؟ هل يلعب كعازف منفرد أم يشكل جزءًا من فرقة أوركسترا؟ من أجل إرضاء فضولي، أبحث في كل مكان عن تسجيل له. ومع ذلك، ليس من السهل العثور عليه.

سألني بائع أسطوانات متحير في باليرمو، "غازيلوني؟!"

في النهاية وجدت ألبومًا له في كشك في أغريجنتو. "الفلوت الذهبي" هي الطريقة التي يقدمونه بها تجاريًا. "العواطف في البوب" هو اسم التسجيل، مع معالجة بواسطة عازف الفلوت جياني فيريو. يجب أن أعترف أنَّ التسجيلات ليست رائدة تمامًا. لا توجد نسخة معقدة أكثر من "أغواس دي مارس" لجوبيم، و أوبا نيغريتو لجيانفرانشيسكو غوارنييري وإيدو لوبو مع الآلات النفخية، وأغنية مينا، وغيرها من المقطوعات. لا أعرف ولكنها تبدو بسيطة جدًا في تنفيذها، بالأحرى مثل موسيقى مذاعة، إذا لم يكن ذلك وَقِحًا جدًا. يعزف عازف الفلوت بموهبة طبيعية محددة، لكن لا توجد عروض براعة أو أي ميزة في عمله. إنه صوت سلس ومريح. ربما لم يكن بورخيس، الذي لم يكن مشهورًا بذوقه الموسيقي، ليجد هذه التسجيلات غير سارة. ومع ذلك، فمن المحتمل أيضًا أنها ربما أطلقت العنان لانتقاداته الأكثر شراسة، والتي كان بالإمكان أن يوجهها إلى أي موسيقي عدا برامس.

بعد زيارته إلى صِقِلِّية، أشار المايسترو إلى موسيقى الجزيرة خلال مقابلة. "لقد فوجئت عندما سمعت الموسيقى المحلية، سمعت شخصًا يعزف على الغيتار، رجل من الريف، قالوا لي إنه يعزف مقطوعات فولكلورية محلية، وبدت مثل تلك الألحان الكريولية من مقاطعة بوينس آيرس أو من أوروغواي: تلك الألحان التي تم ضبطها على شعر لا تابيرا، أو إل غاوتشو بواسطة إلياس ريغوليس. حسنًا، هذا هو بالضبط نوع الموسيقى الذي سمعته في صِقِلِّية". الحقيقة هي أنني لا أثق بشكل مفرط في ميول المايسترو الموسيقية. على أي حال، أنا متأكد من أنه استمتع بمحادثة غازيلوني أكثر من موسيقاه، لغة لم يكن قادرًا على إتقانها أبدًا، وهي قدرة لم تنتقل إليه أبدًا من السماء.

على الرغم من أنني أعتبر نفسي من عشاق الموسيقى المتحمسين، إلا أنني أدرك أنني بالكاد أعرف أي شيء عن الموسيقى الصِقِلِّية. أنا على دراية بـفرانكو باتياتو من كاتانيا وأغانيه الغنائية الرقصية المتعمّقة، حيث كان يتمتع بشعبية كبيرة في إسبانيا لفترة، حتى تغيرت ميول الموضة. لدي أيضًا تسجيل في المنزل يسمى أغنية مالافيتا، تم الإعلان عنه باسم موسيقى المافيا: سلسلة من أغاني الكالابريا ذات جو إقليمي معين، مشبعة جدًا بالألوان المحلية بالنسبة لي لأدعي أنني أفهم أكثر شعوري بعدم الارتياح، بجو من العنف في الشوارع المعبدة. إنها تنقل همسة أسلافها الترابية، مثل صرخات الفلامنكو، لكنها بعيدة جدًا عن الطبيعة غير المقيدة، التي تدمر القلب في كانتي جوندو.

في رواية لكونسولو، أعيد إنتاج كلمات ممتعة وبذيئة من لا توبيانا، وهي واحدة من أغاني الكرنفال النموذجية للجزيرة، والتي يبدو أنَّ كلماتها فقدت منذ بداية القرن العشرين.

أتذكر الحفلات في فيلم كوبولا "العراب"، حيث غنت العائلة بأكملها كلمات فظة طفولية معدة على ألحان جوهرية للغاية. علاوة على ذلك، في الجزء الثالث من الملحمة، تم تنفيذ كافاليريا روستيكانا الرائعة، وهي أوبرا مشهورة في صِقِلِّية، على الرغم من أنَّ ملحنها، بيترو ماسكاني، كان من سكان ليفورنو في توسكانا. يستند العمل إلى رواية لجيوفاني فيرغا، يتعامل مع الثأر بين الفلاحين. بيل كانتو "غناء جميل" بالسكاكين سيكون تفسيرًا جيدًا.

لقد رأيت أيضًا عازف البوق الصقلي اللامع، روي باسي، يعزف مباشرة، وهو أكثر من قادر على إثارة عاصفة في عروضه، على الرغم من أنَّ إيقاعات السكا وألحانه تدين أكثر للأصوات العالمية لمانو نيغرا والجمهور الحماسي - من أي تقليد إقليمي.

حضر موباسان، خلال رحلاته، حفلة موسيقية في باليرمو، لكنه فوجئ بالمشاعر الموسيقية للصقليين. أخبرنا في رحلته أنَّ كارمن كانت على الموضة في ذلك الوقت، وأنَّ المواطنين المحترمين شاركوا في الحفل بقدر كبير من الحماسة. . . محبة الموسيقى لحد الاندهاش، أصبح الحشد بأكمله كوحوش مهتزة تشعر ولكنها لا تفكر. في خمس دقائق، صُفِق للمؤدي ذاته بحماس ووُجِه بصفير هيجان؛ يتقافز الحشد بفرح أو غضب، ولو خرجت بعض النوتات الخاطئة من حلق المغني، تنطلق صرخة غريبة، غاضبة، من جميع الأفواه في الوقت نفسه. أتساءل عما إذا كان مثل هذا الحب للموسيقى قد بقي في الجزيرة التي أسست أوميرتا، قانون الصمت.

1. صِقِلِّية (بالإيطالية: Sicilia، تلفظ "سيشيليا")، هي أكبر جزيرة في البحر الأبيض المتوسط، ومنطقة ذاتية الحكم في إيطاليا. الجزر الصغرى حولها مثل الجزر الإيولية هي جزء من صقلية. اسمها الرسمي هو منطقة الحكم الذاتي الصقلية. [↑](#footnote-ref-1)
2. لويجي بيرانديلو 28 يونيو 1867-روما، 10 ديسمبر 1936، كاتب ومسرحي وشاعر إيطالي، حصل على جائزة نوبل للآداب عام 1934. [↑](#footnote-ref-2)
3. مولع بخورخي لويس بورخيس بشكل مرضي. [↑](#footnote-ref-3)
4. زمار هاملين شخصية خيالية جعلها الشاعر الإنجليزي روبرت براونينغ مشهورةً في قصيدةٍ حول أسطورة ذلك الزمار. وطبقًا للأسطورة فإنَّ بلدة هاملين الألمانية ـ وهي الآن هامِلن ـ ابْتلِيَتْ بالجرذان، وذات يوم سار فيها رجلٌ يرتدي حُلَّةً ذات ألوانٍ كثيرةٍ، وعرض تخليص البلدة من الآفات نظير مبلغ من المال، وعندما وافق العُمْدة سحب الرجل مزمارًا ومشى في شوارع البلدة يعزف عليه نغمةً مسحورةً، فخرجت كلٌ الجِرذان تتقافز من البيوت، وتَبِعت الزمار إلى نهر الْوِيزَر، حيث غرقت فيه. وعندما طالب الزمار بمكافأتِه رفض العُمدة أن يدفعها له، فأقسم الزمار على الانتقام. وذات مرة سار في الشوارع يعزف لحنهُ العذب الغريب، وفي هذه المرة هُرِع جميع الأطفال من منازلهم، وتَبِعوه إلى كهف في تل كوين القريب، فانطبقت عليهم المغارة، ولم يرهم أحد بعد ذلك أبدًا. [↑](#footnote-ref-4)
5. الحاج المحظوظ بالإنجليزية "The Fortunate Pilgrim" أو الأم لوشيا بالإيطالية "Mamma Lucia" هو اسم رواية لماريو بوزو صدرت عام 1965 تروي قصة عائلة المافيا الإيطالية المهاجرة إلى مدينة نيويورك كوربوس انجيلوزي Angeluzzi) –Corbos). رئيسة العائلة هي الأرملة والزوجة والأم لعائلتين سانت لوسيا. التي استطاعت بإرادتها الهائلة أن تقود العائلة خلال سنوات الكساد الكبير والسنوات الأولى من الحرب العالمية الثانية, ولكنها لم تستطع منع الصراع بين القيم الإيطالية والاميركية، أو أعمال العنف وسفك الدماء التي يجب أن تتبع بالتأكيد. [↑](#footnote-ref-5)
6. كواسيمودو، سالفاتوري (Salvatore Quasimodo) (موديكا، 20 أغسطس 1901 - نابولي 14 يونيو 1968) شاعر وناقد ومترجم إيطالي، كان حتى عام 1942م ينتمي إلى المدرسة الهرمسية التي تتسم بنظم الشعر بأسلوب شخصي عسير ولكنه تحول بعد الحرب العالمية الثانية إلى مناقشة موضوعات اجتماعية عصرية في كتاباته، حصل على جائزة نوبل للآداب في سنة 1959م عن أعماله الشعرية الغنائية المعبرة عن الحياة المأساوية في عصرنا الحالي، يعد إلى جانب جوزيبي أونغاريتي ويوجينيو مونتالي أحد أهم الشعراء الإيطاليين بالقرن العشرين. [↑](#footnote-ref-6)
7. جوزيبي توماسي الأمير الحادي عشر للامبيدوزا (23 ديسمبر 1896 - 23 يوليو 1957) كاتب إيطاليا. يشتهر بروايته الوحيدة ايل غاتوباردو (نشرت لأول مرة بعد وفاته في 1958 و معنى العنوان "الفهد") التي تدور أحداثها في صقلية خلال توحيد إيطاليا. [↑](#footnote-ref-7)
8. كان فولكو دي فيردورا (20 مارس 1898 - 15 أغسطس 1978)، أو فولكو سانتوستيفانو ديلا سيردا، دوق فيردورا وماركيز موراتا لا سيردا، صائغًا إيطاليًا مؤثرًا. بدأت مسيرته بتقديمه للمصمم غابرييل "كوكو" شانيل من خلال الملحن كول بورتر. افتتح صالون المجوهرات الخاص به، والذي اسماه فيردورا، في عام 1939. [↑](#footnote-ref-8)
9. فيديريكو دي روبرتو (16 يناير 1861 نابولي - 26 يوليو 1927 كاتانيا) كان كاتبًا إيطاليًا ، اشتهر بروايته I Viceré (1894) ، وترجمت إلى "الصفوة". [↑](#footnote-ref-9)
10. ليوناردو سسياسيا (بالإيطالية: Leonardo Sciascia ) (و. 1921 – 1989 م) هو سياسي، وكاتب، وصحفي، وروائي، وكاتب مسرحي، وكاتب سيناريو، وشاعر، من إيطاليا، ولد في راكالموتو، توفي في باليرمو، عن عمر يناهز 68 عاماً. [↑](#footnote-ref-10)
11. بلد الوليد (بالإسبانية: Valladolid) هي مدينة تقع في وسط إسبانيا، هي عاصمة مقاطعة بلد الوليد، وهي أيضاً عاصمة منطقة قشتالة وليون. [↑](#footnote-ref-11)
12. السيمُرغ (بالإنجليزية: simurgh) هو أحد الطيور الخرافية يكثر ذكرها في الأساطير الآرية الدينية والتاريخية وفي الشاهنامة أيضاً. ومسكن السيمرغ على الشجرة التي تقى كل البذور وهى في المحيط الواسع على مقربة من شجرة الخلد. تجتمع عليها البذور التي أنتجتها النباتات كلها طول السنة. وإذا طار السيمرغ نبت ألف عسلوج في هذه الشجرة واذا وقع كسر هذه العساليج ونثر بذورها. وقد اشتهر أمر هذا الطائر على يد الشاعر الخراساني الشهير فريد الدين العطار في ملحمته الشعرية "منطق الطير". [↑](#footnote-ref-12)
13. آسيس وغالاتيا هي شخصيات من الأساطير الإغريقية ترتبط لاحقًا بتحولات أوفيد. تحكي الأسطورة عن الحب بين آسيس البشري وغالاتيا النيريد (حورية البحر)؛ عندما يقتل العملاق الغيور بوليفيموس آسيس، تحول غالاتيا حبيبها إلى روح نهر خالدة. كانت هذه الأسطورة موضوع القصائد والأوبرا واللوحات والتماثيل في عصر النهضة وما بعدها. [↑](#footnote-ref-13)
14. ميغيل دي ثيربانتس سابيدرا (بالإسبانية: Miguel de Cervantes) جندي وكاتب مسرحي وروائي، شاعر إسباني ولد في ألكالا دي إيناريس، مدريد، إسبانيا في 29 سبتمبر 1547. يعد إحدى الشخصيات الرائدة في الأدب الإسباني على مستوى العالم، واشتهر عالميًا بعد كتابة روايته الشهيرة دون كيخوتي دي لا مانتشا بين عامي (1605 - 1615)، التي تعد واحدة من بين أفضل الأعمال الروائية المكتوبة قبل أي وقت مضى، واعتبرها الكثير من النقاد بمثابة أول رواية أوروبية حديثة وواحدة من أعظم الأعمال في الأدب العالمي. وقامت إسبانيا بتكريمه واضعة صورته على قطعة الـ50 سنتًا الجديدة. وكان لثيربانتس تأثير بالغ على اللغة الإسبانية، حتى أطُلق عليها لغة ثيربانتس. وكان يطلق عليه لقب أمير الدهاء. وبالمثل جاءت جائزة ثيربانتس التي تحمل اسمه بمثابة تكريم له على عمله دون كيخوتي الصادر باللغة الإسبانية، والذي تناول شخصية مغامرة حالمة تصدر قرارات لا عقلانية. وقد تركت حياة ثربانتس الحافلة بالأحداث أثرًا بليغًا في أعماقه، وتجلى ذلك في طغيان روح السخرية والدعابة على أعماله. [↑](#footnote-ref-14)
15. فرانثيسكو غوميث دي كيفيدو إي سانتيبانييث فييغاس (بالإسبانية: Francisco Gómez de Quevedo y Santibáñez Villegas، ولد في 14 سبتمبر 1580، مدريد، إسبانيا - توفي في 8 سبتمبر من 1645، فيانيوفا دي لوس إنفانتيس، ثيوداد ريال، إسبانيا) سياسي وكاتب إسباني في العصر الذهبي الإسباني، كان واحداً من أبرز الشعراء الإسبان في ذاك العصر. كتب في الشعر والسياسة والسخرية، منها روايته الشطارية الواقعية عن التشرد وحياة الطبقات الدنيا وعنوانها: تاريخ دون بابلو دي سيغوفيا المعروفة باختصار إل بوسكون. [↑](#footnote-ref-15)
16. فورج فولكان هي لوحة للرسام دييغو رودريغث دي سيلفا إي فيلاثكيث (بالإسبانية: Diego Rodríguez de Silva y Velázquez، ولد في 6 يونيو 1599، إشبيلية، إسبانيا - توفي في 6 أغسطس 1660 في مدريد، إسبانيا) كان رساماً إسبانياً، يعتبر واحدا من أعظم ممثلي الرسم الإسباني وكبير الرسامين في العالم. قضى فيلاثكيث السنة الأولى من حياتهِ في إشبيلية حيث طور أسلوبًا طبيعيًا من الإضاءة القاتمة (أسلوب خاص بالتنبريزمو) وذلك لتأثره بالرسام الفرنسي كارافاجيو وأتباعهِ. وفي الرابعة والعشرين من عمرهِ انتقل إلى مدريد حيث عُين رساماً للملك فيليب الرابع ملك إسبانيا، وبعد مرور أربعة أعوام ارتقى ليُصبح رسام البلاط الملكي(رسام القصر) حيث يُعد أهم المناصب لرسامي القصر. [↑](#footnote-ref-16)
17. أرانشيني (بالإيطالية: Arancini) هي كرات رز مغلفة بفتات الخبز مقلية نشأت في صقلية في القرن العاشر. تحشى الأرانشيني عادة بالراغو (صلصة اللحم) وصلصة الطماطم والموزاريلا و/أو البازلاء. هناك العديد من الأشكال المحلية التي تختلف في الشكل والحشوات. يشتق الاسم من شكل الطعام ولونه والذي يشبه البرتقالة (الكلمة الإيطالية للبرتقال هي أرانشيا (بالإيطالية: arancia) وأرانشينا (بالإيطالية: arancina) هي البرتقالة الصغيرة وأرانشيني جمعها). [↑](#footnote-ref-17)
18. ديانا (باللاتينية: Diana) وهي آلهة الصيد و القمر و الولادة في الميثولوجيا الرومانية، وهي مرتبطة بالحيوانات والنباتات البرية ولديها القوة للتكلم والتحكم بها، ديانا تعادل الإلهة أرتميس في الميثولوجيا الاغريقية، هي من أصل إيطالي مستقل. كانت تعبد وتبجل في الديانة الرومانية القديمة، كما أنها تعبد اليوم أيضاً من قبل أتباع الويكا الدايانية كرمز للأنثوية، ديانا حسب المعتقد الروماني هي الإلهة العذراء للولادة و المرأة، وديانا هي واحدة من 3 آلهات أقسمن على عدم الزواج ، هي ومينيرفا و فستا [↑](#footnote-ref-18)
19. كاتدرائية - جامع قرطبة (بالإسبانية:Catedral de Nuestra Señora de la Asunción) هي مسجد سابق وحاليًا كاتدرائية كاثوليكية تسمى بكتدارئية سيدة الانتقال، تعرف من قبل سكان قرطبة باسم كاتدرائية مـِسكيتا وكلمة مـِسكيتا (باللغة الأسبانية Mezquita) تعني مسجد باللغة الإسبانية. الكاتدرائية هي مقر مطران أبرشية قرطبة، وهي مدرجة في قائمة مواقع التراث العالمي، كما تصدر سنة 2007 قائمة كنوز إسبانيا الإثنى عشر. [↑](#footnote-ref-19)
20. هوت كوزين وتعني حرفيًا بالفرنسية المطبخ الرفيع أو الراقي، ويركز هذا المطبخ على إعداد الأطعمة بدقة شديدة وعناية بأسعار مرتفعة للطبقات الراقية. لا يهتم هذا المطبخ بالأطعمة التي تحتوي على دهون أقل بل على العكس تكون أطعمة هذا المطبخ غنية بالدهون لذلك تجد مذاقها غنيًا جدا. خلف هذا المطبخ يوجد النوفيليو كوزين الذي ركز على الأطعمة الأكثر صحية كما ركز على طريقة عرض الأطباق امام الزبائن. [↑](#footnote-ref-20)
21. كارلو الأول أنجو (21 مارس 1226 - فودجا، 7 يناير 1285) كونت أنجو وماين، وكونت بروفنس، وملك صقلية، وملك نابولي، وأمير تارانتو، وملك ألبانيا، وأمير أكايا، كما حمل اسمياً صفة ملك بيت المقدس.  [↑](#footnote-ref-21)
22. جيوفاني فالكوني (18 مايو 1939 باليرمو - 23 مايو 1992) قاض إيطالي قضى حياته في محاكمة المافيا الصقلية كوزا نوسترا. اغتالته المافيا مع زوجته و ثلاثة من حراسه في انفجار قنبلة بلغ وزنها 350 كلغ من الديناميت تحت الطريق السريع من مطار بونتا ريسي لباليرمو بالقرب من بلدة كاباتشي. [↑](#footnote-ref-22)
23. باولو بورسيلينو (19 يناير 1940 - 19 يوليو 1992) قاض إيطالي قضى في مكافحة المافيا نتيجة انفجار سيارة ملغومة في باليرمو بعد أقل من شهرين من اغتيال قاضي مكافحة المافيا مواطنه جيوفاني فالكوني.  [↑](#footnote-ref-23)
24. المافيا (المعروفة أيضا باسم كوزا نوسترا) هي منظمة إجرامية ظهرت في منتصف القرن التاسع عشر في جزيرة صقلية بإيطاليا. وهي تحالف حر بين عصابات إجرامية تجمعها بنية تنظيمية مشتركة وقواعد سلوكية موحدة.  [↑](#footnote-ref-24)
25. الوَندال (أو الفَندال) هم إحدى القبائل الجرمانية الشرقية، اقتطعوا أجزاء من الإمبراطورية الرومانية في القرن الخامس الميلادي وأسسوا لهم دولة في شمال إفريقيا مركزها مدينة قرطاج وضموا إليها جزيرة صقلية والعديد من جزر البحر المتوسط. يعتقد أنَّ اسم الأندلس مشتق من اسم هذه القبيلة (في الأصل سميت المنطقة «واندالوسيا» ثم حولها العرب لـ«الأندلس») حيث سكنوا جنوب إيبيريا لمدة من الزمن ثم انتقلوا بعدها لأفريقيا.في سنة 455 اقتحم الوندال مدينة روما وعاثوا فيها فسادا وخربوها تخريبا عظيما ولا سيما في الآثار الفنية والأدبية. [↑](#footnote-ref-25)
26. الأسلوب المسرحي أو طريقة بيرانديللو ؛ أسلوب مسرحي أو طريقة تقليد.  [↑](#footnote-ref-26)
27. المجوس الثلاثة أو الملوك المجوس أو الحكماء الثلاثة من الشرق، هم ثلاثة أشخاص ذكروا في إنجيل متى (إصحاح 2) الذي يقول إنهم أتوا "من المشرق إلى أورشليم". وهم من الشخصيات المرتبطة في الروايات التقليدية عن احتفالات عيد الميلاد وهم جزء مهم من التقاليد المسيحية والأدب المسيحي، ومن مظاهر الاحتفالات عيد الظهور الإلهي في إسبانيا وأمريكا اللاتينية خاصًة في كل من المكسيك والأرجنتين، تقديم الهدايا من قبل المجوس الثلاثة ويرافق تقديم المجوس الهدايا مواكب وإحتفالات ضخمة ترافقه موسيقى عيد الميلاد والزينة والأضواء والمفرقعات. [↑](#footnote-ref-27)
28. كان بيلي أمريكي مسلح خارج عن القانون شارك في حرب القطيع في مقاطعة لينكون، هذا وقد اشتهر بقتله 21 رجل أي بمعدل رجل واحد لكل سنة من حياته. كان طوله ما يعادل متر ونصف، له عينان زرقاوان، خدود ناعمة كما كانت أسنانه بارزة. وصف بأنه رجل لطيف ووسيم في بعض الأوقات، لكنه أيضًا وصف بأنه عصبي المزاج وعنيد مما جعله رجلًا خطيرًا ماكرًا إضافة إلى كونه يجيد استخدام السلاح، كثيرًا ما عرف عنه ارتداؤه للقبعة المكسيكية ذات الشريط الأخضر. لم يكن بيلي معروفًا عندما كان على قيد الحياة، ولكن بعد سنة من مماته جعل منه مدير الشرطة بات غاريت والذي كان قد قتله بنفسه، جعل منه أسطورة عندما ألف عنه كتابًا مثيرًا للدهشة سمّاه الحياة الأصيلة للولد بيلي ومنها أصبح الولد بيلي رمزًا عند الغرب الأمريكي. [↑](#footnote-ref-28)
29. مانويل موچيكا لاينيز من مواليد يوم 11 سبتمبر 1910 فى بوينس آيرس, مات فى 21 ابريل 1984، روائي وناقد من الأرجنتين. [↑](#footnote-ref-29)
30. يواكيم كليمنس فيست، صحفي وناقد ومحرر ألماني معروف بكتاباته وتعليقاته العامة على ألمانيا النازية، بما في ذلك سيرة أدولف هتلر وكتب عن ألبرت شبير ومقاومة ألمانيا للنازية . وكان شخصية بارزة في النقاش بين المؤرخين الألمان حول الفترة النازية. [↑](#footnote-ref-30)
31. كلمة مشتقة من اسم الأمير فرديناند غرافينا. [↑](#footnote-ref-31)
32. أخيم فون أرنيم كارل يواخيم فريدريش لودفيج فون أرنيم؛ ولد في 26 يناير 1781 في برلين – ومات في 21 يناير 1831 في قصر فيبرسدورف، شاعر ألماني يعتبر هو وكليمنس فون برينتانو مؤسسا الاتجاه الرومانسي الهايدلبرجي. [↑](#footnote-ref-32)
33. كريستوف مارتين فيلاند؛ كاتب وشاعر ألماني. تلقى فيلاند تربية تقوية. ودرس الفلسفة في إرفورت والحقوق في توبنجن. في الفترة من 1773 حتى 1810 أصدر الصحيفة الأدبية «دير تويتشه مركور". [↑](#footnote-ref-33)
34. هاينرش هاينه، شاعر وناقد وصحفي ألماني شهير، يعد من أهم الشعراء الألمان الرومانسيين. وتعود شهرته لتأليفه الكثير من القصائد في صورة أغاني، والتي في وقت لاحق استعملها في موسيقاهم ملحنون عظماء أمثال روبرت شومان. [↑](#footnote-ref-34)
35. أدالبرت شتيفتر، ولد في 23 أكتوبر 1805 في أوبربلان في بوهيميا واسمه الأصلي ألبرت شتيفتر - ومات في 28 يناير 1868 في لينتس، أديب ورسام وتربوي نمساوي. يعتبر من أهم أدباء فترة البيدرماير في ألمانيا. [↑](#footnote-ref-35)
36. يوهان فولفغانغ فون غوته (بالألمانية: Johann Wolfgang von Goethe)‏ (28 أغسطس 1749 - 22 مارس 1832) هو أحد أشهر أدباء ألمانيا المتميزين، والذي ترك إرثاً أدبياً وثقافياً ضخماً للمكتبة الألمانية والعالمية، وكان له بالغ الأثر في الحياة الشعرية والأدبية والفلسفية،. [↑](#footnote-ref-36)
37. لويجي برانديللو، (أغريجنتو، 28 يونيو 1867-روما، 10 ديسمبر 1936) كاتب ومسرحي وشاعر إيطالي، حصل على جائزة نوبل للآداب عام 1934. [↑](#footnote-ref-37)
38. لوحة للفنان الأسباني دييغو فيلاسكيز. [↑](#footnote-ref-38)
39. العراب هو فيلم جريمة أمريكي 1972 من إخراج فرانسيس فورد كوبولا وإنتاج إلبرت رودي وسيناريو بواسطة كوبولا وماريو بوزو مقتبس عن الرواية التي تحمل نفس الاسم لسنة 1969. الفيلم من بطولة مارلون براندو وآل باتشينو كقادة لإحدى أقوى عائلات الجريمة في نيويورك. القصة تمتد لسنوات 1945-1955، وتتمحور حول تحول مايكل كورليوني (آل باتشينو) من شخص عادي إلى زعيم مافيا عديم الرحمة بينما تؤرخ أيضا لعائلة كورليوني تحت زعامة فيتو كورليوني (مارلون براندو). [↑](#footnote-ref-39)
40. كلمة مشتقة من اسم أنطونيو لوتشيو فيفالدي، ملحن باروكي وكاهن من البندقية، عازف كمان شهير، قام بكتابة حوالي أربعمئة كونشرتو، من بينها الفصول الأربعة وهي أشهر أعماله على الإطلاق. [↑](#footnote-ref-40)
41. فرسان الهيكل، أو فرسان المعبد الملقبون بـالجنود الفقراء للمسيح ومعبد سليمان (باللاتينية: Pauperes commilitones Christi Templique Salomonici). عرفوا أيضًا بالداوية أو تنظيم الهيكل (بالفرنسية: Ordre du Temple / Templiers). كانوا أحد أقوى التنظيمات العسكرية التي تعتنق الفكر المسيحي الغربي، وأكثرها ثراءً ونفوذًا وأحد أبرز ممثلي الاقتصاد المسيحي. ودام نشاطهم قرابة قرنين من الزمان في العصور الوسطى.  [↑](#footnote-ref-41)
42. غي دو موباسان (1850- 1893) ،‏ هو كاتب وروائي فرنسي وأحد آباء القصة القصيرة الحديثة. وكان عضوًا في ندوة إميل زولا. [↑](#footnote-ref-42)
43. الديكاميرون (بالإيطالية: Il Decameron, cognominato Prencipe Galeotto) وتُترجم الأمير غيلهاوت وأحيانًا تُلقب ("الكوميديا البشرية")، هي عبارة عن مجموعة من الروايات التي كتبها المؤلف الإيطالي جيوفاني بوكاتشيو في القرن الرابع عشر (1313- 1375). صُمم الكتاب كقصة إطارية تحتوي على 100 حكاية ترويها مجموعة مؤلفة من سبع شابات وثلاثة شبان يلتجئون في فيلا معزولة خارج فلورنسا هربًا من الموت الأسود الذي أصاب المدينة. بدأ بوكاتشيو بكتابة الديكاميرون بعد وباء عام 1348 وانتهى منها بحلول عام 1353. تتنوع قصص الحب في الديكاميرون بين الجنسية إلى المأساوية. تسهم حكايات الطرافة والمقالب ودروس الحياة في تشكيل فسيفساء هذا الكتاب. يقدم الكتاب أيضًا إلى جانب قيمته الأدبية وتأثيره الكبير (على سبيل المثال، حكايات كانتربري لجيفري تشوسر)، توثيقًا عن الحياة في تلك الفترة من الزمن. الكتاب مكتوب باللغة المحلية للغة الفلورنتينية، ويُعد تحفة من النثر الإيطالي الكلاسيكي المبكر.  [↑](#footnote-ref-43)
44. إل غاتوباردو (بالإيطالية: Il Gattopardo) أو الفهد هي رواية لجوزيبي توماسي دي لامبيدوزا الذي يروي التغيرات التي طرأت على حياة المجتمع الصقلي خلال توحيد إيطاليا. نشرت الرواية بعد وفاته في عام 1958، بعد أن رفضت مرتين من قبل دور النشر الإيطالية الرائدة موندادوري وإينودي. أصبحت الرواية من أكثر الروايات مبيعًا في التاريخ الإيطالي وتعتبر واحدة من الروايات الأكثر أهمية في الأدب الإيطالي الحديث. [↑](#footnote-ref-44)
45. فيديريكو دي روبرتو (16 يناير 1861 نابولي - 26 يوليو 1927 كاتانيا) كان كاتبًا إيطاليًا ، اشتهر بروايته I Viceré (1894) ، وترجمت باسم نواب الملك. [↑](#footnote-ref-45)
46. مقبرة لا ريكوليتا (بالإسبانية: Cementerio de la Recoleta)‏ هي مقبرة تقع في حي ريكوليتا في مدينة بيونس آيرس، الأرجنتين. وهي تحتوي على قبور أناس بارزين من ضمنهم إيفا بيرون زوجة رئيس الأرجنتين الأسبق خوان بيرون، و حائزين على جائزة نوبل، و مؤسس البحرية الأرجنتينية وحفيدة نابليون. في عام 2011، أشادت بي بي سي بأنها واحدة من أفضل المقابر في العالم، و في عام 2013 أدرجتها محطة الـ CNN في قائمة أجمل 10 مقابر في العالم.  [↑](#footnote-ref-46)
47. الرهبنة الكَبّوشية هي رهبنة كاثوليكية نشأت عام 1525 بوصفها حركةً إصلاحية ضمن نطاق الرهبنة الفرنسيسكانية، حيث استقلت عنها نهائيًا عام 1619 . [↑](#footnote-ref-47)
48. اسم الوردة رواية بوليسية لأومبيرتو إكو، نشرت لأول مرة باللغة الإيطالية عام 1980 تحت عنوان "Il nome della rosa"، وترجمت للإنكليزية عام 1983، وإلى الكثير من اللغات الأخرى لاحقاً. وقد حققت هذه الرواية نجاحاً كبيراً أدى في نهاية المطاف إلى تجسيد أحداثها في فيلم عام 1986 يحمل اسم الرواية "Der Name der Rose" من بطولة الفنان العالمي شون كونري والممثل الأمريكي كريستيان سلاتر واخراج الفرنسي جان جاك آنود. وصلت مبيعات الرواية إلى أكثر من 50 مليون نسخة، وتمت ترجمتها إلى أكثر من 80 لغة حول العالم. [↑](#footnote-ref-48)
49. لوسيو بيكولو دي كالانوفيلا (27 أكتوبر 1901 في باليرمو - 26 مايو 1969 في كابو دورلاندو)، كان شاعرًا إيطاليًا. [↑](#footnote-ref-49)
50. روبرتو أندو، مخرج إيطالي ولد في باليرمو عام 1959، ويعد واحدًا من أهم المخرجين الإيطاليين. [↑](#footnote-ref-50)
51. ***البدية أو الفتيشية هي ولع أو تعلق شديد بشيء ما.*** [↑](#footnote-ref-51)
52. إن عبارة أيام الكلب تشير إلى أشد أيام الصيف حرًا، وتكون عاد في شهري تموز / يوليو وآب / أغسطس في نصف الأرض الشمالي، أما في النصف الجنوبي فتكون في شهري يناير وفبراير. تعود تسمية أيام الكلب إلى الرومان حيث أطلقوا على هذه الأيام اسم diēs caniculārēs حيث ربطوا بين الطقس الحار وظهور نجم الشعرى اليمانية النجم الأكثر لمعانًا في كوكبة الكلب الأكبر. كما تم استعمال هذا المصطلح أيضًا من قبل الإغريق. [↑](#footnote-ref-52)
53. يشير مصطلح الفن الرومانسكي إلى الفن في أوروبا الغربية منذ عام 1000 ميلادي تقريبًا وحتى ظهور الطراز القوطي في القرن الثالث عشر أو ما بعده وفقًا للمنطقة. عُرفت الفترة السابقة باسم الفترة ما قبل الرومانسكية. اخترع هذا المصطلح مؤرخو الفن في القرن التاسع عشر، وخاصة للعمارة الرومانسكية التي احتفظت بالخصائص الأساسية من الطراز الروماني المعماري -وأبرزها الأقواس ذات الرؤوس الدائرية، وأيضًا العقادة، وحنيات الكنائس، وزخرفة أوراق الأقنثا- ولكنها طورت أيضًا العديد من الخصائص المختلفة تمامًا. في جنوب فرنسا، وإسبانيا، وإيطاليا، استمر معمار العصر القديم المتأخر، ولكن الطراز الرومانسكي كان أول نمط ينتشر في جميع أنحاء أوروبا الكاثوليكية، من صقلية إلى إسكندنافيا. تأثر الفن الرومانسكي أيضًا إلى حد كبير بالفن البيزنطي، خاصة في التصوير، وبالحيوية غير التقليدية لزخرفة الفن الجزيري للجزر البريطانية. تكوّن طراز مبتكر ومتماسك للغاية من هذه العناصر. [↑](#footnote-ref-53)
54. مغارة الميلاد (بالإيطاليّة: presepio) هو تمثيل خاص، لا سيما خلال موسم عيد الميلاد، من التحف الفنية التي تمثل مكان وقصة ميلاد يسوع. ودرجت العادة عند المسيحيين ان يبنوا بمناسبة عيد ميلاد السيد المسيح مغارة في البيوت والكنائس والمدارس والمستشفيات ومراكز التسوق خلال موسم عيد الميلاد.  [↑](#footnote-ref-54)
55. جزيرة الدكتور مورو هي رواية خيال علمي صدرت عام 1896 بقلم [هربرت جورج ويلز](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%87%D8%B1%D8%A8%D8%B1%D8%AA_%D8%AC%D9%88%D8%B1%D8%AC_%D9%88%D9%8A%D9%84%D8%B2). بطل الرواية هو إدوارد بريدنيك، وهو رجل يتم إنقاذه بعد غرق سفينته، ويجد نفسه في جزيرة الدكتور مورو، وهو [عالم مجنون](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B9%D8%A7%D9%84%D9%85_%D9%85%D8%AC%D9%86%D9%88%D9%86) الذي يخلق حيوانات شبيهة بالإنسان. تتناول [الرواية](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B1%D9%88%D8%A7%D9%8A%D8%A9_(%D8%A3%D8%AF%D8%A8)) عددًا من الموضوعات الفلسفية، بما فيها الألم والقسوة، والمسؤولية الأخلاقية، هوية الإنسان، والتدخل البشري في الطبيعة. كان هناك نقاش متزايد في [أوروبا](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D9%88%D8%B1%D9%88%D8%A8%D8%A7)، في زمن نشر الرواية، بشأن الانحطاط الأخلاقي في العلم وتشريح الحيوانات الحية. بعد ذلك بعامين، تم تشكيل عدة مجموعات لمعالجة هذه المسألة، مثل الاتحاد البريطاني لإلغاء التشريح. [↑](#footnote-ref-55)
56. غزو الدببة الشهير لصقلية هو كتاب أطفال إيطالي عام 1945 كتبه ورسمه دينو بوزاتي. يروي قصة نزاع مسلح بين الدببة والبشر في صقلية. إنه مكتوب في شكل جديد ، مع قدر كبير من الشعر والرسوم التوضيحية أيضًا. [↑](#footnote-ref-56)
57. الغُرغونة في [أساطير اليونان](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D9%8A%D8%AB%D9%88%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%8A%D8%A7_%D8%A5%D8%BA%D8%B1%D9%8A%D9%82%D9%8A%D8%A9) إحدى [الأخوات الثلاث](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AE%D9%88%D8%A7%D8%AA_%D8%A7%D9%84%D8%AB%D9%84%D8%A7%D8%AB) المُرعبات شعورهنّ كانت من الأفاعي ونظراتهنّ تمسخُ الرائي حَجَرًا. هي أسطورة إغريقية قديمة عن ثلاث أخوات أسطوريات [سيثنو](https://ar.wikipedia.org/w/index.php?title=%D8%B3%D9%8A%D8%AB%D9%86%D9%88&action=edit&redlink=1)، [أيرلن](https://ar.wikipedia.org/w/index.php?title=%D8%A3%D9%8A%D8%B1%D9%84%D9%86&action=edit&redlink=1) [وميدوسا](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D9%8A%D8%AF%D9%88%D8%B3%D8%A7)، بشعر من ثعابين ومظهر مرعب ومن ينظر اليهن يتحول إلى حجر, ويطلق أيضًا على أى شيء قبيح أو مخيف. [↑](#footnote-ref-57)